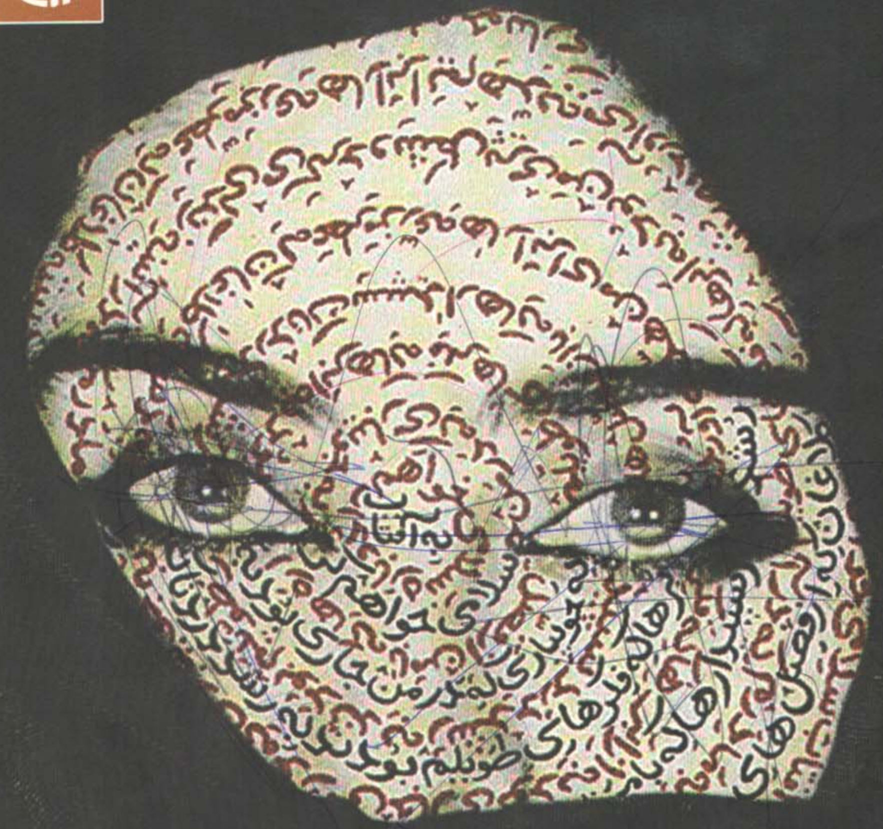


دكتورة هدى درويش

حجاب المرأة

بين الأديان و العلمانية

حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية

دكتورة / هدى درويش

معهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى

٢٠٠٥م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د. أحمد ابراهيم الهوارى

د. شوقى عبد القوى حبيب

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذى:

شريف قاسم

مدير الإنتاج:

جمال عابد

تصميم الغلاف: عمرو قاسم

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher:EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

انشغل العالم فى السنوات الأخيرة بموضوع حجاب المرأة المسلمة . وكان الدافع إلى هذا الانشغال صدور قانون فرنسي يحظر على المسلمات ارتداء الحجاب فى المؤسسات العامة ، وفى المدارس ، ويطالب بالالتزام بالقوانين الفرنسية التى تنص على خلع الحجاب فى المؤسسات العامة ، وفى الصور الخاصة بالأوراق الرسمية . وبعد جدل مثير فى فرنسا انتقلت قضية الحجاب إلى كل البلاد الأوربية ، وأصبح ينظر إلى حجاب المرأة المسلمة فى المدن الأوربية على أنه رمز لتفشى المسلمين الأمر الذى يؤثر على سياسات الدولة العلمانية ، كما اتخذ التمسك بالحجاب بعدًا اجتماعيًا حيث نظر إليه الغرب على أنه مظهر من مظاهر التخلف ، وانتهاك خصوصية المرأة وحقها فى الظهور ، ورمز إلى القيود على الحرية الشخصية للمرأة . وأصبح الحجاب يمثل زيًا قمعيًا باعتباره زيًا موحدًا ، ومفروضًا ، وشكلاً من أشكال التميز . وهكذا نظر الغرب إلى الحجاب على أنه خطاب سياسى أو إعلان موقف وتهديد لسيادة قيم العلمانية الأوربية .

فى ظل هذه المعطيات ، يأتى الكتاب الذى نقدمه الآن ليقدم تناولاً شاملاً لمسألة الحجاب بين الأديان والعلمانية ، وقد بدأت الدراسة بداية منهجية جيدة وذلك بتحليل أهم المصطلحات الواردة فى العمل وهى مصطلحات الحجاب والخمار والنقاب موضحة لأهم الفروق بين هذه الأشكال المختلفة من زى المرأة ، والموقف الشرعى منها . وتأصيلاً لموضوع الحجاب خصصت المؤلفة فصلاً كاملاً لمناقشة ما يمكن تسميته تجاوزًا بتاريخ الحجاب مركزة على نشأة الحجاب وتطوره بداية من العصور القديمة ولدى عدد من شعوب العالم القديم من أهمها مصر القديمة ، وبلاد الرافدين ، وبلاد فارس . هذا بالإضافة إلى التعريف بالحجاب عند البوذيين ، وفى تشريعات مانى ، وعند الإغريق والرومان ، وأخيرًا عند العرب قبل الإسلام . وقد اتضح من هذا العرض التاريخى أن الشعوب القديمة ركزت على ضرورة تحجب المرأة صيانة لها وحماية ، وتحقيقًا لاحترامها، وحفظًا لعرضها وشرفها . وبمناقشة وضع الحجاب فى الديانات التوحيدية اتضح أيضًا

أن اليهودية والمسيحية والإسلام اهتمت بحجاب المرأة كما يظهر ذلك فى العديد من الأحكام المؤيدة بنصوص دينية واردة فى الكتابات المقدسة فى هذه الأديان . وقد تبين من هذه الدراسة أن الأديان السماوية تتفق فى التأكيد على تستر المرأة واحتشامها . ويعد هذا الفصل بمثابة دراسة دينية مقارنة لمفهوم الحجاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام . وهى دراسة جديدة فى مجالها ، وتؤكد على اتفاق الأديان التوحيدية فى هذا الشأن مع اختلاف فى التفاصيل يعود إلى اختلاف بيئات هذه الأديان ، واختلاف الظروف التاريخية والاجتماعية ، وكذلك اختلاف النظرة إلى المرأة وطبيعتها.

وبالدخول فى العصر الحديث تحول حجاب المرأة المتفق عليه فى المعتقدات القديمة وفى الديانات التوحيدية إلى إشكالية ، فقد أتى العصر الحديث بالعلمانية وقيمها المتعارضة مع القيم الدينية ، وبدأت النظرة إلى الحجاب تتغير تغيرًا جذريًا ، وتحول الحجاب بالتدريج من رمز للتستر ولتحشم المرأة استجابة للعقيدة وللعادات والتقاليد الاجتماعية إلى رمز للقيود المانعة من الحرية ، وإلى رمز للتخلف . وهكذا انقلبت صورة الحجاب رأسًا على عقب . ونظرًا لوقوع العالم الإسلامى تحت تأثير العلمانية الغربية فقد تحول موضوع الحجاب إلى مشكلة إسلامية . ومنذ العصر الحديث وحتى الآن لايزال الفكر الإسلامى يناقش قضية الحجاب بدون الوصول إلى حل حاسم لها . وازدادت القضية حدة فى بعض البلاد الإسلامية مثل تركيا التى تبنت العلمانية كسياسة للدولة ، وبالتالى تم حظر حجاب المرأة وإعلان سفورها ، ونشأة الصراع بين العلمانيين والمتدينين حول هذا الشأن . وقد خصصت المؤلفة فصلاً كاملاً لمعالجة قضية الحجاب فى ظل العلمانية التركية مع وصف حالة الحجاب قبل التحول العلمانى فى تركيا ، وحالته بعد التحول العلمانى ، والصراع بين القوى العلمانية والتيارات الإسلامية حول قضية الحجاب ، وبخاصة مع التشدد العلمانى فى عدم ترك المسألة متروكة لاختيار المرأة المسلمة وفرض السفور عليها فرضًا وتحريم الحجاب وحظره . وقد اهتمت المؤلفة بإعطاء الصورة الرسمية والفهم التركى العلمانى لقضية الحجاب وإعطاء وجهة نظر التيارات الإسلامية والمصلحين المسلمين الأتراك .

ونظرًا لخروج قضية الحجاب على حدود العالم الإسلامى وتحولها إلى قضية عالمية بعد إثارة مشكلة الحجاب فى فرنسا كان من الضرورى تناول هذه المسألة داخل الإطار الأوربى وتوضيح ردود الفعل الفرنسية والأوربية تجاه حجاب المرأة المسلمة التى تعيش فى المجتمع الأوربى وقد نتج عن هذا صدور قوانين حظر الحجاب فى فرنسا ومن بعدها فى بعض الدول الأوربية الأخرى . وبعد إعطاء تحليل جيد للقضية اقترحت المؤلفة فى خاتمة الدراسة بعض التوصيات المهمة لمواجهة أزمة

الحجاب فى الغرب ، وفى بعض البلاد الإسلامية مثل تركيا . وتدور هذه التوصيات حول بـــذل الجهود لتوضيح دلالة الحجاب فى الإسلام ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التى تطورت عنه فى الغرب، والتأكيد على الدور الفاعل للمرأة المسلمة فى المجتمع وعدم تعارض فعاليتها مع مظهرها الخارجى ممثلاً فى حجابها ، وضرورة الربط بين التزام الغرب المبدئى بالحرية ورفع الحظـــر عـــن الحجـــاب باعتباره قرارًا مناقضًا لمبدأ الحرية بشكل عام وحرية العقيدة بشكل خاص .

لقد نجحت هذه الدراسة نجاحًا كبيرًا فى عرض القضية ، وتحليلها ، وتحديد المواقـــف منـــها ، وإعطاء الأدلة على مفهوم الحجاب ، وضرورة التزام البلاد العلمانية بعدم حظر الحجاب انتصارًا لمبدأ الحرية التى تقره الدساتير الأوربية باعتباره معبرًا عن الحرية الشخصية من ناحيـــة ، وحريـــة التدين وما ينتج عنها من ممارسات وعادات دينية من ناحية أخرى . وقد تميزت هـــذه الدراســـة باعتمادها على ببليوجرافيا متميزة فى موضوع الحجاب باللغات العربية ، والتركية ، والعبريـــة ، والإنجليزية ، وبانتهائها بتوصيات عملية تؤدى إلى التخفيف من حدة الصراع حول الحجـــاب ، وتحقيق الأمن والأمان للمرأة المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها ، وتحقيق اندماجها داخـــل مجتمعهـــا المعاصر المسلم ، أو غير المسلم ، بدون التضحية باحتشامها وكرامتها .

والله ولى التوفيق

أ.د. محمد خليفة حسن
أستاذ تاريخ الأديان
كلية الآداب – جامعة القاهرة


http://kotob.has.it

مقدمة

تتفق الأديان جميعًا على وجوب تستر المرأة وتمسكها بعفتها واحترامها ، ورغما عن هذا برزت قضية حجاب المرأة كقضية صراع عالمية يتصدى بها الغرب لهدم قيم المرأة المسلمة المتمسكة بدينها، بهدف نصرة الخلاعة والتبرج على القيم والمبادئ والفضائل التى تتحلى بها المجتمعات .

والدراسة التى بأيدينا تتعرض لتلك القضية والهجوم الموجه على المؤمنات المحافظات على عفتهن واحترامهن عن طريق محاولة مزج الحجاب بالإرهاب، والزج به فى قضايا سياسية مدعين أنه يتعارض مع الأنظمة العلمانية التى تتخذها الدول الغربية منهاجًا لحياتها .

وتهدف الدراسة إلى التأكيد على ان احتشام المرأة وتسترها بدأ مع بداية الخليقة ، وهو أمر تقره جميع الأديان والشرائع وتحث المرأة عليه ولا نجد خلافاً لهذا المبدأ فى العصور القديمة أو الحديثة.

ويستخدم البعض لفظ الحجاب كاصطلاح شائع للدلالة على غطاء الرأس. والحقيقة فالحجاب الذى نعنيه فى هذه الدراسة هو جزء من مجموعة آداب وسلوكيات يجب على المرأة ان تتخذها وتلتزم بها منهاجًا لحياتها وتعاملها مع المجتمع والمقصود به استتارها وحشمتها ووقارها .

وتعد هذه الدراسة الاولى من نوعها التى تبحث مفهوم الحجاب وغطاء رأس المرأة فى المعتقدات القديمة والاديان السماوية مقارنة بين الشرائع اليهودية والديانة المسيحية والاسلام بالرجوع الى الكتب المقدسة لكل منهم . والتعريف بالحجاب ومفهومه، والتعريف بالخمار والنقاب، وتوضيح مفهوم تستر المرأة بما فيه غطاء الرأس أو التزين أو السلوك المحتشم الواجب عليها سواء عند تحدثها بالصوت أو حركتها العامة، ومدى إلزام الأديان والملل والمذاهب المختلفة – سواء كانت وضعية أو سماوية – المرأة بضرورة التمسك بشرفها وعفتها وصون كرامتها لما لها من مكانة فى المجتمع فهى الأم الجامعة للمجتمع بأكمله .

وتوجه الدراسة تركيزها بشىء من التفصيل على قضية حجاب المرأة كقضية معاصرة فى تركيا باعتبارها نموذجًا للدولة الإسلامية الديمقراطية بالنسبة للغرب ؛ فهى الدولة التى يمثل الإسلام فيها

نسبة ٩٩% من سكانها، وفى الوقت نفسه فهى على الساحة الدولية ، الدولة العلمانية غربية التوجهات.

فتتعرض هذه الدراسة لحجاب المرأة التركية فى عهدى الدولة ،العثمانى والجمهورى، وموقف السلطان عبدالحميد منه ، ورأى مصطفى كمال أتاتورك فيه ، وموقف الزعماء الأتراك الذين تولوا رئاسة الدولة من بعده ، ورأى المصلحين والزعماء الإسلاميين فى تركيا المعاصرة على المستوى السياسى أمثال نجم الدين أربكان وحزبيه الاسلاميين ،الرفاة والفضيلة، ثم موقف رئيس الوزراء الحالى "رجب طيب أردوغان" وحزبةً العدالة والتنميةً الحالى من الحجاب .

وعلى المستوى الشعبى تتطرق الدراسة إلى دور علماء الإسلام فى تركيا الذين كانت لهم الزعامة الإسلامية هناك فى قضايا حجاب المرأة والدعوة لسفورها أمثال الإمام سعيد النورسى ، والشيخ عاطف الإسكليبى ، والإمام سليمان حلمى، ورمز الفكر الإسلامى المعاصر فى تركيا الشيخ محمد فتح الله كولن .

وفى الختام تتعرض الدراسة لموقف العالم الغربى تجاه الحجاب واتخاذه وسيلة للهجوم على الإسلام بوجه خاص ، وذلك بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر٢٠٠١م حيث ألصقت به تهمة الإرهاب متخذين من الحجاب رمزًا ومظهرًا إسلاميًا يستوجب حظره ، جاهدين فى تغيير ثوابت الدين الإسلامى وتأويل نصوص القرآن .

وتسعى الدراسة إلى توضيح مفهوم الحجاب عند المراة فى الإسلام بالنسبة للغرب انطلاقاً من ان الإسلام دين عالمى موجه إلى الإنسانية جمعاء ؛ فهو دين كل الأنبياء والمرسلين الذين كرمهم الله سبحانه وتعالى ، وصدق برسالاتهم ، وكرم الأمم والشعوب رجالها ونساءها ، وجعل التحلى بالتقوى بين البشر هو القيمة التى يفضلها الله تعالى للإنسان، ويتمثل ذلك فى قوله تعالى فى سورة الحجرات :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)}

فجاء الأمر الإلهى للبشر كافة بالتعاون والتواد والتراحم فيما بينهم ، وبين أن فضل كل منهم على الآخر ومدى قربه من الله ، بالتقوى، باطنة كانت أو ظاهرة، فى معاملاته وصفاته وأخلاقه، فالإسلام هو الذى كرم المرأة فى القرآن، ووعدها بالجنة، ورفع درجاتها، قبل ظهور الإسلام وبعده، وضرب بها الأمثال فى التقوى والقرب من الله .

فهذه السيدة سارة أمرأة فرعون يكرمها الله فى آياته المنزلة بقوله تعالى فى سورة التحريم :
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) }

وقوله تعالى فى حق السيدة مريم ابنة عمران والتى خصّص لها القرآن سورة باسمها تكريمًا وتشريفًا لها حيث جاء فى نفس السورة { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) (١٢) }

وقوله تعالى فى سورة آل عمران :

{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢)}حيث اصطفاها سبحانه وتعالى بالنفخة الإلهية وفضلها على نساء العالمين ووصفها بأنها صديقة . ويتحدث القرآن عن رحمة الله تعالى بأم موسى عليه السلام بقوله فى سورة القصص :
{ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ(١٣)} وقوله فى حقها: { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (١٠) }

كما تحدث القرآن عن زوجات رسول الله ﷺ بقوله تعالى فى سورة الأحزاب:{ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ (٣٢) }

وحقيقة الأمر فما شُرع الحجاب للمرأة إلا لإظهار الجمال بكل أشكاله، سواء كان الجمال الشكلى المتمثل فى الوجه النورانى الذى يكسوه الإيمان ، أو جمال الخُلق الظاهر فى التحشم والاحترام والوقار، أو جمال السلوك والتقوى الذى تتزين به كل امرأة وتفخر به ، فالحجاب هبه ومنّة ومنحة إلهيه فرضها الله على النساء المؤمنات المحافظات؛ فهو عين الاحترام ومرتبة توقير للمرأة، وهو التاج الذى تتزين به كل امرأة وكل أم طائعة تستحق ان تكون الجنة تحت أقدامها فتنال رضى الله ورسوله ﷺ.



تمهيد

تعريف الحجاب والخمار والنقاب :

١- الحجاب :

الحجاب في اللغة : هو ما احتجب به ، وما حال بين شيئين ، وحجبه حجبًا ، وحجابًا بمعنى ستره[1] ويعرفه الجرجاني : الحجاب كل ما يستر مطلوبك، وفي اللغة "المنع" [2] وقيل حجاب للستر لأنه يمنع المشاهدة .

والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين وجمع الحجاب حجب [3] وفي لسان العرب حجب الشيء يحجبه حجابًا ، وحجبه ستره، وامرأة محجوبة قد سترت بستر ، والحجاب اسم ما احتجب به وكل شيء منع شيئا فقد حجبه[4] .

وقال صاحب مجمع البحرين هو الحاجز . وقال الزبيدي في تاج العروس : الحجاب كل ما حال بين شيئين .

والحجاب اصطلاحًا : هو ستر جميع جسد المرأة ما عدا الوجه والكفين أمام الناظر الأجنبي .

وفي الشرع يراد به ما يمنع الفتنة بين الجنسين، ويتحقق بستر العورة، والغض من البصر، ومنع الخلوة، والكلام اللين واللمس، وللنساء هو الامتثال لجميع آداب التحشم بما فيه ملابسها وزينتها، وغض بصرها ، وعورة صوتها ، وإضفاء كل ما يحقق لهن الوقار والاحترام .

هذا وقد شاع عن الحجاب مدلولات خاطئة حيث قيل ، أنه استقرار المرأة في البيت ، ووصفه البعض الآخر أنه غطاء الرأس ، أو أنه غطاء يغطي جميع الجسد من الرأس حتى القدمين .

وقد ذكر الحجاب في القرآن الكريم في آية واحدة سميت "آية الحجاب" ، وهي التي نزلت في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم، حينما سأل عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" رسول الله ﷺ في وجوب وضع حجاب لزوجاته ﷺ يحجبهن عن الأجانب فنزل قوله تعالى في سورة الأحزاب :

---

(1) الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، مادة "حجب" ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ص٦٨ .

(2) الجرجاني ، التعريفات ، (حجب) ، ج١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص١١١ .

(3) الفيومي ، المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (حجب) ، ج١ ، ص١٢١ .

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، (حجب) ، ج١ ، دار صادر ، بيروت ، ص٢٩٨ .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً(٥٣) } ([1]). وكان نزول هذه الآية صبيحة عرس رسول الله ﷺ "بزينب بنت جحش"؛ فالمقصود بالآية الشريفة زوجات الرسول ﷺ حيث فرض عليهن تغطية جميع الجسد بما فيه الوجه والكفين بأن يوضع ساتر بينهم وبين الناس عمومًا ([2]) .

وقال القاضى عياض : "فرض الحجاب مما اختص به أمهات المؤمنين وهو فرض عليهن بلا خلاف فى الوجه والكفين ، ولا يجوز لهن كشف ذلك لا فى شهادة ولا غيرها" ([3]).

والمقصود بالحجاب فى الآية الشريفة : هو الساتر الذى تجلس خلفه المرأة، وليس لباسًا تلبسه ، والمراد به حديث الرجال الأجانب لنساء النبى الذى يجب أن يكون من وراء حجاب ، فيحقق منع لقاء زوجاته ﷺ بالرجال الأجانب سواء داخل البيت أو خارجه .

ولم يفرض الحجاب (بمعنى الساتر بين الرجال والنساء) على غير نساء النبى ، وكانت عامة الصحابيات "رضى الله عنهن" لا يحتجبن حيث فقهن أن خصوصية الحجاب خاصة بنساء النبى([4]).

وفى فتاوى ابن تيمية فإن الضمير فى قوله تعالى فى آية الحجاب عائد إلى أزواجه ﷺ وليس للمملوكات ذكر فيه ([5]) .

٢- مفهوم الخمار:

الخمار فى اللغة للمرأة هو النصيف ، وقيل الخمار ما تغطى به المرأة رأسها ، وجمعه أخمرة ، وخمر بكسر الخاء والميم وتشديد الراء ، وتخمرت بالخمار أو اختمرت لستره وخمرت به رأسها أى

([1]) أخرجه أحمد فى مسنده ٤٥٦/١ .

([2]) البهى الخولى ، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط٥ ، ١٩٩٤ ، ص١٦٠ ، ١٦١ .

([3])المرجع السابق ، ص١٦١ .

([4]) عبدالحليم أبو شقة ، تحرير المرأة فى عصر الرسالة ، ج٣ ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٩٥م ، ص٦٩ .

([5]) ابن تيمية ، الإمام تقى الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، الفتاوى ، الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، د.ت ، ج١٥ ، ص٤٤٩ .

غطته([1]) والتخمير التغطية وهو ما تغطى به المرأة رأسها ([2]) وفى المصباح المنير ، الخمار ثوب تغطى به المرأة رأسها ([3]) . وقال الزبيدى فى تاج العروس : كل ماستر شيئا فهو خماره ومنه خمار المـــرأة تغطى به رأسها ([4]) .

وله أشكال ؛ كالطرحة أو الشال أو الإيشارب ، ويدخل فى سياقه تغطية الصدر وهو الـــذى فرض على زوجات الرسول ﷺ ونساء المؤمنين عامة فى نص قرآنى صريح نزل فى قولـــه تعـــالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ } و المراد من الآية الشريفة، ستر نحورهن وصـــدورهن مـــن التعرى والتكشف ، حيث لقن الإسلام البشر أصول التستر والتحشم، وحظر العرى والتبرج، قال رسول الله ﷺ "إياكم والتعرى ، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضى الرجل إلى أهله"([5]) .

وكان نساء "الأنباط" يسدلن الخمار إلى ظهورهن فيبقى العنق والنحر والأذنان غير مستورة ؛ لذا ورد الحكم فى هذه الآية بستر هذه المناطق ([6]) .

وكان الخمار شائعًا بين نساء الأمم القديمة فى بابل وآشور وفارس والروم والهند كما انتشر بين نساء العرب فى عصور الجاهلية .

وعلى الرغم من تبرج نساء الجاهلية، والذى جاء ذكره فى القرآن، فقد كان الـــبعض منـــهن يرتدين الخمار، ويخبئن وجوههن بغرض التستر، وقد ظهر هذا فى أشعار الجاهلية ([7]). ويتجلـــى ذلك واضحًا فى قول النابغة الذبيانى :

([1]) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، (خمر) ، ج٤ ، ص٢٥٧ .

([2]) المغرب فى ترتيب المعرب ، لأبو الفتح بن المطرز ، (خمر) ، ج١ ، ص٢٧٠

([3]) الفيومى ، المصباح المنير ، مرجع سابق ، (خمر) ، ج١ ، مكتبة اسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩ ، ص١٨١ .

([4]) محمد مرتضى الزبيدى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة : خَمَر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج١ ، ١٣٠٦هـــ ، ص١٣٩ .

([5]) الترمذى : كتاب الأدب ، باب ما جاء فى الاستار عند الجماع ، ٥ / ١١٢ حـــديث رقـــم (٢٨٠٠) مـــن حديث ابن عمر .

([6]) انظر سيد قطب ، وابن تيمية وسيد طنطاوى وآخرون ، الغارة على الحجاب ، مكتبة التـــراث الإســـلامى ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ص١٩٥ – ١٩٩ .

([7]) محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القـــرآن ، دار الفكـــر ، بـــيروت ، ١٤٠٥ ، ج٣٠ ، ص٦٢.

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد ([1])

٣- النقاب :

النقاب فى اللغة هو اللغام أو اللثام فإذا كان على طرف الأنف فهو اللغام واذا كان على الفم فهو اللثام والنقاب هو القناع على مارن الأنف (الحاجز بين المنخرين) ، والجمع نقب وكان النقاب لاحقا بالعين أو أن يبدو إحدى العينين والأخرى مستورة ([2]) قال الفراء : "إذا أدنت المرأة نقابها على عينها ، فتلك الوصوصة ، وان أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب ([3]) وقال ابن سيرين : "إنما كان النقاب لاحقا بالعين ، فإذا لم يبد منه سوى العينين فذلك "الوصوصة" وكانت الوصاوص، والبراقع يستعملها النساء ثم أحدثن النقاب" ([4]) .

والنقاب هو ما تضعه المرأة على وجهها لستره وهو ما يطلق عليه البرقع وقد عرف النقاب والبرقع فى زمن الجاهلية وتغنى به وذكره الشعراء ، قال "عنترة ابن شداد" :

يبيت فتات المسك تحت لثامها   فيزداد من أنفاسها أرج الند ([5]).

وفى الإسلام فإن حكم النقاب خاص بأمهات المؤمنين رضى الله عنهن وهو ليس ملزمًا وعامًّا للنساء، والدعوة لتغطية الوجه بالنقاب لغير زوجات النبى سواء من باب الفريضة أو الوجوب أو الندب أو الإباحة، لم ترد بحكم صريح فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة ([6]) .

وقد نهى الرسول ﷺ عن الانتقاب للنساء فى الإحرام والذى ورد فى حديثه ﷺ "لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين ([7]) .

([1]) البيت من بحر الكامل من قصيدة عدد أبياتها (٣٥) بيتًا وهو البيت السابع عشر منها . . انظر المكتبة الشعرية الإلكترونية ، المجمع الثقافى بأبى ظبى .

([2]) ابن سلام ، غريب الحديث ، (نقب) ، ج٢ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٦هـ ، ص٤٢٩ .

([3]) ابن منظور ، لسان العرب مرجع سابق ، (نقب) ، ج١ ، ص٧٦٨ .

([4]) ابن الجوزى ، غريب الحديث ، (نقب) ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٤٢٩ .

([5]) البيت من بحر الطويل من قصيدة عددها (١٩) بيتًا وهو البيت الحادى عشر منها. انظر المكتبة الشعرية الإلكترونية .

([6]) اسماعيل منصور ، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب ، للمؤلف ، ١٩٩٠ ، ص٨٢ – ٨٧ .

([7]) أخرجه البخارى : كتاب الحج ، أبواب المحصر وجزاء الصيد ، باب ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة ، ٣ / ٤٠ معلقا . أبو داود : كتاب المناسك ، باب ما يلبس المحرم ، ٢ / ١٧١ ، حديث رقم (١٨٢٥) (١٨٢٦) من حديث ابن عمر . النسائى : كتاب الحج ، ، ٣ / ١٣٣ .

والقفاز لم يأمر به الشرع أو ينه عنه وحكمه حكم النقاب . يقول الشيخ محمد الغزالى"إن الأوربيين يعرفون ملابس الفضيلة فى أزياء الراهبات، وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعى عندنا، واذا نحن التزمنا بهذا الحجاب، أنصفنا ديننا، وأغرينا عشاق الفضيلة للدخول فيه، أما إخفاء الأيدى فى القفازات، وإخفاء الوجوه وراء النقب، وجعل المرأة شبحًا يمشى فى الطريق معزولاً عن الدنيا ، فذاك ما لم يأمر به دين ([1]) .

وقد اختلف العلماء فى مسألة النقاب؛ حيث حرمه البعض تحريمًا تامًّا، وحلله البعض الآخر ، فمن العلماء الذين نادوا بضرورة التزام النقاب ، العالم الإسلامى" أبو الأعلى المودودى " ، وهو من كبار علماء باكستان ، والكاتب الإسلامى السورى الدكتور محمد سعيد البوطى .

ورجح كشف الوجه والكفين ، الشيخ "ناصر الدين الألبانى" ، والعالم الشيخ "محمد الغزالى" وغيرهم، ومع أننى أقف فى مصاف القسم الآخير من العلماء الذين يتعاملون مع الدين بالتيسير وعدم التشدد والتضييق، وهو أن الوجه والكفين ليسا بعورة، وكشفهما جائز شرعًا ، فالإسلام دين اليسر والسماحة والرحمة ، قال تعالى فى سورة البقرة :{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (١٨٥)}. إلا أنه يجب القول أن النساء التى ترغب فى إخفاء وجهها فلا ينبغى تحريمه عليهن، فهى حرية شخصية سلوكية، ولا ينبغى فرض عليهن ما يرونه زيادة فى التستر، وخاصة اذا أبدت المنتقبة استعدادها لكشفه فى حالات الضرورة مثل التقدم للامتحان، أو عند الإجراءات الأمنية فى حالات السفر أو أى حالات أخرى ، فالتحريم ورد فى الإحرام فقط ، ولم يرد التحريم الشرعى عامًّا لهؤلاء المنتقبات ، وبما أنه لم يرد تحريم جامع فليس هناك حق شرعى فى تحريمه، وفى الوقت نفسه لا ينبغى على أحد أن يعترض على كشف المرأة لوجهها وكفيها أو فرض النقاب عليهن .

([1]) محمد الغزالى ، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٩٦م ، ص٧ .


http://kotob.has.it

الفصل الأول

حجاب المرأة فى المعتقدات القديمة والأديان السماوية

تتناول الدراسة فى هذا الفصل مسألة تستر المرأة فى المعتقدات القديمة من خلال الأمم التى عاشت فى العصور القديمة كالفراعنة ، والأشوريين ، والإغريق ، والهنود ، والفرس ، والرومان ، وعصور الجاهلية ، الذين تنوعت عقائدهم بدءًا من الوثنية ومرورا بالزرادشتية والبوذية والكونفوشية والمانوية وغيرها ، من حيث مكانة المرأة ونظرة كل منهم إليها ، وفى الوقت نفسه تسعى الدراسة إلى توضيح فكرة ضرورة تحجب المرأة وتسترها حيث كان غطاء الرأس عند المرأة معروفاً فى العصور القديمة لتحقيق احترامها وشرفها . ومن جهة أخرى حرصهم على صيانتها وحمايتها وتخفيها عن أعين الغير ، وبعد ذلك تتجه الدراسة نحو تفسير فكرة الحجاب فى الأديان السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام من خلال الشرائع والنصوص المقدسة التى وردت فى كل منها على حدة بهدف إثبات أن تستر المرأة واحتشامها مسألة تقرها جميع الأديان السماوية والتى كملها الإسلام فى أعظم صورها فجعل ستر المرأة شكلاً ومضمونًا فرضا أساسيًا يتكامل إنسانيًا واجتماعيًا لكل إمرأة مؤمنة طائعة لله .

المبحث الأول :

حجاب المرأة فى العصور القديمة :

عهد الفراعنة:

* كانت المرأة فى عهد الفراعنة تحظى بتقدير واحترام المجتمع ، وكان للنساء الحق فى التصرف فى أموالهن واللجوء إلى القضاء، وكن يتبوأن مناصب رئاسية كبرى فى مؤسسات الحكم المختلفة لم تحظ بها أى امرأة فى حضارة أخرى من الحضارات القديمة . ففى عهد الأسرة ١٨ كانت المرأة تهتم كثيرًا بأناقتها وزينتها فكانت ترتدى رداء يغطى الكتفين والصدر والجزء الأعلى من الذراعين وتستخدم الكحل وتستخدم الحناء فى طلاء أظافرها . أما فيما يختص بشعرها فكانت الباروكة (الشعر المستعار) جزءاً أساسيًّا فى التجميل عندها، وكان الغرض من استخدامها حماية الرأس من أشعة الشمس.

وكان الشعر المستعار يزين بحبات من الذهب مع الضفائر ، وكانت تغطى شعرها المستعار الطويل بغطاء رأس من القماش المزركش ([1]) .

وكانوا يستخدمون الشعر المستعار من الشعر الآدمى، وإذا لم يتوفر فيستخدمون شعر ذيول الخيل أو الماعز، وكان يستخدمه الرجال والنساء على السواء فى المناسبات المختلفة . وكان المصريون القدماء يغطون الشعر المستعار بقماش مخطط بخطوط مستعرضة، وكان هذا الشكل مألوفاً عند الفراعنة كما كانت أعضاء الأسرة المالكة تغطى رؤوسها بالتيجان ، فكان التاج الأبيض يرمز للوجه القبلى ، والتاج الأحمر يرمز إلى للوجه البحرى وشاع استخدام أغطية رأس مختلفة فترة حكم الأسر من ٢٧ – ٣٢ حوالى القرن ١٦ ق.م ([2]) .

عهد الآشوريين:

أكدت حفريات القرن الثانى قبل الميلاد العثور على لوحات تظهر فيها نساء يغطين رؤوسهن ، إضافة إلى وجود قوانين فى هذه الحفريات توضح فرض عقوبات ضد النساء اللاتى لا يرتدين

([1]) تحية حسين، الأزياء المصرية، من الفراعنة حتى عصر محمد على، دار المعارف، القاهرة ، ص٢٩-٣١ .

([2]) المرجع السابق، ص١٣ .

الحجاب . وقد جرى العرف ان المرأة البابلية يفرض عليها المكوث فى بيتها من أجل تربية أبنائها وادخال السرور على قلب زوجها ([١]) .

عهد الإغريق:

كانت المرأة اليونانية معزولة تمامًا عن المجتمع وكانت ترتدى حجابًا كاملاً لا يظهر منه سوى العين . وكان الحجاب شائعًا عندهم فكانوا يبنون بيوتهم على قسمين قسم للنساء وآخر للرجال، ولا تشارك النساء عندهم المجالس والأندية المختلطة ، ولا يبرزن فى الأماكن العامة ، وكان زواج المرأة وملازمتها لزوجها دون غيره من أمارات النجابة والشرف ، وكانوا يطالبون المرأة باتباع قيم العفاف والطهارة ويؤاخذونها على التهاون فيها ([٢]) . وكان مؤرخو اليونان ينادون بحبس اسم المرأة فى البيت كما يحبس جسمها ([٣]) .

ويصف "أندروسكى" شخصية المرأة عند الأغريق بقوله : "قد نتمكن من أن نعالج حرقة النار ولدغة الحية . ولكن ليس للمرأة السيئة الأخلاق أى علاج"([٤]) .

ويذكر بلوتارك : أن النساء الشريفات اليونانيات والرومانيات كن يغطين وجوههن بالبراقع فى المجتمعات العامة ([٥]) .

عصر بوذا:

لم تكن المرأة الهندية منعزلة عن المجتمع إلا أن بوذا كان له رأى خاص فى المرأة وكان يقول : "خير للإنسان العاقل أن يقع بين فكى نمر مفترس من أن يساكن إمرأة ويحرك من نفسه الشهوة"([٦])

وفى مسائل غض البصر، وصوت المرأة ، ومجالسة النساء ، وهى من ملحقات الحجاب فقد سأل بوذا أحد خاصته : كيف نعامل النساء ؟ فأجاب بوذا : لا تنظر إليهن .

([1]) محمد عبدالمقصود ، المرأة فى جميع الأديان والعصور ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٣٠ .

([2]) أبو الأعلى المودودى ، الحجاب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٥ ، ص١٦ .

([3]) البهى الخولى ، مرجع سابق، ص١١ .

([4]) عبدالمتعال الجبرى ، المرأة فى التصور الإسلامى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨١م ، ص١٤٠ .

([5]) انظر دائرة المعارف الكتابية ، مادة برقع .

([6]) محمد عبدالمقصود ، المرأة فى جميع الأديان والعصور ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٣٢ .

فسأله : وإذا اضطررنا للنظر إليهن ؟ فأجاب بوذا : لا تخاطبهن . فسأله : وإذا خاطبننا؟ فأجاب بوذا : إذًا فكن على حذر تام منهن .

وكان بوذا مترددًا فى ضم النساء إلى جماعته ، ويرى أن المرأة خطر على المجتمع البوذى (١) . وكانت المرأة فى الثقافات الشرقية تلعب دور التابع ، وقد تغلغلت هذه النظرة للمرأة فى البوذية ؛ لذا كانت المرأة عندهم تستقر فى الطبقة الثانية من الاستنارة عند بوذا (٢) . و فى نظر البوذيين فالنساء كالمصيدة ، وضعن لإغراء وفتنة الرجال ، وهذا الإغواء هو الذى يُعمى أفكار العالم ، ويرون أن النجاة لا تحصل بمجالسة النساء، وإنما بالعزوبة والفرار منهن (٣) .

تشريع مانو :

اعتبر مانو ان المرأة ما هى إلا جسد يوشك ألا يكون لها روح وكان ينظر إلى المرأة على أنها مخلوق نجس يجب التحرز منه (٤) . .

وفى تشريع مانو المرأة تخاطب زوجها فى خشوع ، وتمشى خلفه بمسافة، وقلما يوجه إليها كلمة، ولا تأكل معه ، وتأكل ما تبقى منه (٥) .

فارس:

كان الزرادشتيون يعتقدون أن المرأة كائن غير طاهر، وعليها أن تربط فمها وأنفها بعصابة كيلا تدنس بأنفاسها الأشياء المقدسة . كما أدخل زرادشت تغييرات هامة على المجتمع الفارسى، ومن أهمها ضرورة احتجاب المرأة حتى عن محارمها مثل الأب والأخ والعم وغيره، ولا يحق لها رؤية أحد من الرجال وليس للمرأة الحق فى التكلم وكان يوضع على فمها قفل . ومن أقوال زرادشت عن العفة : الخيرُ أن يقع الرجل بين براثن سفاح من أن تحدق به أشواق امرأة جامحة ملتهبة .

---

(1) أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص٩ ، ١٩٩٣ ، ص١٧٩ ، ١٨٠ .

(2) جين هوب بورن فان لون، بوذا ، ترجمة إمام عبدالفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ٣٠٣ ، ٢٠٠١ ، ص١٦٧ .

(3) عبدالمتعال الجبرى ، مرجع سابق ، ص١٤٢ .

(4) محمد عبدالمقصود ، مرجع سابق ، ص٣٢ .

(5) البهى الخولى ، مرجع سابق ، ص١١ .

ومن أقواله أيضًا : لابد للمرأة أن تخضع ، لأن روح المرأة سطحية فهى صفحة ماء متماوجة تداعبها الرياح . ويقول : إذا ما ذهبت إلى النساء فلا تنس السوط (١) .

ويذكر "ويل ديورانت" الحجاب فى بلاد فارس فيقول : "لم تكن نساء الطبقات العليا يجرؤن على الخروج من بيوتهن إلا فى هوادج مسجفة، ولم يسمح لهن بالاختلاط بالرجال علنا، وحرم على المتزوجات منهن أن يرين أحدا من الرجال ولو أقرب الناس إليهن كآبائهن أو إخوانهن ، ولم يرسمن فى النقوش أو التماثيل العامة فى بلاد الفرس، أما السرارى فكنا أكثر من غيرهن حرية ويستعان بهم على تسلية ضيوف أسيادهن" (٢)

عصر الرومان:

كانوا ينظرون إلى المرأة باعتبارها أداة الإغواء التى يستخدمها الشيطان لافساد القلوب(٣) . ويعتقدون أنها رجس ليس لها أن تأكل اللحم ولا تضحك ولا تركب عربات(٤) . وكانت تمنع من الكلام . وكان اختلاط المرأة بالرجل غير مسموح به فى المملكة الرومانية وكانت المرأة الرومانية لا تخرج من بيتها إلا ووجهها ملثم وعليها رداء طويل يلامس الكفين وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها ، وظلت تستخدم هذا الأسلوب فى الملابس حتى القرن الثالث عشر حتى أصبحت النساء تتخفف منه بعض الشيء إلى أن صار الآن نسيجا خفيفا يستخدمونه لحماية الوجه من التراب والبرد . وكان العفاف فى النساء ينظر إليه بعين الإجلال ويعد مقياسا للشرف ، وكانت المرأة عندهم لا تتبوأ مكانة فى المجتمع إلا إذا كانت أما الأسرة إلا أن المجتمع الرومانى بعد أن طرأت عليه المدينة والحضارة تبدلت نظرتهم إلى المرأة فاندفعوا إلى تيار العرى والفواحش وزينوا بيوتهم بصور ورسوم تدعو إلى الفجور والدعارة حيث راجت عندهم مهنة الداعرات وانجذبت إليها نساء البيوتات ونتيجة لتلك الأفعال دالت دولة الرومان وتمزق جمعها (٥) .

---

(1) فريدريك نيتشه ، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، دار القلم ، بيروت ، ص٨٠ ، ٩٢ ، ٩٣ .

(2) ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ج٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٤٤٢ .

(3) أحمد شلبى، مقارنة الأديان، الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ج٣، ص١٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٠٤.

(4) محمد عبدالمقصود ، مرجع سابق ، ص٤١ نقلاً عن طه عبدالله العطيفى ، حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ، ص١٢ ، ١٣ .

(5) أبو الأعلى المودودى ، مرجع سابق ، ص٢٠ – ٢٤ .

العصر الجاهلى :

كان عرب الجاهلية ينظرون إلى المرأة نظرة متشددة قاسية وكان بعضهم يئدون البنات باعتبارها عارا عليهم ، والبعض الآخر ينظر إليها بازدراء ويستعلون عليها ويكلفونها بالأعمال الشاقة ([1]) . فالحجاب كان معروفا عند النساء فى الجاهلية وكن يلبسن البراقع ويلزمن الخدور ، والخدر هو الستر ، وقد أكد على هذا شعراء الجاهلية فى ثنايا أشعارهم التى يتحدثون فيها عن المرأة ومنها قول "عنترة بن شداد" :

جفون العذارى من خلال البراقع أحد من البيض الرقاق القواطع([2]) .

هذا وقد اختلف المؤرخون حول مكانة المرأة فى الجاهلية فمنهم من رماها بأحط الصفات ، ومنهم من علىّ بمكانتها فى المجتمع .

والواضح أن القدماء كانوا يعتقدون أن المرأة مصدر وأداة للاغواء ، وكانوا يخشون من فتنتها ؛ لذا نادوا بوجوب التزامها بالصمت وعدم مجالسة الأجانب ودعوا باحتجابها خوفاً عليها وصيانة لشرف زوجها وسيادته عليها ؛ وذلك لكونها تحتل المرتبة الثانية بعد الرجل .

([1]) محمد بن سعد الشويعر ، حماية الإسلام للمرأة ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص١٢ .

([2]) المكتبة الشعرية الإلكترونية ، البيت مطلع قصيدة من بحر الطويل عددها (٢٣) بيتًا . ، مرجع سابق .

المبحث الثانى :

الحجاب فى اليهودية من خلال التوراة :

فرضت اليهودية على المرأة ضرورة وضع غطاء على رأسها بهدف حشمتها وسترها، حتى أنها كانت تميل إلى التشدد فى تطبيقه .

وقد عُرف النقاب فى اليهودية ، فجاء فى العهد القديم أن العروس عند زفافها كانت تضع برقعًا أو نقابًا على وجهها من قبيل الاحتشام ([1]) .

وكلمة "برقع" وردت فى العهد القديم مترجمة عن أكثر من كلمة عبرية مثل "سوه": وورد فى سفر الخروج: "نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشريعة فى يد موسى . كان جلد وجهه يلمع وهو لا يعلم ، فخاف الشعب أن يقتربوا إليه فلما فرغ من الكلام معهم جعل على وجهه برقعًا"([2]) .

ووردت كلمة النقاب فى العبرية أيضا فى كلمة "مسيكة" وهى النقاب وأيضًا كلمة "كاماه"([3]). وكلمة "كايف" وتعنى النقاب .

وجاء فى "سفر التكوين" عن "رفقة" ، أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل وقالت للعبد : "من هو الرجل الماشى فى الحقل للقائنا، فقال العبد: هو سيدى ، فأخذت البرقع وتغطت" ([4]) .

وفى سفر "نشيد الأنشاد" الذى ينسب إلى "سليمان" جاء فيه : "أخبرنى يا من تحبه نفسى ، أين تربض عند الظهيرة ؟ ولماذا أنا أكون كمقنعة عند قطعان أصحابك"؟([5]) .

وفى "سفر التكوين" قصة "تامار" التى مضت وقعدت فى بيت أبيها بعد طلاقها ، ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت " ([6]).

([1]) سفر التكوين (٦٥/٢٤) ونشيد الأنشاد (١/٤ ، ٣) .

([2]) سفر الخروج (٣٤ / ٣٣ – ٣٥) .

([3]) سفر أشعيا (٢/٤٧) .

([4]) سفر التكوين ، (٢٤ / ٦٤) .

([5]) نشيد الأنشاد ، (١ / ٧) .

([6]) سفر التكوين ، (٣٨ / ١٨ – ١٩ .

وورد فى "سفر أشعيا" أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب حيث جاء فيه :

"وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وفاغرات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن : يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن" ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشماست والأحراز والخواتم وخزائم الأنف والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس والمرائى والقمصان والعمائم والأزر ، فيكون عوض الطيب عفونة ، وعوض المنطقة حبل ، وعوض الجدائل قرعة، وعوض الديباج زنار مسح ، وعوض الجمال كى . رجالك يسقطون بالسيف وأبطالك فى الحرب فتئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض ، فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم قائلات : نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا ليدع اسمك علينا انزع عارنا ([1]) .

وجاء فى "سفر التثنية" أنه إذا ظهر من الزوجة ما يشينها فى نظر زوجها فإنه يكتب إليها ورقة طلاقها ويخرجها من منزله .

يقول نص التوراة : "إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمه فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته" ([2]) .

وفى اليهودية المرأة لا تتزين إلا لزوجها فقط ، يقول "ويل ديورانت" : "ولم يكونوا يرون باسا أن ينفق الرجل بسخاء على ملابس زوجته ، ولكنهم كانوا يطلبون إليها أن تجمل نفسها لزوجها لا لغيره من الرجال" ([3]) .

وقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة فى الرسومات والصوروالتماثيل عند اليهود ، عن أنواع أغطية الرأس التى كانت تستخدمها المرأة اليهودية قديمًا، كان أبسطها العصابة فكانت النساء يلبسن إما "العصائب" ([4]) أو العمائم ([5]) وكانت جميعها للزينة ، وكان العريس يتزين بعمامة

([1]) سفر أشعيا (٣ / ١٦-٢٦) .

([2]) سفر التثنية ، (٢٤ ١ ، ٢) .

([3]) ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص٣٥ .

([4]) سفر أشعيا (٣ / ٢١) .

([5]) سفر أشعيا (٣ / ٢٤) .

فيقول "سفر أشعيا" : "تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص ، كساني برداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ، ومثل عروس تتزين بحليها" (١) .

وفي وعيد للكلدانيين جاء في "سفر أشعيا" : "انزلي واجلسي على التراب أيتها العذراء ابنة بابل، اجلسي على الأرض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين ؛ لأنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفهة خذي الرحى واطحني دقيقاً . اكشفي نقابك شمري الذيل . اكشفي الساق . اعبري الأنهار . تنكشف عورتك وترى معاريك(٢).

ويقول الحاخام "مناحم أم براير" : أنه كان من عادة النساء اليهوديات الخروج على الملأ بغطاء رأس ، وأحيانا كان الوجه يغطى بالكامل وتترك عين واحدة للرؤية (٣) .

كذلك يرى البعض أن عدم تغطية المرأة لرأسها يعد إهانة لتواضعها ، وأحيانا يرمز بالحجاب أنه علامة ترف في المجتمع بمعنى أن من ترتدي الحجاب تدل على احترامها لذاتها ولمرتبتها الاجتماعية ، وكثيرًا ما كانت ترتديه نساء الطبقات الدنيا لتضليل الجمهور ليظهروا في طبقة أعلى (٤) .

كذلك فإن كشف المرأة لرأسها يعد جريمة وتعاقب عليها بدفع غرامة مالية(٥) .

هذا وقد تعرض حاخامات اليهود وربانيهم للحديث عن غطاء رأس المرأة اليهودية هل هو فريضة تلتزم بها المرأة اليهودية ؟ أم هو تقليد ورثته من العادات القديمة بهدف التستر والاحتشام خاصة بعد الزواج ؟ وردًا على هذه الاستفسارات، ورد في إحدى الدراسات اليهودية تحت عنوان: "تغطية رؤوس النساء هل هي فريضة إلزامية"؟ (٦)

تقول الدراسة : " إن أحد الأسباب الكامنة وراء إحجام النساء عن الزواج هي الحقيقة التي تقول أنه يجب على المرأة تغطية رأسها بعد الزواج مما أدى إلى توجه المرأة اليهودية إلى تأجيل

---

(1) سفر أشعيا (٦١ / ١٠ ، ١١) .

(2) سفر أشعيا ، (٤٧ / ١-٤) .

(3) Menachem M. Brayer, The Jewish Woman in Rabbinic Literature: A psychosocial perspective Hoboken, N. J : Ktav Publishing House, 1986 pp. -, Also see pp. , p. 316 .

(4) Susan w. Schneider Jewish and Female, New york: Simon, Schuster, 1984, pp. w., p. 238 .

(5) سفر العدد (١٦ : ٥ – ١٨) .

(6) "تغطية الرأس للنساء هل هي فريضة إلزامية". مركز أبحاث المعهد الديني "عطيرت كوهنيم" (إكليل الكهنة). بدون تاريخ. (دراسة باللغة العبرية) .

زواجها بسبب هذا الغطاء ، وسيطرت عليها علاقة "الرفقة" بدلا من الزواج ، حتى تعيش فى حرية ولا تلتزم به .

و ذكرت الدراسة : أن الشريعة اليهودية فى التوراة لم تفرض تشريعًا ملزمًا للمـــرأة لتغطيـــة رأسها بعد الزواج ، والموضع الوحيد الذى ذكرت فيه التوراة تغطية رأس المرأة المتزوجة ، هـــو حالة تحرى الكاهن عن خيانة المرأة لزوجها ، حيث ورد أن الكاهن يكشف رأس المرأة قبـــل أن تشرب ماء اللعنة ؛ فيدل النص على ان المرأة كانت مغطاة الرأس ([١]) . ونص التوراة يقول :

"وكلم الرب موسى قائلاً : كلم بنى إسرائيل وقل لهم : إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة ، واضطجع معها رجل زرع وأخفى ذلك عن عينى رجلها ، واستترت وهى نجسة ، وليس شـــاهد عليها وهى لم تؤخذ فاعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى نجسة ، أو اعتراه روح الغيرة وغار على امرأته وهى ليست نجسة ،يأتى الرجل بإمرأته إلى الكاهن ، ويأتى بقربانها معها عشر الايفة من طحين الشعير لا يصب عليه زيتاً ولا يجعل عليه لبانًا، لأنه تقدمة غيرة تقدمة تذكار تذكر ذنبًـــا ، فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب . ويأخذ الكاهن ماء مقدسًا فى إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذى فى أرض المسكن ويلقيه فى الماء ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويكشف رأس المرأة ويجعل فى يديها تقدمة التذكار التى هى تقدمة الغيرة ، وفى يد الكاهن يكون ماء اللعنـــة المـــر . ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها : إن كان لم يضطجع معك رجل وإن كنت لم تزيغى إلى نجاسة من تحت رجلك فكونى بريئة من ماء اللعنة هذا المر" ([٢]) .

ومن سياق هذا النص استدل المفسرون ان المرأة المتزوجة فى الأصل تغطى رأسها ، وأنـــه فى حالة تحرى الكاهن عن خيانتها يجوز للمرأة إماطة غطاء رأسها ، وهو أمـــر "مســـتنكر" وحالـــة استثنائية ، تمثل جزءًا من العقاب لها ؛ وذلك لأن كشفها لرأسها يخرجها من دائرة العفة والشرف.

([1]) ورد النص الذى يبين هذا فى التوراة فى سفر العدد (٥ / ١٨-٢٠) .

([2]) سفر العدد (٥ : ١١ – ٣١) والنصوص التى وردت فى هذا الشأن تعرف عند اليهود باسم (قانون الغيرة) وفى الوقت نفسه تكشف عن نفوذ الكهنة اليهود الذين تغلغلوا فى القضايا الدينية وتمكنوا من الهيمنة للدرجة التى تعطيهم الحق فى الاختلاء بالمرأة المشكوك فيها وكشف رأسها (انظر رشاد الشـــامى ، الوصـــايا العشـــر فى اليهودية، دراسة مقارنة فى المسيحية والإسلام، دار الزهراء للنشر ، ١٩٩٣م ، ص٢٤٩ ، ٢٥٠) .

وحسبما ورد فى نص التوراة فإن المرأة التى انفردت برجل آخر غير زوجها يدل علـى سـلوك يبعدها عن التقوى وأنها فى هذه الحالة لا تستحق أن تضع غطاءاً على رأسها الذى هو رمز لتقواها.

ويقول "رابى يشماعئيل" فى تحذيره لبنات إسرائيل من الخروج حاسرات الـرؤوس وكـذلك "الرابى شلومو يتسحاق" المشهور بـ "راشى" وهو من أكبر مفسرى اليهود فى العصور الوسـطى عن المرأة السوطاه (الجانحة) ([1]) . من خلال النص الذى ورد عن كشف الكاهن لشـعر المـرأة المشكوك فى أمرها .

أنه وردت عبارة "يكشف رأسها" للاستدلال على أن الأصل "عدم كشف رأس المرأة" ومـن هنا يمكن الاستدلال أنه طبقًا للمقولة الشرعية أنه ليس من السلوك القويم لبنات إسرائيل أن يمشين وهن مكشوفات الرأس، لأنه ليس من سلوكها أن تكشف عن رأسها أمام الآخرين ؛ لـذا فـإن كشف الرأس هو بمثابة تحقير لها لأن بنات إسرائيل كن يغطين رؤوسهن ([2]) .

وعلى الرغم من هذا فلا يوجد تشريع ملزم واضح فى التوراة بتغطية الرأس ، لكن هناك تعاليم ونواهٍ أخر لها وزنها الهام فقد جاء فى الوصايا العشر:

"لا تشته منزل صاحبك ، ولا تشته امرأة صاحبك ، ولا عبده ، ولا أمته ، ولا ثـوره ، ولا حماره ، وكل ما لدى صاحبك"([3]) .

ويفسرون هذا النص أن المرأة المتزوجة تقع عليها مسئولية التعريف بنفسها للرجال؛ لذا فلابد للمرأة المتزوجة من علامة تميزها عن غير المتزوجة فلزم عليها تغطية رأسها حتى لا يقع الرجال فى خطأ غير مقصود، وهى أن يشتهى امرأة صاحبه ، وخلصوا من هذا أن المرأة المتزوجة التى تغطـى رأسها تصنع معروفاً للرجال الذين لا يعلمون أنها متزوجة.

([1]) سوطا أحد اجزاء المشنا فى القسم الثالث المسمى "ناشيم"، ويتألف من سبعة مباحث ويتناول الشرائع الخاصة بالأسرة . وهذا المبحث يشتمل على العقوبات التى توقع على الزوجة الثانية و"سوطا" بمعنى "الجانحـة" وقـد استقى المشرعون مواد هذا المبحث مما ورد فى سفر العدد (١١-٣١) انظر (محمد بحر ، اليهوديـة ، مركـز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ٢٠ ، ٢٠٠١م ، ص١٢٧) .

([2]) إيلان كوهين ، أحكام غطاء الرأس عند المرأة اليهودية، "يشيفا"، (بركَتْ موشيه) مستعمرة معليـه أدومـيم، (باللغة العبرية) ، ص١٤ . نقلاً عن שו"ת בני בנים (الأسئلة والأجوبة أو "الفتاوى") جزء (٣) .

([3]) سفر الخروج ،(٢٠/١٣) .

ويذكر المفسرون اليهود لنصوص التوراة أن النساء كانت تستخدم الادعاء بالتقوى بتغطية الوجه من أجل الخداع، مثلما حدث فى قصة "تامار" التى ذكرتها التوراة عندما غطت وجهها حتى لا يتعرف عليها "يهوذا" بأنها زوجة ابنه فاستطاعت خداعه وجعلته يضطجع معها فقد ورد:

"فأخبرت تامار وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملها ، وتغطت ببرقع ، وتلففت ، وجلست فى مدخل عينايم التى على طريق تمنة . لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهى لم تعط له زوجة . فنظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها فمال إليها على الطريق وقال هاتى أدخل عليك . لأنه لم يعلم أنها كنته . فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل على. فقال إنى أرسل جدى معزى من الغنم . فقالت هل تعطينى رهنًا حتى ترسله. فقال ما الرهن الذى أعطيك . فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك. فأعطاها ودخل عليها. فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها".([1]) ويقول المفسرون اليهود أنه من أجل منع حدوث موقف يستخدم فيه النساء "التقوى" لأجل الخداع ، أعطى الرب للكاهن جواز أن يميط اللثام من على رأس المرأة حتى يتأكد أنها المرأة المقصودة والحقيقية .

وتذكر الدراسة أن التوراة لم تفرض تغطية الرأس، إلا أن النساء فى عصر التوراة اعتدن تغطية الرأس، وكان هذا "عرفاً" سائدًا بينهن، ويظهر هذا من خلال الصور التاريخية للمرأة اليهودية التى تشهد بهذا.

ويقرر العلماء والحاخاميم أن هذا العرف يعد "فريضة إلزامية" . والربانيم يزعمون أنها "إرادة الرب" وتظهر فى كل العصور بشكل متجدد ؛ وهم يتشددون فى هذا الشأن .

ويؤكد الكاتب أن هناك عدداً من التشريعات التى يمكن الاستدلال عليها من القصص والروايات أكثر مما نستدل عليه من الأقوال التشريعية اعتماداً على قاعدة "العمل يغلب على القول" ويقول : إن بعض النساء اعتدن تغطية رؤوسهن، فهل يسرى على النساء غير المتزوجات حيث يرد فى أقوال العلماء "شعر المرأة عورة" ([2]). وكانت غير المتزوجات تغطى رؤوسهن جزئيًا، أما المتزوجات فيغطين شعرهن كاملاً .

([1]) سفر التكوين ، اصحاح ٣٨ ، / ١٨ ، ١٩ .

([2]) ورد هذا النص فى براخوت : أحد فصول المشنا (من باب موعديم: الأعياد والمواسم)٤ .

ويقول الكاتب اليهودى : الحقيقة أن مسألة غطاء رأس المرأة لم تبحث فى الأجيال السابقة، وهذا دليل على أن القواعد كانت واضحة ولم تحتج إلى فتاوى فى هذا الشأن. ويقول "إن فى عصرنا أصبح من الأعراف السائدة الدراسة والتدقيق فى كل تشريع ، هل هو متوافق مع الميول الطبيعية ، وبهذا نخاطر بالانحراف؛ فالإنسان فى هذه الحالة يعمل على تنفيذ الوصية الشرعية بشرط أن توافق عقله، وهذا الفكر يقود إلى مناطق خطرة وليس هو الطريق السليم . والمسألة الإلزامية هى" الطاعة مقدمة على السماع " والأجيال المتأخرة أطلت علينا بشكوك وظنون لم تحدث من قبل فى الأجيال الأولى (١) .

ويوجه الكاتب حديثه للمرأة بقوله: إن أية امرأة لا تريد أن تضع غطاء على رأسها ، يجب عليها ألا تربط بين هذا الأمر وبين أية تبريرات فقهية فيصبح لكل واحد تشريع ينفذه، فنحول ميولنا إلى مجال التساهل فى تنفيذ الشريعة ، وهذه مخاطرة فى حد ذاتها كبيرة، ويستند فى قوله على تعبير الرامبام "موسى بن ميمون" فى قوله "إن المتوارث والعمل هى أعمدة عظيمة فى الفتوى ينبغى أن نتعلق بهما ، والمتوارث هو ما تلقيناه عن السلف ، والعمل هو ما رأيناه عند سابقين علينا ، وأكد الكاتب قوله "إن عدم عثورنا على مواضع تتعلق بغطاء رأس المرأة المتزوجة هو بسبب عدم وجود شكوك فى هذه المسألة ، وفى حالة بحثنا فى تشريعات التوراة بشكل منفصل عن المتوارث وعن الاقتداء بالأعمال فإن هذه الأمور تقود إلى مدى بعيد (٢) .

ويظهر من هذه الدراسة أن الديانة اليهودية تلزم المرأة اليهودية – وخاصة المتزوجة– بوجوب وضع غطاء على رأسها ، وعليها الالتزام بثياب محتشمة حتى يثبت عفتها وشرفها وطهارتها فى

---

(1) نسيم يشعياهو ، مناقشات حول غطاء الرأس عند المرأة اليهودية ، مركز أبحاث المعهد الدينى ، عطيرت كوهنيم .

(2) نسيم يشعياهو ، المرجع السابق ، إسحاق ليزر هو أول من نادى فى أمريكا بمبادئ الحركة اليهودية المحافظة والتى تدعو الى عدم معارضة التجديد وفى الوقت نفسه لا توافق على مطالب أصحاب البدع الذين يعملون على تغيير الديانة اليهودية كل يوم بما يتناسب مع المرحلة التاريخية التى تمر بها . ويعتقد ليزر أن التقدم العصرى وتبنى التجديد فى العقيدة مقبول إذا ثبتت شرعيته . ويرى أن التغيير والتعديل يضر بالديانة اليهودية وطبيعتها، ومع هذا سمح أصحاب الحركة المحافظة ببعض التغييرات فى الشريعة مثل السماح باشتراك الرجل والمرأة فى الصلاة ، وبعض التغييرات فى نظام الزواج ، وتلك التغييرات عارضها الأرثوذكس من اليهود (انظر محمد خليفة حسن ، تاريخ الديانة اليهودية ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ،١٩٩٨م، ص٢٤٧،٢٤٩)

المجتمع الذى تعيشه ، ويؤكد الحاخاميم والربانيم اليهود ضرورة التزام المـرأة بالتحشـم تأسـيًا بالسلف السابق والمتوارث عليه فى العهود السابقة ، فتحصل على رضاء الرب .

والشريعة اليهودية تلزم المرأة المتزوجة أن تضع غطاء على رأسها حتى يعرفها الأجنبى فيبتعـد عنها كذلك ، والشريعة اليهودية تتشدد فى أحكامها على المرأة المتزوجة أكثر من غيرها ، سـواء فى التوراة أو التلمود وفى نصوص المشنا والجمارا والهلاخاه وكتاب الزوهار .

وفى عقيدة القبالاه الباطنية التى تبحث فى الأسرار الغامضة للإله وأسرار الكون وبداية الخلـق جاء فى "الزوهار" – وهو كتاب مقدس عند اليهود وهو المَعْنى بهذه العقيدة – جاء فيه التشـدد بتغطية المرأة شعرها وجسدها ؛ لأنه "كله عورة" وذلك من منطلق عقيدتهم فى الأنثى، فيتصـور أصحاب هذه العقيدة أن الذات الإلهية تحوى داخلها عناصر تذكير وعناصر تأنيث، ويعبرون عن الأنثى بكلمة "الشخيناه" بمعنى "التجلى الأنثوى للإله" ويرمزون إليها بجماعة إسرائيل وهى التوراة وعروس الإله التى تجلس إلى جواره على العرش، وتزف إلى المسيح حينما يأتى إلى العـالم، ومـن خلال طقوس أصحاب هذه العقيدة يردد المصلى فى صلاته " من أجل التوحد بين المقدس المبارك والشخيناه" .

ويصور "سفر هوشع" العلاقة بين الإله والشعب بقوله : "وأخطبك لنفسى إلى الأبد أخطبـك لنفسى بالعدل والحب والإحسان والمراحم، أخطبك لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب" ([1]).

وكانت النساء العاهرات فى اليهودية يكشفن رؤوسهن حتى تتميزن عن النسـاء المؤمنـات ، وكانوا كثيرًا ما يضعون منديلاً على رؤوسهن ، وكان خاصًا بالبدو حتى يظهرن أكثر احترامًا([2]). والجدير بالذكر أن المرأة اليهودية فى القرن التاسع عشر كانت ترتدى غطاء الرأس تعـبيرًا عـن احترامها وارتفاع مستواها الاجتماعى . وفى الوقت نفسه فلم يكن مصرحًا للعاهرات ارتـداؤه ، وكانت بعض نساء الطبقات الدنيا فى المجتمع اليهودى يرتدين الحجاب لتظهر فى مستوى أرقـى وأعلى مما هى عليه ، وكان الحجاب عندهم علامة النبلاء([3]) .

([1]) سفر هوشع ٢ / ١٩ ، ٢٠ ، والخطبة فى الكتاب المقدس كالزواج .

([2]) سفر العدد (٥ / ١٨) .

(3) Susan w. Schneider Jewishand Femal, New york: Simon, Schuster, 1984, pp. 238-239 .

تحريم النظر و عدم محادثة النساء فى اليهودية:

ورد غض البصر فى سفر "حكمة يشوع بن سيراخ" (١) حيث ذكرت :"لا تتفرس فى العذراء لئلا تعثرك محاسنها" .

وورد أيضًا : "أصرف طرفك عن المرأة الجميلة ، ولا تتفرس فى حسن الغريبة ، فإن حسن المرأة أغوى كثيرين ، وبه يلتهب العشق كالنار" (٢) .

وجاء فى غض البصر عن المرأة وعدم مجالستها : "لا تتفرس فى جمال أحد ولا تجلس بين النساء، فإنه من الثياب يتولد السوس ومن المرأة الخبث" (٣) .

وجاء فى أمر محادثة النساء "كثيرون افتتنوا بجمال المرأة الغريبة، فكان حظهم الرذل، لأن محادثتها تتلهب كالنار" (٤) . والمرأة الأجنبية أو الغريبة يعنون بها فى اليهودية، تلك التى ليست

---

(1) سفر "حكمة يشوع بن سيراخ" أكبر وأشمل نموذج لكتابات الحكمة وهو أقدم أسفار الأبوكريفا وهو ليس من الأسفار القانونية إلا أن بعض الكتاب اليهود يعتبره سفرا مقدسا ، ويوجد منه اقتباسات كثيرة فى التلمود وكتابات معلمى اليهود ، وهذا السفر خليط من الأقوال تحكمها فكرة رئيسية هى أن الحكمة بالغة القيمة لكل فرد وهو يسير على منوال سفر الأمثال ، يتكون من عبارات بليغة موجزة ومكتوبة بأسلوب شعرى ، ويرجعون تاريخ كتابة هذا السفر إلى حفيد كاتب السفر ويسمونه سيراخ الأصغر وأنه جاء إلى مصر فوجد هذا السفر وترجمه زمن الملك بطليموس ملك مصر (١٧٠ – ١١٦ ق.م) والبعض الآخر يرجعه إلى زمن سمعان الأول ٢٥٠ ق.م ويفترضون كتابته بأصله العبرى حوالى ٢٤٠ – ٢٠٠ ق.م وتمت ترجمته إلى اليونانية حوالى ١٣٠ ق.م على يد سيراخ الأصغر بعد وصوله مباشرة إلى مصر فى ١٣٣ ق.م . والافتراض القوى الذى سانده العلماء أن هذا السفر كتب أصلا بالعبرية واكتشفه دكتور شْشتر ١٨٩٦م ويحوى قصاصات تزيد عن نصف السفر ، وقد ظهرت فيه بعض هوامش فارسية أضافها قارئ فارسى وغالبية النص تتكون من جمل بالعبرية الفصحى التى كتب بها العهد القديم ، وكانت لغة ابن سيراخ عبرية ما بعد الأسفار المقدسة مباشرة والترجمة اليونانية والسريانية له أقدم وأصح مما فى النص العبرى ، ويرجع ذلك إلى أن الأصل العبرى حدثت به أخطاء فى النسخ والنقل ، ويوجد السفر فى المخطوطة البندقية وإحدى المخطوطات السينائية وجزء من المخطوطة السكندرية ، وقد ترجم السفر إلى اليونانية عن العبرية مباشرة وإلى السريانية والترجمة اللاتينية القديمة أخذتها عن الترجمة السبعينية (انظر دائرة المعارف الكتابية ، حكمة يشوع بن سيراخ) .

(2) يشوع بن سيراخ ، (٩ / ٥) .

(3) المرجع نفسه ، (٤٢ / ١٢ – ١٣) .

(4) المرجع نفسه ، (٩ / ١١) .

بزوجة الرجل أى الغريبة عنه ويستخدمها الكتاب المقدس مرادفاً للمــرأة العــاهرة . وورد فى أصوات النساء : "لا تألف المغنية لئلاَّ تصطاد بفنونها" [١] .

ونصوص التوراة تتضمن تحريم النظر إلى النساء ومحادثتهم ، إضافة إلى تحريم الزنا الذى ورد فيه الكثير من النصوص التى تقضى بعقوبات على الزانى والزانية ، والتى تقضى بالقتل والحرق والرجم بالحجارة .

---

[1] المرجع نفسه ، (٩ / ١٠) .

المبحث الثالث :

قوانين الاحتشام فى التلمود وكتب الشرائع الأخرى :

كانت النساء اليهوديات تستخدم غطاء الرأس حتى تظهر أكثر احترامًا وتوقيرًا فى نظر الآخرين، وهذا الغطاء تستخدمه المراة المسلمة واليهودية والمسيحية سواء بسواء، وقد ورد هذا الغطاء فى النصوص المقدسة الخاصة بالأديان السماوية ليضفى على المرأة التستر والعفة ويبعدها عن مظاهر الخلاعة والفسق .

ومنزلة المرأة ، حسب الشريعة اليهودية ، أقل من الرجل ؛ وذلك لكونها خلقت من ضلع من أضلاع آدم جاء فى سفر التكوين : "فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحمًا وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم" ([1]) .

ويقول التلمود : "إن الله لم يخلق المرأة من رأس الرجل لئلاً تتكبر وتتفاخر عليه ، ولا من عينه لئلا تشتهى ، ولا من أذنه لئلاً تصبح فضولية ، ولا من فيه لئلاً تصبح ثرثارة ، ولا من قلبه لئلا تحقد وتحسد ، ولا من يده لئلا تصبح طماعة جشعة ، ولا من قدمه لئلا تصبح مجرد جسم هائم على وجهه ؛ ولكنه خلقها من ضلع من أضلاعه . والضلع دائمًا مغطى ؛ ولذلك فالتواضع ينبغى أن يكون صفتها الأولى" . وطبقاً لهذا القول فإنهم يؤكدون ضرورة تغطية المرأة لرأسها من أجل التواضع . و المرأة بحسب الناموس اليهودى كانت تعتبر جزءاً من ممتلكات زوجها ، له عليها السلطان الكامل وله حق التصرف المطلق . وفى السنهدرين ([2]) ، لم يكن للنساء أى حق فى

([1]) سفر التكوين ، (٢/٢٢ – ٢٣) .

([2]) السنهدرين : نوع من المحاكم تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقًا للقوانين اليهودية ، وهو بمعنى مجلس، تأسس حوالى عام ٢٠٠ ق.م والسنهدرين الأكبر مقره فى أورشليم ، ويجتمع فى الهيكل ، ووظيفته تشريعية ، ويعمل كمحكمة استئناف ، ويتكون من ٧١ عضوًا ، أما السنهدرين الأصغر فهو عدة محاكم توجد فى كل مدينة تنظر فى القضايا العامة ، ويرى الباحثون أنه يوجد سنهدرين للأمور الدينية وآخر للأمور السياسية ، وقد اختفى السنهدرين تمامًا فى القرن الرابع الميلادى وحاول بعض الحاخامات بعثه مرة أخرى ، لكنهم لم يوفقوا . (انظر موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، للدكتور عبدالوهاب المسيرى ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٥م ، مادة السنهدرين ، ص٢١٧) .

المشاركة فى العبادة ، ولكنهن كن يعزلن تمامًا عن الرجال فى رواق خاص يغلق عليهن أو يوضعن فى أى جزء آخر من المبنى (١) .

والصلاة التى يؤديها اليهود يوميًا يؤكدون فيها وضع المرأة لديهم حيث يتلون فيها : مبارك أنت يارب لم تجعلنى لا وثنًا ولا امرأة ولا جاهلاً" والمرأة تقول : "مبارك أنت يارب لأنك خلقتنى بحسب مشيئتك" (٢) .

وحياة المرأة اليهودية على اختلاف مراحلها طبقًا لشريعتهم يتحتم عليها أن تظهر بالورع والتحشم اللازم لها.

وجاء فى الجمارا : "شعر المرأة عورة" و"صوت المرأة عورة" (٣) .

ويقول الرابى "حسدا"، إن ساق المرأة عورة حيث ورد فى النص "كاشفات الساق".

وقال الرابى شموئيل ، إن صوت المرأة عورة حيث ورد : "لأن صوتك عذب ومرآك مشتهى"(٤) .

وجاء فى فصول أقوال اليعازر (٢١) لقد ابتلى الله المرأة بتسع لعنات ، لذلك فهى تغطى شعرها حدادًا" .

كما أوصت شريعة "المشنا" (٥) اليهودية بأن عدم تغطية المرأة لرأسها يبيح الطلاق. ويقول "ويل ديورانت": "كان فى وسع الرجل أن يطلق زوجته إذا عصت أوامر الشريعة اليهودية

---

(1) وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد ، دار الجيل للطباعة ، صدر عن دار الثقافة المسيحية ، ١٩٧٧ ، القاهرة، ص١٥٥ .

(2) معجم اللاهوت الكتابى ، مادة امرأة ، دار المشرق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

(3) انظر رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات ، مادة سعاروت هإشا (شعر المرأة) ، المكتب المصرى ، القاهرة ، ص٣٠٠ ، والجمارا هى الشروح والتفسيرات التى قام بها معلمو بنى إسرائيل لشرح تشريعات المشنا وقد بدأت فى بابل وفلسطين من القرن الثالث الميلادى حتى أوائل القرن الحادى عشر حيث تكون تلمودين تلمود بابلى وتلمود أورشليمى والتلمود البابلى أطول عمرا وأكثر دقة من التلمود الأورشليمى (ليلى أبو المجد ، التلمود ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، مقدمة ، ص٣٦ ، ٣٧).

(4) إيلان كوهين، مرجع سابق ، ص١٢ .

(5) المشنا هى التوراة الشفوية أو الشريعة الشفهية وتقول المرويات اليهودية أنها أنزلت على موسى فى جبل سيناء مع التوراة المكتوبة ، وهى مختصر للأحكام المكملة والمفسرة لأحكام التوراة ، أول من رتب أحكامها وقوانينها ربى "عقبيا" ، ومن بعده ربى "مائير" الذى صاغ المواد الموجودة فيها ، وتنقسم إلى ستة أبواب . تنقسم=

بأن سارت أمام الناس عارية الرأس أو غزلت الخيط فى الطريق العام أو تحدثت إلى مختلف أصناف الناس إذا كانت عالية الصوت ، أى إذا كانت تتحدث فى بيتها وسمعها جيرانها([1]) .

وفى بحث يحمل عنوان : "أحكام غطاء الرأس عند المرأة اليهودية" لربى" إيلان كوهين " ، يتعرض كاتبه للأحكام اليهودية التى وردت فى غطاء رأس المرأة اليهودية والتزام المرأة بالتقوى([2]).

حيث تناول الدراسة الفتاوى الخاصة بغطاء الرأس والتى وردت فى "التلمود" و"المدراشيم" و"المشنا" و"الجمارا" وكتب الأحكام الفقهية الخاصة باليهود وفصول "براخوت" و"كتوفوت" والنصوص التى وردت فى "الهالاخاه" وحكم العلماء المتأخرين وأصحاب الفتاوى فى عصرنا الحالى فى إلزام المرأة بالحفاظ على سلوكياها عند الخروج فى الملبس والمظهر ومظاهر التقوى الواجبة لها([3]) .

=إلى مباحث ، وكل مبحث ينقسم إلى أصحاحات ، وكل اصحاح ينقسم إلى بنود ، وأبوابها هى " زراعيم" وتضم شئون الزراعة، و"موعيد" (الأعياد) ، و"ناشيم" (النساء) وتهتم بأمور الأحوال الشخصية ، "ونزيقيم" (الأضرار) وتضم العلاقات بين البشر والقواعد التى تنتهجها المحاكم ، و"قوداشيم" (المقدسات) وتضم أحكام القرابين ، و"طهاروت" (الطهارة) وتشتمل على أحكام طهارة البدن والأطعمة ، والمشنا الموجودة حاليا نظمها "يهودا هناسى" (رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، مرجع سابق، ٢٠٠٣م ، ص٢٠٠ ، ٢٠١) . وتعنى كلمة مشنا تشريع وتضم التشريعات والأحكام التى وضعها مشرعو بنى إسرائيل منذ السبى البابلى ٥٨٦ ق.م حيث قاموا بتطوير شريعة موسى بما يتفق مع المستجدات التى طرات على حياة بنى إسرائيل من حيث انتقالهم من حياة البداوة إلى الحياة المدنية ، وقد اضطر المشرعون اليهود إلى مخالفة شريعة موسى حتى تتفق مع المستحدثات ، ويهودا هناسى هو الذى رتبها ولم يتلق شريعته عن موسى (انظر شمعون مويال ، التلمود ، تقديم ، ليلى أبو المجد ، مقدمة ، مرجع سابق ، ص٣٥، ٣٦) .

([1]) ويل ديورانت ، مرجع سابق ، ج١٤ ، ص٣٤ .

([2]) رابى إيلان كوهين ، مرجع سابق .

([3]) الهالاخاه : هى الجزء الخاص بالحياة العملية للإنسان فى الديانة اليهودية ويحدد المحرمات والمحللات وتحتل مكانة متميزة فى التوراة المكتوبة والشفهية (التلمود) معناها الحرفى مشى ، خطى ، والمعنى المجازى قانون أو منهاج ، وفى العرف اليهودى مصدر الهالاخاه التوراة الشفهية التى أنزلت على موسى فى سيناء لتفسير واستكمال الشريعة المكتوبة ، ويهدف أصحاب الهالاخاه إلى تفسير التوراة المكتوبة (رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية ، مرجع سابق، ص١٠٦) .

"الجمارا": كلمة آرامية تعنى التلمود وهى ملخص العقائد، الواردة فى المشنا وهى تجمع بين الشريعة والمواعظ والقصص الأسطورية (الأجاداه) (رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية ، مرجع سابق ، ص٨٩) .=

فتذكر الدراسة أن إلزام المرأة بالحفاظ على مظاهر التقوى – سواء على المستوى السلوكى أو مستوى الملبس والمظهر – عنيت به نساء بنى إسرائيل منذ الأزل ، والالتزام بفريضة غطاء رأس المرأة فى التوراة وردت فى سياق فقرة "المرأة السوطاة" (المنحرفة) وقد توسعت فى تفسيره وشرحه التلمود والمدراشيم .

ويذكر كاتب هذه الدراسة أن الهدف منها مساعدة بنى إسرائيل ونساء بنى إسرائيل خاصة فى تقوية مسالك التقوى لديهم .

وتركز الدراسة حول حكم الشرع اليهودى فى تغطية رأس المرأة فى الفِناء وهو ساحة المترل – سواء كان يرتاده جمهور أو لا يرتاده .

وفى فصول المشنا ورد حكم تغطية الرأس فى الفِناء أنه لا يجوز لها كشف رأسها ، وذلك فى حالة خروجها من فِناء إلى فِناء وعبر الدروب ، أما داخل فِناء مترلها فيجوز لها أن تخرج حاسرة الرأس .

ويكتب "موسى بن ميمون" عن المرأة التى تكشف شعرها فيقول : فما تلك الأمور التى لو صنعت المرأة إحداها لخرجت عن ديانة موسى ، لو أنها خرجت إلى السوق وشعر رأسها مكشوف[1] .

وتقول الهالاخاه : وما هى شريعة اليهودية ؟ هى منهاج "التقوى" الذى اعتادت عليه بنات بنى إسرائيل وما تلك الأمور التى لو صنعت إحداها لخرجت عن الديانة اليهودية أن تخرج إلى السوق أو إلى دهليز مكشوف وكان رأسها حاسراً، وليس عليها طرحة ، على الرغم أن شعرها مغطى بمنديل ، وفى "الهالاخاه" لو خرجت وشعرها مغطى بمنديل بدون طرحة ؛ فقد انتهكت شريعة اليهودية ([2]) .

= "المدارش" : منهج فى تفسير ايات العهد القديم وينقسم قسمان مدراش هالاخى يتضمن أحكام الشرع الدينى ومدراش هاجادى يتبع أسلوب الشرح القصصى (عبدالوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص٢٦٠) .

"كتوفوت" : مبحث فى القسم الثالث من أجزاء المشنا المسمى "ناشيم" يتناول إجراءات إتمام الزواج والتزامات الزوج وواجبات الزوجة (مرجع سابق ، ص١٢٦) .

([1]) منهج الرامبام "موسى بن ميمون" فى تفسير الأحوال الشخصية فصل (٢٤/١١-١٣) .

([2]) انظر إيلان كوهين ، مرجع سابق ، ص٣ .

وحسب أقوال "موسى بن ميمون" أنه لا يجوز للمرأة أن تمشى فى فناء منزلها وهى حاسرة الرأس تماماً بل هى ملزمة بوضع منديل – أيًا كان – يغطى جزءا من رأسها . أو تضع قبعة مشبكية .

وفى التلمود يجوز خروجها من فِناء إلى آخر حاسرة فى حالة إذا كان الدهليز الذى تسير فيه مغلقاً ،وليس معتاداً ارتياد الجمهور له ، وفى فناء منزلها رغماً عن "استهجان الأمر" بمعنى أنه حسب الشريعة اليهودية الواردة فى التلمود أن هناك استهجاناً لأن تسير المرأة دون غطاء للرأس ، وعلى الرغم من أنه لا يمثل مخالفة للديانة اليهودية . وقد أخذ هذا الرأى إجماع اراء الأولين .

وقال العلماء اليهود : لا تسير المرأة حاسرة الرأس فى الدهليز (المدخل) الذى يتردد عليه الجمهور ، كما أن وضعها منديلاً على الرأس يوقع عليها حكم الحاسرة الرأس تماماً([1]).

والتلمود البابلى يجيز مشيها فى فناء منزلها الذى تسكنه بمفردها حاسرة برداء رأس خفيف، بينما يحرمون كشفها لشعرها لو كانت تسكن فى فناء يرتاده أناس أو يسكنون فيه، أما التلمود الأورشليمى فيحرم على المرأة أن تسير بالقبعة المخرمة.

وفى حكم تعريف الفِناء أنه لا يتعلق بالمكان بل بالجمهور الذى يتواجد فيه. هذا وقد أجاز العلماء اليهود وكذلك فى التوسافوت الذى وضعه راشي (رابى شلومو بن يتسحاق) قول التلمود

([1]) إيلان كوهين ، المرجع السابق ، ص٨ . والتلمود هو أول محاولة يقوم بها حاخامات اليهود لتفسير العهد القديم والسيطرة على الشعب خاصة بعد ظهور المسيحية ويلقب بالتوراة الشفوية ، وأصبح لدى اليهود اكثر قدسية من التوراة بحيث إنه احتل مكانة التوراة فى العصور الوسطى الى جانب كتب الزوهار وكتب القبالا الأخرى. انظر عبد الوهاب المسيرى ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مرجع سابق، ص١٤٢ ، والتلمود الأورشليمى وضعه فى طبرية الرابى يوحنا ، واستكمل أوائل القرن الخامس الميلادى ، ووضع التلمود البابلى راف راشي فى "صورا" فى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين والتلمود البابلى أشمل من الأورشليمى بسبب خروج التجمعات اليهودية من فلسطين ويضم التلمود البابلى معظم الجمارا ومكتوبة بلغة آرامية شرقية وكتاباتها مختصرة بأسلوب مركز ، وتشتمل على كل شىء يتصل باليهودية وحكمة الشعوب والتى كتبها الحاخامات حول أحكام التوراة والتلمود يتشكل من المشنا والجمارا ، رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية ، مرجع سابق ، ص٣٠٧ ، ٣٠٨ .

البابلى فى ذهاب المرأة بدون غطاء للرأس فى الفناء ، ويقصد به الفناء الذى لا يرتاده أحد ، وقول الأورشليمى بتحريم سير المرأة حاسرة فى الممر الذى يرتاده الجمهور([1]).

وورد فى الجمارا الحكم الشرعى الذى يقول "شعر المرأة عورة" الأمر الذى ينجم عن الإلـزام الشرعى بتغطية شعر رأسها وكتاب "الشولحان عاروخ" اعتمد على ما جاء فى التلمود الأورشليمى بتحريم خروج المرأة حاسرة حتى لو كانت فى الفناء ([2]) .

ونصت "البراخوت" ، على أن النظر إلى شعر المرأة يحفز الغرائـز والشـهوات ([3]) وتقـول "الشولحان عاروخ" : "لا ينبغى على النسـاء اليهوديـات أن يمشـين فى السـوق وشـعرهن مكشوف"([4]) .

وورد فى الجمارا أنه فى فناء مترلها حيث لا يسكن معها شخص آخر يمكنها الذهاب حاسرة ، وتجيز التوراة هذا ، وحسب رأى الرامبام يحرم على المرأة ان تسير دون غطاء للرأس عموماً فـإن المقصود به الساحة التى بها قليل من الناس الغرباء .

أما حكم تغطية الرأس فى المترل ففيه خلاف بين الأولين فيما إذا كان يجوز للمرأة السير بدون غطاء رأس مطلقاً أم أنها تحتاج إلى غطاء رأس جزئى مثل القبعة المخرمة أو ما شابه ذلك ، فيذكر

([1]) المرجع نفسه ، و"التوسافوت" هى إضافات وملاحق لشرح التلمود وضعها راشى ، ربى شموئيل بن يتسحاق ، (١٠٩٠-١١٨٩م) .

([2]) المرجع نفسه ، ص٩ .

([3]) براخوت ٢٤/١ .

([4]) إيلان كوهين ، مرجع سابق ، ص١٠ ، نقلا عن الشولحان عاروخ (المائدة المنضودة)، عزرا ٢ : ٢١ . وكتاب هشولحان عاروخ يهتم بقضايا تاريخ الدين اليهودى وفقهه ، وهو مصدر مهم للباحثين فى تاريخ اليهود حيث حفظ فيه آلاف الإجابات التى أصدرها "الجاؤينم" والحاخامات الضليعين فى التوراة وكان فى شكل أجوبة على أسئلة فى أمور تطبيق الشريعة (مادة شيلوت أو تشوفوت ، موسوعة المصطلحات ، ص٢٨٠) . وقد جمع فيه الربى يوسف كارو فى القرن ١٦ جميع الشرائع والأحكام والفتاوى والتفريعات التى وردت فى المشنا والتلمود وهو المعتمد عند المتحذلقين من اليهود ويعتبره الإصلاحيون رمزا للجمود والتأخر وعقبه إمام التقدم الإنسانى (حسن ظاظا، الفكر الدينى اليهودى، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م ١، ص٢٦٦ . ويحتوى كتاب الشـولحان عاروخ على القانون الأساسى الذى يسير بمقتضاه اليهود الأرثوذكس فى العالم الغربى (انظر رشـاد الشـامى، جولة فى الدين والتقاليد اليهودية، مكتب سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧م، مرجع سابق، ص٢١).

العلماء فى هذا الشأن قصة المرأة المشهورة بالمرأة القمحية وكان لها سبعة أبناء تقلدوا جميعاً منصب الكاهن الأكبر([1]) .

وقد سئلت هذه المرأة ما الذى صنعتيه حتى حظيت بهذه الدرجة ؟ فقالت : إن جدران منزلى لم تر جذور شعر رأسى .

وأورد مفسرو "الجمارا" أن تلك المرأة كانت "متشددة" حتى أن جدران منزلها لم تـــر شــعر رأسها، وأن هذه الجدران لم ترها فى موقف لا يدل على التقوى بل حافظت على مظهرها كامرأة تقية .

ومن هذه القصة نستدل على تأكيد ضرورة حفاظ المرأة اليهودية على عفتها حـــتى داخـــل جدران منزلها .

وفى أقوال "موسى بن ميمون" التى يذكر فيها موضوع "المرأة المنحرفة الزائغة" يحدد إن المـــرأة تحتاج بالضرورة داخل منزلها إلى غطاء على رأسها أيًا كان نوعه ، وهذا هو العرف السائد ([2]) .

وحسب آراء العلماء ، فإنه يجب على المرأة ألا تظهر شعرها فى المنزل ، ويستشهدون بقصـــة المرأة التى خرج من أحشائها سبعة من الكهنة الكبار بسبب تقواها . وعلى هذا فهم يقرون بعدم سير المرأة فى منزلها حاسرة الرأس ويذكرون أنه ليس التزاما بقدر ما هو يتعلق بالتقوى .

وهناك بعض المتشددين الذين يحذرون من سيرها فى المنزل دون غطاء على الرأس؛ ويؤسسون فتواهم على أنهم قد اعتادوا هذا الأمر بقوة العرف السائد وأصبح بمثابة هالاخاه، ويشير بعـــض الربانيم ان ما جاء فى الجمارا عن الفناء أو الساحة ،ان المقصود به المنزل بمعنى تحريم سير المرأة دون غطاء على الرأس فى منزلها ، ويؤكدون أن هذا التدقيق ليس إجباريا وانما تحريمه يرجع إلى العرف لدى الآباء وبما أنهم تعارفوا عليه فهو يعد "حكم نهائى" !!([3]).

ومؤلف الفتاوى يقول : فى منزلها أمام زوجها حيث لا تكون حائضا مسموح للمرأة ان تتمشى وعلى رأسها منديل لا يغطيها إجمالاً ، ولكن من ناحية التقوى ينبغى للمرأة أن تغطى شعرها كما هو وارد فى حكاية المرأة ذات الأبناء الكهنة التى حظت بدرجة عالية من درجات التقوى ، وهذا

([1]) المرجع نفسه ، ص١١ .

([2]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

([3]) المرجع نفسه ، نقلا عن الشولحان عاروخ ، ص١٠ .

يعنى أن من تريد التشدد بتغطية رأسها فى المنزل فهى من باب "زيادة التقوى" وليس من أصل التشريع ([1]) .

ويقول العلماء أن اللواتى تردن التيسير على أنفسهن لسن خارجات عن ديانة المرأة اليهودية ، ولا يمتنع تلامذة العلماء والأتقياء من الزواج بمثل هؤلاء النساء ما دامت تقية ومتمسكة بالوصايا .

وعلى هذا فطبقاً لأقوال الحاخامات وعلماء اليهود فالمرأة فى منزلها يجوز لها أن تكون حاسرة الرأس، أما فى حالة وجود غرباء فى منزلها فهى تحتاج إلى قبعة .

ما يجوز كشفه من الشعر فى الشرائع اليهودية:

اختلف المفسرون اليهود للشريعة حول المواضع التى يجب على المرأة تغطيتها وإمكانية السماح لظهور بعض خصلات من شعر المرأة .

وطبقا لأقوال الرابى "شيشت" "إن من يتطلع إلى المرأة ويتفرس فيها حتى ولو تطلع إلى أصبع واحد من أصابعها الصغيرة ؛ فكأنه يتطلع إلى أحد الأصنام الوثنية المدنسة" .

ويقول الرابى "شيشت" : الشعر من عورات المرأة فقد ورد :" عيناها كحمامتين من تحت النقاب وشعرها كقطيع ماعز رابض على جبل"([2]) .

واختلف المفسرون اليهود حول الأماكن التى يجب تغطيتها من مساحة الشعر، حيث أجازوا كشف أقل من شبر عن الرأس ، أما مساحة الشبر فهو محظور الكشف عنه([3]) . وورد فى "الجمارا" فى فصل "براخوت" ، أن مساحة الشبر فى شعر المرأة "عورة". أما مؤلف كتاب "رسائل موشى" فيقول : أنه على الرغم من إجازة الكشف عن جزء قليل من شعر الرأس ، فإنه يستحسن القول بأن كل الرأس من المواضع التى ينبغى تغطيتها لأنه لا توجد إجازة شرعية لكشفها .

([1]) المرجع نفسه ، ص١٢ .

([2]) ورد هذا النص فى نشيد الأنشاد المنسوب إلى سليمان ، انظر محمد بحر ، اليهودية ، مرجع سابق ، ص١١٣ .

([3]) ورد فى فتاوى "بنى بانيم" مقدار الشبر يعنى "شبر مربع" ومقياسه ثمانية سنتيمتر حسب ما اعتاده يهود القدس، وفى رسائل موسى بن ميمون إشارة إلى أنها أكثر من تسع ونصف سنتيمتر، وهى المساحة المكشوفة حسب السطح وليس حسب عرض الشعر وكثافته. (انظر ايلان كوهين، مرجع سابق، ص١٦ ، ١٧).

ويرى الرابى "إبراهام بن داود" طبقا لتشريع موسى بن ميمون : أن الطرحة المخرمة تخرج بها الداعرات فقط، أما الطرحة التى تضم معظم الشعر فهى رداء السيدات الفاضلات الصالحات، وفى الوقت نفسه أجاز للمرأة أن تظهر قليلا من شعرها (أقل من شبر).

وأما نصوص "الزوهار" فتتجه نحو التشدد حيث ورد فيها تحريم مشدد على أنه لا يجوز رؤية أى شيء من المرأة ، وأنه يجدر أن تتصرف المرأة بعدم إظهار شيء منها على الاطلاق ([1]) .

ووفقاً لتفسير مؤلف "الشولحان عاروخ" "فإن النساء اللاتى اعتدن إظهار جزء من شعرهن ليس فيه عورة .

وطبقا لشريعة "الهالاخاه" "فإن شعر المرأة الذى هو خارج الضفيرة لا يغطى ولا يسبب إزعاجاً"([2]) .

ويقول الرابى "حاتام سوفير" : إن الأمهات تخرج فى بلداننا حاسرات الرؤوس، أما أمهاتنا فكن يتحرزن ، حسبما ورد فى "الزوهار" من خلال نصوصه التى تقول : "حتى لو أنها خرجت أو لم تخرج ، فإن جدران منزلها لا تكاد ترى شعر رأسها ولا ضفيرتها" فكانت أمهاتنا لا يخرجن وهن حاسرات الرؤوس ، وكن يتمسكن بما ورد فى أقوال "الزوهار" ، وهذا يعنى أن هناك خلافاً بين ما ورد فى "الزوهار" وبين ما جاء فى "الجمارا" ، حيث ورد فى "الجمارا" إجازة خروج أقل من مساحة شبر من رأس المرأة وهذه المساحة لا تمثل عورة([3]).

وينتج من أقوال "حاتام سوفير" ، أنه يستند فى تقرير حكمه الشرعى إلى أقوال "الزوهار" ، حيث اعتبر منهج "الزوهار" حكماً وفريضة شرعية .

كذلك ورد فى الجمارا : تخرج المرأة بـ "قيد" وضفيرة تمنع الشعر من التطاير أو التهدل، وكانت المرأة فى زمن الجمارا معتادة على ربط شعرها حتى لا يتطاير أى منها ، وتحرم الجمارا إظهارها بمعنى أن الشعر الخارج عن الربطة يصدق عليه الحكم الشرعى "شعر المرأة عورة" ويحظر

([1]) راجع الزوهار ، ص٥٠ .

([2]) إيلان كوهين ، مرجع سابق ، ص١٩ ، نقلا عن בית יוסף על הטור באורח חיים סימן עה، ב.

([3]) المرجع نفسه ، ص٢٠ ، ٢١ ، وأوضح حاتام سوفير فى تفسيره أن تعبير "شعرك مثل قطيع أغنام" تعنى أمرين : جمالها وجمال شعرها ، والثانى لأنها تخفى شعرها خلف ضفيرتها والحجاب الثانى هو الذى يدخل فيها شعرها ولا يخرج .

عليها الخروج به إلى السوق ([1]) . وطبقا لأقوال المفسرين فإنه يجوز للمرأة كشف شعرها ووجهها وساقيها لزوجها فقط وداخل منزلها ، أما بالنسبة للرجل الأجنبى عنها فإظهار كل هذا غير جائز ومحرم ([2]) . وهناك بعض الآراء التى ربطت إجازة بعض الخصلات طبقاً للعرف السائد فى المكان الذى تعيش فيه المرأة واعتادت فيه إظهار بعض الشعر، إلا أن جميع المفسرين رفضوا تلك الإجازة، وألزموا المرأة بالتقوى والتشدد، مؤكدين أنه لا يجب تغيير الالتزام طبقاً لقواعد الموضة أو المعتاد فى المكان ؛ فالعرف والمكان المفترض فيه الإضافة إلى أصل الدين ، وليس الانتقاص من الشريعة ، حيث وجهوا المرأة إلى اتخاذ السلوك الملتزم وألا تنتهك الأصول الشرعية للأحكام .

ويذكر الحاخام "مناحم برابر" فى كتابه (المرأة اليهودية فى الأدب الحاخامى) ان القانون الحاخامى اليهودى يمنع إلقاء الأدعية أو الصلوات فى وجود امرأة متزوجة حاسرة الرأس وملعونة الرجل الذى يترك شعر زوجته مكشوفاً وأن المرأة التى تعرض شعرها لزينة ذاتية لها فهى تجلب الفقر([3]) .

التأثيرات الشرقية فى حجاب المرأة اليهودية :

كانت عادة تغطية الرأس للمرأة منتشرة فى بابل وتعبر عن الاحترام وخاصة فى حال وقوفها أمام عظيم أو شيخ أو حاخام، وأصبح سلوكًا قائمًا انتشر فى المعبد وقت الصلاة ، وانتقل هذا السلوك من بابل إلى الطوائف اليهودية من السفارديم والأشكنازيم . كما شرع كتاب " الشولحان عاروخ" (المائدة المنضودة) بوجوب تغطية المرأة شعرها فى كل الأوقات باعتباره سلوكًا ينم عن الورع والتدين ([4]) .

وكان نساء اليهود الشرقيين اللاتى يقمن فى البلاد العربية فى الجيتوات متأثرات إلى حد كبير بتقاليد تلك البلاد فى أمور الزواج والطلاق حيث أخذوا عن العرب كثيراً من العادات ، مثل

([1]) إيلان كوهين ، مرجع سابق ، ص٢١ . نقلا عن **עוד באוצר הפוסקים סימן כא، אות ג، שהביא עוד אחרונים שנקטו להחמיר כגון: בשו"ת מים רבים הביא את דעת הכנה"ג**

([2]) المرجع نفسه ، ص٢٤ . نقلا عن **הפרישה** و **בשו"ת צמח צדק החדש** .

([3]) Menachem M. Brayer, The Jewish Woman in Rabbinic Literature: A psychosocial perspective Hoboken, N. J : Ktav Publishing House, 1986 pp. 316 -317 , Also see pp. 121 – 123 .

([4]) رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية ، مرجع سابق ، ص٨٧ ، ٨٨ .

تلوين أيدى وأرجل العروسين بالحنة وغيرها ، كما ارتدوا ملابسهن طبقاً للعرف السائد فى هذه البلاد (١) .

وكان حكام تلك المناطق يفرضون عليهن ارتداء زى خاص بهم ؛ ليميزهن عن السكان الأصليين . ففى عهد الخليفة العباسى المتوكل (٨٤٧ – ٨٦١م) أجبر النساء اليهوديات على ارتداء شال أصفر اللون عند خروجهن (٢) .

وفى اليمن كانت الفتيات اليهوديات يلبسن ملابس بألوان متعددة وعلى رؤوسهن طواقى قمعية الشكل مشغولة ، وكانت المرأة اليهودية ترتدى جلباباً لونه رمادى غامق أو أسود للتمييز بينهم وبين العرب المسلمين (٣) .

---

(1) سناء عبداللطيف ، الجيتو اليهودى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص٢٩٣ .

(2) دائرة المعارف العبرية ، القدس ، تل أبيب، ١٥١/٤ .

(3) أحمد فخرى ، اليمن فى ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٣٤ – ٣٨ .

المبحث الرابع :

حجاب المرأة اليهودية فى العصور الحديثة :

ظل ارتداء الحجاب عند المرأة اليهودية مستمرًا حتى القرن التاسع عشر حتى ظهرت حركة الهسكلاه فى غرب أوربا بزعامة" موسى مندلسون" الذى قاد الثورة على الجيتو اليهودى ، ودعا اليهود إلى الاندماج فى الشعوب الأوربية لمسايرة التطور العلمى والتكنولوجى ([١]) وقام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية وأبطل تفسيرات الربانيين المتزمته ، حيث حدث تطور فى المجتمع اليهودى أدى إلى الاندماج فى المجتمع الأوربى ، والتخلى عن القيم الدينية اليهودية ، وحاكوا الشعب الألمانى فى الزى والثقافة واللغة . إلا أن يهود شرق أوربا ظلوا محتفظين بالنمط الدينى الموروث والمتحفظ للروح الانفصالية ، وعلى الرغم من اتصالهم بثقافات الدول الأوربية ، إلا أن الشخصية اليهودية ظلت أسيرة لحياة الجيتو المنعزلة ، وظل التذبذب بين الانعزال والاندماج قائم بينهم ، حتى ظهرت الحركة الصهيونية التى قضت على الجيتو نهائيًا([٢]) .

ونتيجة لتلك الاختلافات فقد حدث انقسام طائفى بين اليهود "الأشكنازيم" (يهود الغرب) و"السفارديم" (يهود الشرق) فكان بينهما تفاوت كبير واختلافات فى التنشئة الاجتماعية والنفسية نتيجة تعدد المجتمعات والبيئات حيث أصبح المجتمع الإسرائيلى يتكون من أناس متعددى الجنسيات والثقافات واللغات وانقسموا إلى "متدينين" ، و"علمانيين" فظهرت مشكلات ثقافية فى التعليم واللغة إلى جانب الصراعات الدينية ؛ حيث نشأ صراع كبير بين الطائفتين الأشكنازية والسفاردية،

([1]) موسى مندلسون : (١٧٢٩-١٧٨٦) ولد فى حى الجيتو اليهودى فى ديسو من أبوين فقيرين، وقضى سنوات طفولته الأولى فى بيئة يهودية أرثوذكسية نموذجية، وفى فترة شبابه تعلم على يد شخصية يهودية مثقفة لامعة هى شخصية الحاخام دافيد "هيرشلى فرانكل"، وعندما سافر هيرشلى إلى برلين ليعمل كرئيس حاخامات الطائفة اليهودية هناك، لحقه مندلسون، ودرس هناك اللغتين الألمانية واللاتينية، ودرس الفلسفة والأدب الألمانى، وذاع صيته كمفكر وفيلسوف، وفى سنة ١٧٦٣م فازت إحدى مقالاته التى كان يكتبها فى الفلسفة بجائزة أكاديمية برلين، وأعجب الألمان بأسلوب مندلسون وأطلقوا عليه اسم (سقراط اليهود)(Sachar, P. 47).

([2]) سناء عبداللطيف ، مرجع سابق، ص٣٢٤ – ٣٣٠ .

فالأشكنازية تعمل على فرض طقوسها وتقاليدها على السفارد اليهود الشرقيين ، ولكل طائفة منهما اتخذ حاخام له طريقته فى معالجة الشئون الدينية ([1]) .

وقد نشأ صراع عنيف ونزاعات فى مؤسسات الدولة بين اليهود المتزمتين فى شرق أوربا والمتحررين فى غربها ، فالغربيون ينظرون إلى الشرقيون نظْرة استعلاء واحتقار ، وظهر هذا الصراع بشكل خطير فى حى (ميئاه شعاريم) ([2]) فهذا الحى يضم أشد المتعصبين فى العالم دينيًا وهم من اليهود القدامى البولنديين والروس واللتوان ، ويتميز سكانه بأنهم أصحاب لحى طويلة ويرتدون ثيابًا سوداء طويلة، ويحظر فى هذا الحى أن يسير الرجل وهو يمسك بذراع فتاة حيث يتعرض للرجم بالحجارة ، وهم يعارضون قانون الخدمة العسكرية للفتيات ، وقد نجحت الأحزاب الدينية فى إلغائه .

أما طائفة الحسيديم (الأتقياء) فهى تحظر على النساء الأمهات السير سافرات ([3]) . ونساء الحسيديم يرتدون لباساً طويلاً ذو أكمام طويلة خاصة المتزوجات، ويجب على المتزوجة أن تغطى

([1]) والأشكناز هم اليهود الذين استقروا فى شمال أوربا وشرقها فى ألمانيا وشمال فرنسا والنمسا وبولونيا ، وكلمة أشكناز تدل فى الفكر اليهودى فى العصور الوسطى على الأراضى الأوربية التى يسكنها الجنس الجرمانى ثم أصبحت تعنى ألمانيا اختصارًا والأشكناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة ، والسفارد هم اليهود الذين استقروا فى حوض البحر الأبيض المتوسط وتضم يهود العالم العربى ، حسن ظاظا ، مرجع سابق ، ص٢٠٣، ٢٠٤.

([2]) ميئاه شعاريم : عبارة عبرية معناها "الأبواب المئة" ، وهو حى فى القدس ، يسكنه اليهود الأرثوذكس ويقع بجانب بوابة مندلبوم وقد بنى عام ١٨٧٧م ، ويتألف من بضعة أزقة صغيرة ، ويعيش فى هذا الحصن حوالى ثلاثة آلاف من اليهود الفقراء الذين يعيشون على التبرعات من الأرثوذكس فى أمريكا الذين يوجد معظمهم فى حى بروكلين ونيويورك (فرانز شايدل ، إسرائيل أمة مفتعلة ، ترجمة محمد جلال ، دمشق ، ١٩٦٩م ، ص٤٩) .

([3]) الحسيديم كلمة مشتقة من الجذر "حسد" بمعنى الإحسان وعمل الخير ومفردها حسيد بمعنى تقى ورع ، وتطلق على جماعات يهودية ظهرت فى القرن ١٨م ، وهم يهود أرثوذكس يتوزعون فى مجموعات كل مجموعة يطلق عليها اسم المكان أو البلدة التى نشأت فيها ، ولكل مجموعة منهم مرشد روحى تطيعه وتقدسه وتدين له بالولاء ، وأغلبهم يسكن فى الولايات المتحدة وإسرائيل ، ومؤسس هذه الحركة "إسرائيل بن اليعازر" الشهير بـ "بعل شم طوب" الذى ظهر فى منطقة "بودوليا" جنوب شرق أوكرانيا ، واشتهر بعلاج الناس وتعزى إليه الكثير من الكرامات وخوارق العادات ، وتبعه كثير من التلامذة والمريدين ، وكانوا يعتقدون أنه رجل متميز فى الصلاح والتقوى ، وأنه مخلوق من عالم الروح ، وقالوا عنه أنه يفهم لغة الطير والأشجار، وله قدرة على=

شعرها، وغطاء الرأس إما أن يكون بوضع غطاء من قماش أو بشعر اصطناعى، ومجموعة الحسيديم الستمار الأكثر تشدداً يغطون رأسهن بقماش لونه أسود ([1]) .

وطائفة "الستمار" أكثر عزلة عن الحسيديم الآخرين وأكثر تشددًا فهم ينتقدون جلوس الرجال والنساء فى الكنيسة؛ حيث لا يفصلهم سوى حاجز، وأقروا بمخالفته للشريعة اليهودية . كما انتقدوا ملابس النساء ، واعتبروها خالية من الحشمة والحياء ، وأن كثيرًا منهن لا يغطين شعورهن، وانتقدوا التقاء الرجال والنساء وأكلهم سويًا ، وهاجموا احتفالات الزواج التى يقيمها اليهود الأرثوذكس ، ووصفوها بأنها لا تمت بتقاليد اليهودية بأية صلة رافضين الاندماج، ويرون أن كل ما حولهم لابد أن يتغير ليتفق مع الشريعة اليهودية، فيحذرون السفر بالقطارات المزدحمة لأن فيها اختلاط بنساء شبه عاريات، ويرفضون مشاهدة التليفزيون، ولا يستمعون إلى الراديو، ولا يذهبون إلى السينما والمسرح ، وتشترط على أعضائها ان تكون زوجته ملتزمة بالسلوك الحسيدى مثل غطاء الرأس والثوب الطويل([2]) .

وفى مجموعات الحسيديم الأخرى ، نرى النساء يرتدين غطاء على الرأس ذا ألوان مختلفة، والبعض الآخر يلبسن قبعة خاصة، وبعض منهن يضعن شعر طبيعى على شعرهن، إلا أن حاخامات

=التنبؤ بالمستقبل وبعد وفاته ازداد عدد الحسيديم بنسبة كبيرة ، ويعتقدون أن الله كان موجودًا قبل أن يكون هناك شيء فهو أبدى ولا نهائى ، وأن الله خلق العالم بالكلمة ، ويرون أن العالم مرآة يعكس جلال الله، وأن الله موجود حتى فى الشر والذنوب ، وليس هناك فاصل بين المقدس وغير المقدس ، وأن الله خالق الخير والشر معًا ، ومن أهم المبادئ الرئيسية عندهم تأكيدهم على السعادة ، وأن جلال الله لا يكون مع الحزن بل مع الفرح والسعادة ، وعلى الإنسان ان يقهر الحزن ؛ لذا فهم يهتمون بالغناء والرقص ويعتبرونه صلاة وتجربة روحية وصوفية ، ومن أهم الجماعات الحسيدية اللوبافتش والستمار المتشددون ،(انظر جعفر هادى حسن ، اليهود الحسيديم ، دار القلم، بيروت ، ١٩٩٤م) .

([1]) الحسيديم الستمار، مجموعة حسيدية تنتسب إلى مدينة "ساتومار" التى كانت جزءًا من هنغاريا (ضمن حدود رومانيا حاليًا) مؤسس هذه الجماعة الحاخام "موشيه تيتلباوم" زعيم اليهود الأرثوذكس فى مدينة ساتومار عام ١٩٣٤م عرف بشدته وصرامته ويرفض الحركة الصهيونية ويكفر زعماؤها ، شديد التمسك بفرائض الشريعة اليهودية ، ولا يسمح باحتفال الزواج إذا خالف الشريعة كالرقص المختلط ، عاش مع أتباعه فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحث أتباعه على الالتزام والتقيد باللباس التقليدى لليهود داخل الولايات المتحدة. وكان مرشدًا روحيًا لجماعة "نطورى كارتا" المعادية للصهيونية عام١٩٥٣م وتوفى عام ١٩٧٩م .

([2]) جعفر هادى ، مرجع سابق ، ص٢٤٥ – ٢٥٨ .

الحسيديم نهوا عن استعمال الشعر الطبيعي وحرموه . ونساء الحسيديم عامة محتشمات، لكنهم يهتمون بأمور الزينة؛ فيلبسن الأقراط والقلائد والحلق وغيرها من الزينة الظاهرة، ومن مبادئ الحسيدية أنه لا يجوز ان يصلى الرجل وقربه امرأة متزوجة لا تغطى شعرها، ويعتبرون الناظر إليها كأنه ينظر إلى امرأة عارية ([1]) .

هذا وقد شاع بين الجمهور اليهودى المتدين والمتشدد فى الأجيال الأخيرة أنه يجب حلق شعر النساء تأسيًا بالخطايا التى ارتكبها داود ([2]) .

والنساء اليهوديات المتدينات يتساءلن عن أسباب تشدد شرائع الاحتشام الخاصة بالمرأة اليهودية والتى تفرض عليها ارتداء أكمام طويلة ، وتنورات واسعة وكان رد الحاخام "شموئيل إلياهو" وهو من الشخصيات ذات المرجعية الدينية لديهم حديثا حيث أجابهم "أنه يحرم على الرجل النظر إلى النساء غير المحتشمات"([3]) .

وطبقاً لقواعد الاحتشام أيضًا فقد ظهرت فى شهر مايو عام ٢٠٠٤ لافتات فى إسرائيل بشارع "ها ادمومويشا" فى "بنى باراك" مكتوب عليها "إصلاح" وتعنى إصلاح مخالفات الشريعة، وتقضى بتنظيم سير الرجال والنساء فى الشارع، ووفقاً للإعلان، فقد تحدد سير الرجال على رصيف، والنساء على الرصيف الآخر، وذلك خوفاً من ارتكاب المحرمات فى الشارع الضيق المزدحم بالناس وخاصة أيام السبت والأعياد المقدسة لديهم ، وقد تم تنفيذ هذا الإعلان بناء على قرار محكمة الطائفة بهدف الحفاظ على قواعد الاحتشام والقداسة حسب الشريعة اليهودية. حيث قضت بأن يسير الرجال على الرصيف الغربى على طول الشارع ، أما النساء فخصص لهن الرصيف الشرقى الذى بمحاذاة المحلات ([4]) .

وطبقًا لما ورد فى التلمود بموجب قانون الاحتشام Taniwt عند اليهوديات أنه يجب على النساء الاحتشام فى الملابس والجوارب والشعر ، ويؤكد أن "شعر المرأة عورة" .

([1]) المرجع نفسه ، ص٣٠١ .

([2]) انظر رشاد الشامى، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية "مادة إشاجولحت" (المرأة الحليقة)، مرجع سابق ، ص٥٨،٥٩.

([3]) www. AAD – Online Org / Arabic Site / Arabiclinks / 30 / 4 / 2004 .

([4]) منير سويسا ، افيشاى بن حاييم ، مقال بعنوان : والآن فى بنى باراك ، ارصفة للنساء وأخرى للرجال ، صحيفة معاريف ، ص١٧ ، ٣١ /٥/٢٠٠٤م .

وارتداء الجوارب عند نساء طائفة الحريديم يمثل أهمية كبيرة لديهم باعتبارها من وسائل التحشم حتى وصل بهم الأمر إلى حد تحديد لون الجوارب التى يجب على النساء ارتـداؤها هـل ترتـدى الجوارب السوداء أو الرمادية الغامقة؟ ويعتقدون ان الجوارب الملونـة تـثير الغرائـز. وطائفـة "الحريديم" هى الطائفة المتدينة التى وضعت قوانين صارمة على النساء ، فمنذ الصغر يفصلون بين الجنسين حتى فى دور الحضانة ، كما يجب على النساء أن تغطى شعرها بوشاح أو قبعة ([1]) . ومن قواعد الحشمة لديهم أيضًا التحذير للزوجين للتعبير عن عاطفتهما أمام المجتمع ودعوا إلى حظـر الامساك بالأيدى بين الزوجين أمام الغرباء .

وقد تأثر الأصوليون الحديثون بهذه التقاليد حيث منعوا السياحة المشتركة بين الرجال والنساء، ومن هذه التقاليد أنه فى احتفالات الزواج ، يفصل بين المدعوين الرجال والنساء ، وأثناء مراسم الزواج يبقى العريس والعروس كلٌّ ، مع جنسه ([2]) .

هذا وقد اعتادت نساء اليهود المتدينات أن تضع شعرًا مستعارًا (بيأه نوخريت بالعبرية) وهـى الباروكة حتى لا تنكشف رؤوسهن على سبيل العفة والشرف وخاصة بعد زواجها ، كما أنه يحظر على المرأة المتدينة أن تسير فى مكان يتواجد فيه رجال وهى سافرة([3]) .

([1]) شارل لوران ، الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ترجمة يوسف حنا نصر الله ، دارسة وتقديم أحمـد حجـازى السقا ، مكتبة النافذة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص٤٤ ، ٤٥ .

والحريديم طائفة تعادى الصهيونية وتكفر الدولة ، وتعيش فى عزله جيتوية ، ومفردها حاريد بمعنى الورع التقـى ، وتطلق على المتدينين المغالين فى التشدد ، وهم يرتدون ملابس سوداء وغطاء أسود على الرأس أسـفل قبعـة سوداء ، ويعيشون فى جو القرون الوسطى ، ويتحدثون لغة اليدش وهى خليط من العبرية والألمانية ، وهـم يشنون حربًا شعواء على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلى ، ويهاجمون حمامات السباحة المشتركة ، (رشاد الشامى ، القوى الدينية فى إسرائيل ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٨٦ ، يونيـو ١٩٩٤م ، ص٣٠١ ، ٣٠٢) وكلمة حريدى تطلق على الذين يخشون الله وهى مصطلح عبرى لكل من "الخوف والاهتزاز" (ديفيد لاندو ، الأصولية اليهودية ، ترجمة مجدى عبدالكريم ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤م، المقدمة ص٩ .

([2]) شارل لوران ، مرجع سابق ، ص٤٥ .

([3]) انظر رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية ، مرجع سابق، ص٢٤٦ .

وكانت النساء من اليهود الأورثوذكس المتطرفات يضعن فوق رؤوسهن الشعر المستعار رمزًا للوقار والتقوى ، ولم يخالف هذا إلا المستهترات منهن . وفى عصر التلمود تخلت النساء عن عادة استخدام الشعر المستعار إلا أنها عادت إلى استخدامه فى القرن ١٨([1]) .

وعلى الرغم من سماح اليهود بارتداء الباروكة (الشعر المستعار) لهدف الاحتشام إلا أن الوسط الحريدى المتشدد أثار موجة من المعارضة الشديدة حديثاً لهذا الشعر المستعار ، وكان على رأس المعارضين "الحاخام يوسف شالوم الياشيف" الذى أصدر فتوى تقضى بأن الشعر المستعار يستخدم فى صنعه شعر نساء هنديات ، والذى يتم قصّه كجزء من شعائر "عبادة الأوثان" ودعوا إلى استبدال هذا الشعر المستعار بطرحة أو قبعة .

وقد أحدثت هذه الفتوى موجه من الذعر بين أوساط الجاليات اليهودية المتدينة فى العالم ، وقامت وسائل الاعلام بحملات إعلانية للتحذير من ارتداء تلك الباروكات ، وطافت سيارات مزودة بمكبرات الصوت فى أحياء المتدينين اليهود تطالب كل سيدة لديها باروكة شعر طبيعى لتسليمها من أجل إحراقها . كما هرعت النساء المتدينات إلى المحلات فى حى "مائة شعاريم" بالقدس لشراء الطواقى المحبوكة لتغطية رؤوسهن حتى أن إحدى العاملات فى أحد المحلات علقت على هذا الأمر بأن مبيعات محلها تضاعفت ثلاث مرات عما قبل ([2]) .

ويرى الزعيم الروحى لحزب شاس الحاخام "عوفاديا يوسف" "أن المرأة التى تضع شعرًا مستعارًا شأنها شأن المرأة العاهرة " كما جاء على لسان أحد المذيعين فى محطة "كل ها إيميت" الإسرائيلية أن "عددًا كبيرًا من النساء تعرضن للاغتصاب بسبب الشعر المستعار" وقد استجابت بعض النساء اليهوديات فى حى مائة – شعاريم بالقدس (وهو الحى الذى تسكنه طائفة الحريديم فقط) حيث قمن بإحراق الشعر المستعار بزعم أنه ليس محتشماً. هذا وقد أكد الحاخام "عوفاديا يوسف" أنه يحق للزوج تطليق زوجته إذا وضعت شعرًا مستعارًا دون أن تحصل على أية مستحقات لها، وذكر أن الشعر المستعار أصبح محرمًا منذ ٢٥ عاماً لأسباب تتعلق بالاحتشام، وامتدح الحاخام النساء الحريديات اللاتى امتنعن عن ارتداء الشعر المستعار واستبدلوه بطرحة أو قبعة .

([1]) رشاد الشامى ، جولة فى الدين والتقاليد ، مرجع سابق ، ص٨٣ .

([2]) WWW. Al – watan. Com/ data/ 2004052/ index. Asp .

وقد قوبلت هذه الفتاوى الدينية بردود فعل قوية بين أوساط المجتمع اليهودى بين مؤيد ومعارض فذكروا أن الشعر المستعار كان عادة شائعة بين الطوائف الأشكنازية فى عصر الحملات الصليبية عندما كان المسيحيون يغتصبون النساء اليهوديات ، فقامت النساء بقص شعرهن أوارتداء شعر مستعار لإخفاء جاذبيتهن . وعارض البعض الآخر الحاخام عوفاديا بقولهم أنه يتحدث عن طوائف النساء الشرقيات فقط ، حيث اتهموه بأنه ليس حاخامًا ، بل هو تابع للمملكة العربية السعودية ، وأنه لا يمثل نموذجًا للحاخام فى إسرائيل ، بل لآية الله فى إيران([1]) .

والشريعة اليهودية توصى بتغطية شعر المرأة (سعاروت هإشا بالعبرية) وورد فى كتاب الزوهار أن شعر المرأة هو الوسيلة التى تجلب الشرور على العالم([2]) .

وبعد الانفتاح الأوربى والضغوط الخارجية ، وبروز مبدأ العلمانية قامت المرأة اليهودية بنزع حجابها([3]) وأصبحت النساء التقيات يكشفن شعرهن باستثناء دخولهن المعبد اليهودى فيغطين رؤوسهن . وفى بعض الفرق الدينية اليهودية لا تزال المرأة تحتفظ بغطاء رأسها حتى الوقت الحاضر وخاصة عند طائفة الحريديم ([4]) .

ومن جانب آخر فقد أدى انتشار فكر القبالاه وظهور ادعاءات المسحاء المنتظرين وعلى رأسهم "شبتاى تسفى" الذى ادعى أنه المسيح المنتظر وأنه تحل فيه روح الإله حيث أعطى قدسية

([1]) جريدة معاريف الإسرائيلية ، ٢٧ /٥/٢٠٠٤ .

([2]) الزوهار ، ٣ / ١٥ ، الزوهار كتاب من أهم كتب التراث يبحث فى عقيدة القبالاه ، وهى عقيدة تبحث فى الأسرار الخفية والرموز الباطنية فى تفسير التوراه ، ويطلق عليها عقيدة التصوف اليهودى ، وقد اختلف العلماء فى وقت تأليفه ، فمنهم من يرجعه إلى القرن الثانى الميلادى على يد شمعون بن يوحاى – وهو من علماء المشنا وآخرين يرجعونه إلى القرن ١٣ ونسب إلى موسى دى ليون ، وهو الرأى الأرجح ، وقد احتل هذا الكتاب مكانة وشهرة كبيرة لدى اليهود أعلى من منزلة التلمود فى قدسيته ، وضمت أفكاره أسرارًا خفية عن طبيعة الإله والخلق وقوى الشر ، واعتمد على تفسير الحروف للأبجدية العبرية حيث أعطاها رموزًا ومدلولات خفية ومعانى باطنية ، وترجع مصادر الزوهار إلى المدراش والمشنا والتلمود ، وقد سيطر الزوهار على الفكر الدينى اليهودى، (انظر هدى درويش ، عقيدة القبالاه ودورها فى تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة ، مجلة الدراسات الشرقية ، عدد ٣٣ ، يوليو ٢٠٠٤ ، ص٢١١ ، ٢١٢ .

([3]) Rabbi Dr, Menachem M. Braver in his book, The Jewish Woman in Rabbinic literature, http:// WWW. Thewaytotruth. Org / Womaninislam / Judeochristian. Html.

([4]) Dr. Aisha Hamdan, Aljumuah Magazine, Volume 10 Issue 5 Jumaada – A – Ulaa, 141 gh, WWW. Allaahuakbar. Net / Womens – as – dawah. Htm.

خاصة لنفسه، فكان لا يقترب من زوجاته، ونادى بتحليل المحرمات فى الشريعة اليهودية، وإسقاط الأوامر والنواهى، وتشجيع الإباحية الجنسية، والقول بأنه كلما ازداد الأنسان انحلالاً ازداد ارتفاعًا وسموًا، وكلما خرق الشرائع زاد قربًا ووصولاً .

وكانت لهم طقوس خاصة فى الاحتفال بأعيادهم فكانوا يقيمون احتفالاً يسمى عيد "إطفاء الشمعة" حيث يتم فيه ذبح خروف يؤكل ليلاً، ويشترط فيه تواجد المتزوجين فقط، ويمتنع دخول العزاب ويتم فيه تبادل الأزواج، والطفل الذى يولد نتيجة هذه الليلة طبقا لعقيدهم يكتسب قدسية خاصة ([1]) .

وأصبح هذا الفكر الشبتائى مسيطرا على الوجدان اليهودى وتغلغل داخل فكر عدد من الحاخامات فظهر فى نهاية القرن ١٩ أعداد كبيرة من البغايا انتشرت بينهم الإباحية الجنسية وطبقاً للتقارير التى صدرت وإحصائيات ١٩٨٦ أن ٤٥% من الإسرائيليات فى المرحلة العمرية ٢١ سنة كن يتزوجن لانهن يتوقعن طفلاً ، وأن ١١% من الفتيات يتزوجن وهن حوامل، وتعد نسبة عمليات الإجهاض فى إسرائيل أعلى النسب فى العالم ([2]) .

وكلمة البغاء تقابلها فى العبرية كلمة "زينوت" ، والمقصود بها العاهرة وقد ذكرت التوراة عدداً من العاهرات مثل "تامار" زوجة ابن يهوذا التى عاشرها يهوذا بعد موت ابنه([3]) و"راحاب" العاهرة التى ساعدت العبرانيين على دخول أريحا([4]) و"أستير" وغيرها ، وقد ذكرهم التوارة أنهم شخصيات مقبولة ، إلا أنها محتقرة ووضيعة . بينما يحرم التلمود البغاء تماماً، ومع هذا فالشريعة اليهودية تقر بحق العاهرة فى الحصول على أجرها ([5]) .

ومع تزايد معدلات العلمنة فى المجتمعات الغربية فقدت المؤسسة الدينية اليهودية معظم شرعيتها نتيجة لتلقى الفتيات للتعليم العلمانى . كما ساهمت الطقوس اليهودية الخاصة بزواج المطلقة أو

([1]) انظر مصطفى طوران ، يهود الدونمة ، ترجمة كمال خوجة ، دار الإسلام ، استانبول ، ١٩٧٧م ، ص٣٠ .

([2]) عبدالوهاب المسيرى ، اليد الخفية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص١٧١ ، ١٧٢ .

([3]) سفر التكوين ، اصحاح ٣٨ / ١٤ – ١٩ .

([4]) سفر يشوع (١/٢) – حتى نهاية السفر)

([5]) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

الأرملة فى انتشار البغاء ، فلم يكن يسمح للمرأة بالزواج مرة أخرى إلا بعد حصولها على شهادة من المحاكم الحاخامية ، وكان الحصول على هذه الشهادة أمرًا فى غاية الصعوبة .

هذا وقد صدر فى إسرائيل مؤخراً قانون يبيح البغاء حيث يسمح للمرأة غير المتزوجة بممارسة البغاء فى بيت أو فندق أو سيارة ([1]) كذلك ومما ساعد على انتشار البغاء بين اليهوديـات إلـزام المتزوجة بأن تضع غطاء على رأسها لتميزها عن الفتيات اللاتى لم يتزوجن بعـد ؛ ممـا أدى إلى امتناعهن عن الزواج الذى يقيد حريتهن ، وسيطرت عليهن علاقة "الرفقة" .

كما ظهرت فى الآونة الأخيرة بين النساء اليهوديات حركة للتمرد على هيمنة الـذكر علـى الأنثى فى اليهودية طبقا لما جاء فى الشريعة التى تستند على أن المرأة تأتى فى المرتبة الثانية للرجل ، فظهرت حركة يهودية نسائية لتحقيق المساواة بينها وبين الرجل ، وتتمثل تلك الحركة فيما يعرف بحركة، "التمركز حول الأنثى" وهى رؤية أنثروبولوجية اجتماعية تصدر عن مفهوم أساسى وهو أن تاريخ الحضارة البشرية ما هو إلا تعبير عن هيمنة الذكر على الأنثى، حيث كانت المجتمعات القديمة مجتمعات أمومية، تسيطر عليها الأنثى، وكانت الآلهة إناثا، ثم سيطر الذكور، وأسسوا مجتمعـات قائمة على الصراع والغزو، بمعنى اقتحام الذكر للأنثى، فظهر دعاة "التمركز حول الأنثى" ببرنامج إصلاحى يدعو إلى "إعادة صياغة التاريخ واللغة والطبيعة البشرية من وجهة نظر أنثوية"، فتستخدم صيغًا محايدة أو صيغًا ذكورية انثوية .

ويهدف هذا البرنامج الإصلاحى إلى إعادة صياغة الإدراك البشرى للطبيعة البشرية وتجلت فى مؤسسات تاريخية وأعمال فنية ([2]) ويرى أصحاب هذه النظرية أن التاريخ يدور حول مركز ، هو الرجل الذى يمثل السلطة، والإله الذكر، ويرون أنه يجب ان يحل محل هذا المركز شـىء محايـد، فينظر إلى الإله باعتباره ذكرًا وأنثى، وتتساوى الكائنات . وقد برزت هذه الحركة بروزًا كبيرًا فى اليهودية حيث أصبحت المرأة اليهودية مرشحة أكثر من غيرها فى الانخراط فى صفوف حركـات "التمركز حول الأنثى" نتيجة للفكر اليهودى الذى ولد لديهم هذه النزعة من حيث رؤيتهم لتاريخ البشر بأنه تاريخ ظلم وقمع لليهود والإناث، ومقولة "يهود وأغيار" عندهم تقابل مقولة "ذكـر وأنثى" .

([1]) المرجع السابق، ص١٧٧ .

([2]) المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص١٨١ .

كانت اليهودية الإصلاحية هى أول فرقة استجابت لحركة التمركز حول الأنثى اليهودية ففى عام ١٩٧٣م وافقت اليهودية للنساء بالقراءة من التوراة فى المعبد، وقد كانت مقصـــورة علـــى الرجال، ثم وافقت على ترسيم الإناث كحاخامات محافظات عـــام ١٩٨٥م، ومنشـــدات عـــام ١٩٨٧م، وقامت بعض النساء الأمريكيات اليهوديات بالمطالبة بحق تلاوتهن التوراة أمام حـــائط المبكى، وأن ترتدى شال الصلاة (طاليت) وطاقيات الصلاة، والذى كان مقصورًا على الرجـــال أيضًا ([1]) .

وتقوم بعض المعابد طبقا لرؤيتها لحركة "التمركز حول الأنثى" بتغيير صيغة الإشارة إلى الإلـــه باعتباره ذكر حيث يشار إليه بأنه "ذكر وأنثى" لتحقيق المساواة بين الجنســـين . وتشـــير بعـــض مفكرات الحركة اليهودية "للتمركز حول الأنثى" إلى علاقة القمر بالعـــادة الشـــهرية ويقيمـــون احتفالات خاصة بالعادة الشهرية والاجهاض والولادة، وهذه الحركة ما هى إلا تفكيـــك للـــدين والنصوص المقدسة ([2]).

ومن أشهر النساء اليهوديات اللاتى قدن هذه الحركة فى الستينيات الكاتبة الأمريكيـــة "بـــتى فريدان" ([3]) .

([1]) شال الصلاة "طاليت" هو ثوب يرتديه اليهود من الأرثوذكس والمحافظين ، ويعنى شـــال أو عبـــاءة أو رداء، ويرتديه اليهود أثناء الصلاة فوق ملابسهم ، وهو من الملابس الضرورية لرجال الدين ، ولا يصلح إلا باكتمال أهدابه تحقيقا لوصية التوراة بصنع أهداب فى أذيال ثياب بنى إسرائيل لتكون علامة تذكرهم بوصـــايا الـــرب وشرائعه (انظر سفر ، العدد ١٥/٣٧ – ٤١) وللطاليت أحكام فى الطهارة أهمها أنـــه لا تلمســـه النســـاء ، ويخصص له مكان معين فى المنزل ، وقبل ارتدائه ينبغى على اليهودى أن يتلو : "مبارك أنت أيها الـــرب إلهنـــا ملك العالم الذى قدسنا بوصاياه وأمرنا أن نتدثر بالأهداب" ،انظر رشاد الشامى ، الرموز الدينية اليهوديـــة ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، عدد ١١ ، ٢٠٠٠م ، ص٥٩ – ٦٤) .

([2]) عبدالوهاب المسيرى ، اليد الخفية ، مرجع سابق ، ص١٨٦ .

([3]) بتى فريدان من أصل يهودى ، احدى زعيمات حركة التمركز حول الأنثى فى الولايات المتحدة ، ولدت عـــام ١٩٢١ فى ولاية ألينوى ، ودرست علم النفس بكلية سميث ، وهى كلية خاصة بالنســـاء ، تخرجـــت عـــام ١٩٤٢م واستكملت دراستها فى كاليفورنيا ، وعملت باحثة ومحللة نفسية من أعمال بتى فريدان كتاب باسم "السر الانثوى" عام ١٩٦٣م، والكتاب يركز على قضية المساواة ، ويهاجم إعلاء دور المرأة كأم وزوجـــة، ويدعو إلى تحقيق ذات المرأة بالعمل والتعليم، وقامت "بتى فريدان" بتأسيس "المنظمة القومية للنســـاء" NOW وتولت رئاستها فى الفترة من ١٩٦٦ – ١٩٧٠م . وفى عام ١٩٧٠م قادت مظاهرة تضم ٥٠ ألف امـــرأة=

وجدير بالذكر فإن كل فرد فى إسرائيل حر فى تطبيق أو عدم تطبيق شرائع الـدين ، وهنـاك اختلافات فى الرأى بين اليهود المتدينين الذين يعتقدون أن من حق الكنيست أن يفرض القـانون الدينى على مختلف نواحى الحياة العامة ، وبين اليهود العلمانيين الذين يؤمنون بفصل الدين عـن الدولة ، بمعنى عدم الإيمان بمشروعية القوانين التى تستند على الشريعة اليهودية التى يمكن أن تقيد حرية الفرد ([1]) . وعلى الرغم من اختلاف الآراء وسيطرة العلمانيين فإن اليهودية تميل إلى التشدد فى أحكام احتشام المرأة وسترها عن الغرباء .

=للمطالبة بمساواة المرأة بالرجل فى الحقوق والواجبات، وشاركت فى تأسيس المؤتمر السياسى النسائى القومى عام ١٩٧١م، وبنك النساء ١٩٧٣م، والمجلس العالى للمرأة عام ١٩٧٣م، وتعد مـن أبـرز الشخصـيات المدافعة عن المساواة بين المرأة والرجل فى عهد "ريجان" وكان الدافع لقيادتها للنساء اليهوديات فى الولايـات المتحدة هو الاحساس بأنهم أعضاء فى أقلية داخل الولايات المتحدة، فى الوقت الذى تصاعدت فيها معـدلات العلمنة والرغبة فى الاندماج فى المجتمع الأمريكى، فقد كانت الأسرة اليهودية حتى الستينيات تتميز بالتماسك، ثم بدأت فى التراجع طبقا لرغبتهم فى التضامن مع المجتمعات التى يعيشوها داخلها ، (المسيرى، اليـد الخفيـة، مرجع سابق، ص١٨٨) .

([1]) يشعياهو ليفمان ، العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٦٦ ، ترجمة محمد محمود أبو غدير ، مراجعة وتقديم إبراهيم البحراوى ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص٢٦٣ .

المبحث الخامس :

حجاب المرأة فى المسيحية :

ورد لفظ الحجاب فى المسيحية بأنه الستارة الداخلية التى تفصل بين القدس وقدس الأقداس فى خيمة الاجتماع ، ومعناه أن الله لا يدنى منه ، والطريق إلى الاقتراب إليه مقفول بهذا الحجاب . وقد ذكرت كلمة الحجاب فى الكتاب المقدس ٢٣ مرة (١) .

وتذكر الديانة المسيحية مثلما ورد فى اليهودية أن المرأة هى رمز الخطيئة الأولى فى البشرية حيث يعتقدون أن المرأة تحمل خطيئة أمها العليا حواء إلى يوم القيامة (٢) .

فتقول المسيحية أن المرأة هى التى أغوت آدم بالخطيئة التى من أجلها بعث "الأب" ابنه "عيسى" ليصلب فيغسل ذنوب البشرية، ولهذا فالمرأة فى المسيحية هى باعثة الخطيئة الأولى . ويقول القديس "ترتوليان" أن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان

ويقول عن النساء : "هل تعلمن أن كل واحدة منكن حواء؛ لذلك يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكن ولجنسكن عامة" وهو ما يسمى فى المسيحية لعنة حواء الأبدية" (٣) .

ويحدث "ترتوليان" عن المرأة بقوله : "أيتها المرأة يجب عليك دائماً أن تكونى مغطاة بالحداد لا تظهرين للأبصار إلا بمظهر الخاطئة الحزينة الغارقة فى الدمع"(٤).

وجاء فى رسالة "بولس" إلى "تيموثاوس" الأصحاح الثانى أن "آدم لم يغو ولكن المرأة أُغويت فحصلت فى التعدى" (٥) .

أولاً : غطاء الرأس فى الديانة المسيحية من خلال العهد الجديد :

تدعو المسيحية المرأة بالتزام كل ما يوجب احتشامها واحترامها . وتفرض عليها سلوكًا أخلاقيًا ملزمًا لكل سيدة متدينة تقية .

---

(1) أنظر دائرة المعارف الكتابية ، مادة حجاب .

(2) عباس العقاد ، المرأة فى القرآن ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص١٧-٢٠ .

(3) عبدالمتعال الجبرى، مرجع سابق، ص١٤١- ١٤٥ .

(4) محمود عبدالسميع شعلان ، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ، ج١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م ، ص١٩٠ .

(5) عباس العقاد ، عبقرية محمد ، سلسلة اقرأ ، عدد ٣١٣ ، ص١٢٨ ، ١٢٩ .

وكانت الراهبات الكاثوليكيات يغطين رؤسهن منذ مئات السنين، ولا يزال زيهن يعبر عن تمسكهن الشديد بالتزام احتشامهن من الرأس حتى القدمين وهو شبيه بالزى الذى أقره الإسلام للمسلمات .

والمسيحية تنظر إلى غطاء رأس المرأة بأنه يمثل علامة سلطة الرجل على المرأة وعلامة طاعة وخضوع ؛ لأن مجد الله فى الرجل .

وفى نصوص العهد الجديد جاء فى رسالة الرسول بولس إلى الكنيسة لأهل كورنثوس:

"أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله ، كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على رأسه شيء ، يشين رأسه . وأما كل إمرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى ، فتشين رأسها ، لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه . إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها . وإن كان قبيحًا بالمرأة أن تقص أو تحلق ، فلتتغط فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل . لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل؛ لهذا ينبغى أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة ، غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضًا هو بالمرأة . ولكن جميع الأشياء وهى من الله . احكموا فى أنفسكم . هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاة"([1]). وهذا النص يعطينا تصور كامل لمفهوم الحجاب فى الديانة المسيحية .

مناسبة ورود الرسالة لأهل كورنثوس :

وجه بولس هذه الرسالة إلى أهل كورنثوش "وكورنثوس" مدينة شهيرة تسمى الآن "المورة" وتقع بين بحرى إيونيان وإيجه وكانت هذه المدينة تشتهر بغناها وتردد الفلاسفة عليها ، أقام فيها القديس بولس مدة خمس سنين يبشر بالإنجيل ، واهتدى الكثير منها على يديه وما ان تركها وذهب إلى "أفسس" حتى ثارت بين أهلها الخصومات واختلفت بينهم الآراء ([2]) .

([1]) انظر رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس ، اصحاح / ١١ / ٤ – ١٦ .

([2]) الخورى جرجس ، المقدمة ، شرح رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ، منشورات المعهد ، المعادى ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

كما قامت النساء بترع غطاء رأسهن واشتركت فى الخدمة فى الكنيسة دون غطــاء وخــالفن العادة التى كانت جارية فى الشرق وهى تغطية الرأس .

وكانت كورنثوس أكثر بلاد العالم خلاعة ودعارة ، ولهذا فكان لابد من توجيه رسالة صارمة تتسم بالمحافظة حتى لا يعطى للوثنيين فرصة لاقام المسيحيين بالتهاون فى المحافظة على دينهم .

وفى هذه الرسالة يوجه بولس كلامه مجابهاً الحركة التحريرية التى قادها المرأة الكورنثية الــتى استندت على القول بالمساواة بين الرجل والمرأة، وأن المسيح واحد للكل للذكر كما للأنثى ([1]) .

ويبدو أن المرأة فى ذلك الوقت خلطت بين الأمور الروحية وبين الحياة المدنية، وتصــورت أن المساواة تعطيها الحق فى عدم الخضوع والانصياع للترتيب الخلقى الذى وضــعه الله ، وهــو أن الرجل هو رأس المرأة ، والمسيح رأس كل رجل ، والله رأس المسيح ؛ فقامت بكشف شــعرها فى الاجتماعات الدينية مما أثار غضب بولس ، فقام بتوجيه اللوم إليها وتوبيخها على ذلك الأمر ([2]) .

التأثيرات الشرقية لغطاء رأس المرأة فى عهد بولس :

كانت النساء فى عصر بولس إذا خرجن دون تغطية رؤوسهن حسبت بلا حياء وبلا خضــوع لزوجها وتذكر الديانة المسيحية أن خضوعها هذا لا يعنى عدم مساواقا للرجل فى الطبيعة أو عدم مساواقا له أمام الله ولكنه ترتيب الحياة العائلية والاجتماعية الذى وضعه الله كما يذكر الرسول بولس ، وخروج المرأة بلا غطاء يخدش منظرها أمام الناس ([3]) .

ويشرح الدكتور "وليم باركلى" أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو أهمية الرسالة التى وجهها بولس للنساء بقوله : "إن هذا الرسالة لها أهمية عظمى ؛ لأنّ بولس فى معالجته للنص وضع مبادئ أبدية مناسبة لكل عصر . ففى عهد بولس كان البرقع أو الحجاب الشرقى يغطى معظــم أجــزاء الجسم ، ولم يكن يظهر من المرأة سوى العينين وكانت كل سيدة شرقية محترمــة ترتــدى هــذا الحجاب" .

([1]) رسالة غلاطية ٣ /٢٨ .

([2]) جون ويسلى ، الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ، تعريب عزت زكى ، مكتبة النيل المسيحية ، ص١٢٠ .

([3]) القس متيس عبدالنور ، كنيسة الله دراسة فى رسالة كورنثوس الأولى ، صــدر عــن call of Hope, west Germany ص١٣٤ .

ويقول" ديفيز" فى "قاموس الكتاب" : لم يكن بالإمكان لأى امرأة محترمة فى قرية أو مدينة شرقية أن تخرج دون حجاب ، ولو فعلت ذلك فإنها تعرض نفسها لخطر إساءة الظن بها والتعريض بسمعتها .

ويذكر "سير ويليام رمزى" فى القيم التى يبثها هذا النص فيقول: "فى البلاد الشرقية يعتبر الحجاب أو البرقع بمثابة قوة المرأة وشرفها وكرامتها . وطالما الحجاب فوق رأسها فهى تستطيع أن تذهب إلى مكان وهى فى أمان واحترام كامل، والتطلع لأى إمرأة متحجبة فى الشارع يعتبر دليلاً على أسوأ الأخلاق وأحطها . فهى بغطاء رأسها تسير وسط الجمهور ، متشامخة متسامية ، والمرأة التى تتخلى عن حجابها يضيع كل سلطانها ، وتتلاشى كرامتها ، وتصبح عرضة للإهانة والإساءة إليها من أى أحد ، ويؤكد أن الحجاب يحفظ للمرأة تواضعها وطهارتها[1].

وفى تعليق شارحى العهد الجديد على هذا النص جاء فيه أن طابع هذا العصر يتوجه دائماً لانتقاد تقاليد الماضى ويزدريها ، بينما هذه التقاليد هى فى حد ذاتها ذات قيمة كبيرة ، وعلى العاقل أن يتفكر فيها ، فكان توبيخ "بولس" للنساء المؤمنات أنهن خالفن العادة التى كانت جارية فى الشرق ، وهى أن تغطى النساء رؤوسهن فى الاجتماعات العامة . وكان غطاء الرأس فى الشرق علامة حشمتهن وخضوعهن للرجال .

النظام الإلهى للسلطة والخضوع ورمزية الحجاب فى المسيحية :

طبقًا لتفاسير كبار اللاهوتيين فى الديانة المسيحية نجد أنهم يفسرون النظام الكونى للبشر بأن الله بحكمته جعل نظاماً للخلق – وهو أن كل رتبه من خلائقه تخضع للتى هى فوقها، والله تعالى فوق الجميع – فمعنى القول بأن رأس كل رجل هو المسيح تعنى أن المسيح بالنسبة للمؤمنين بمثابة الرأس للجسد ، ويجب الخضوع له ، كما يخضع العضو للرأس، ورأس المرأة هو الرجل ، تعنى أن المرأة التقية لابد لها أن تخضع للرجل (زوجها) ، والمرأة بمقتضى النظام الذى سنه الله يجب أن تكون دون الرجل وتخضع له؛ لأنه نائبها ، وشرفه هو شرفها ، والمسيح خاضع لله ، ودائمًا ما كان يذكر المسيح خضوعه للآب فى الفداء . والمقصود بالرجل فى هذا النص "المؤمنين" والمقصود بالرأس، السيطرة والقيادة .

([1]) وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد ، نقله إلى العربية القس باق صدقة ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٩م ، ص١٥٤ ، ١٥٥ .

ويذكر المفسرون لهذا النص أن المقصود بقول "ان رأس كل رجل هو المسيح" ليس المقصود به الرأس المادية بل هى السيادة والخضوع ؛ لذا فالقول "بأن رأس المرأة هو الرجل" تعنى سيادة الرجل على المرأة ، وأن غطاء رأسها دليل على خضوعها وانقيادها للرجل . وفى هذا المعنى يرجع إلى الخليقة الأولى حيث إن المرأة خلقت من الرجل .

ويتحدث "فؤاد حبيب" عن المرأة التى تخضع للرجل باعتباره رأسها فيقول : "لقد خلقت المرأة لأجل الرجل ، لكن هناك اعتمادا متبادلاً فإن الرجل والمرأة من الله والمرأة لا تمثل الله لكنها تمثل الرجل الذى يمثل الله ، والرجل لأنه يمثل الله الرأس وهو فى محضر القديسين أنه صورة الله ومجده ، فإذا وضع غطاء على رأسه ففى هذه الحالة يشين رأسه لأنه لا يجب أن يوضع فى مكانة أقل أما الغطاء بالنسبة للمرأة فهو علامة الخضوع ودليل الوداعة .

ويذكر "جورج جيليسى" : إن النساء اللاتى يكشفن عن شعرهن فى المجالس الكنائسية ، يدل هذا العمل على عدم خضوعهن ، وينبغى عليهن أن يخجلن من هذا الفعل ؛ فتغطية الزوجة لرأسها دليل على خضوعها لسلطة زوجها، ويستشهدون بالواقعة التى حدثت فى اليهودية التى كشف القسيس شعر المرأة حتى يتعرف عليها .

ويقول "هنرى ألفورد" : "من الأدب الطبيعى أنه على النساء أن يحجبن فى المجالس الدينية العامة" .

ويقول "فوسيت شارك" : إن خضوع المرأة للرجل شرف لها ، ويعنى خضوعها للمسيح الذى هو رأس الرجل . وأنه شعار تواضعها والتواضع هو زينتها الحقيقية .

ويؤكد نص العهد الجديد الذى ورد فى رسالة الرسول بولس أنه لا يليق أن يلبس الرجل غطاء على رأسه لأنه يكون علامة للخضوع وإنما بالنسبة للمرأة ؛ فهو آية عفتها وحشمتها ، ويليق بالمرأة أن تتقنع وهى فى محافل الرجال لتظهر الخضوع (١) . والطبيعة تحكم بأنه عار على الرجل ان يلبس ملابس المرأة وكذلك المرأة لا تلبس لبس الرجال (٢) وهو ما اتفقت عليه كل الكنائس المسيحية(٣) .

---

(1) سفر العدد ، ١٠ .

(2) سفر العدد ١٣ – ١٥ .

(3) وليم أدى ، الكتر الجليل فى تفسير الإنجيل ، ج٤ ، المطبعة الأميركانية ، بيروت ، ص١٢٣ .

عقوبة كشف رأس المرأة المسيحية فى الصلاة :

يضع الرسول بولس فى رسالته لأهل كورنثوس وخاصة النساء مبادئ وقيم لمن يقوم بمهمة التنبأ بالمستقبل وعقوبة من يتساهل فى تطبيق تلك المبادئ فيقول أن "كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على رأسه شئ ، يشين رأسه ، وكل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى ، فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شئ واحد بعينه" وطبقًا لما ورد فى تفسير هذا النص فإن الذى يصلى يطلب البركات ، والذى يتنبأ هو الذى يتكلم بإلهام الروح القدس بهدف تعليم السامعين سواء بحثهم على القيام بواجباتهم أو توبيخهم أو يعلنهم بأمور مستقبلية .

أما بالنسبة للمرأة وخاصة التى ظهرت فى كنيسة كورنثوس وكانت تتنبأ أى تعظ الناس ورأسها مكشوف ، وتقوم للصلاة بدون غطاء للرأس، فإنه فى حالة إصرارها على عدم ارتدائه ؛ فإنها تعاقب على هذا الفعل المشين بأن تقص شعرها أو تحلقه ، ولها أن تتحمل قبح منظرها فى ذلك الوضع ([1]) . وقد قصر الكلام على زى المرأة فأوجب على المرأة العفيفة أن تغطى رأسها متى خرجت من بيتها، وفى حال تركها القناع تكون فى منزلة التى حلقت شعرها أو قصته ، ويعد هذا آية حزن بالنسبة لها . ([2])

وقناع المرأة فى المسيحية هو علامة عفتها التى تميزها عن العاهرة ، وعبارة "اذا المرأة ان كانت لا تتغطى فليقص شعرها . وان كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط([3]). يحمل الرسول بولس هنا المرأة أن تستحى إذا كانت بلا غطاء كاستحيائها من أن تقص شعرها أو تحلقه .

ويعلق الدكتور "الخورى جرجس فرج" على هذه العبارة بقوله : "أنها فى هذه الحالة يلحقها من العار ما يلحقها لو كان رأسها محلوقا" .

ويقول ترتوليان : "إن البتول بينما ترمقها العيون تكون فى خطر ، لذلك يلزمها ان ترتدى غطاء يكون لها بمنزلة خوذة حتى لا تكون هدفاً لألحاظ الآخرين" ([4]) .

أما عبارة "احكموا فى أنفسكم . هل يليق بالمرأة ان تصلى إلى الله وتخاطبه وهى غير مغطاه" !!.

([1]) جون ويسلى ، مرجع سابق ، ١٢١ ، ١٢٢ .

([2]) سفر التثنية ، ٢١ : ١٢ .

([3]) سفر العدد ، ٥ : ١٨ ، التثنية ٢٢/٥ .

([4]) جرجس فرج صغير ، مرجع سابق ، ص١٠١ .

فالرسول بولس هنا يحكّم العقل والمنطق والذوق السليم والاخلاقيات فى أمر تغطية المرأة رأسها من خلال صيغة استدلال وتعجب.

ويقول الدكتور "براون" فى عقوبة المرأة التى تكشف شعرها ان تقصه أو تحلقه ، ان المرأة يحلق رأسها لذنب شنيع اقترفته .

أما الرجل فإذا وضع شئ على رأسه يشينه، ولا يليق به ، لأنه صورة الله ومجده وان الله أخضع له كل شئ حتى المرأة (١) .

والرجل الذى يغطى شعره فكأنه يغطى سلطان المسيح عليه ؛ لذا ينبغى للرجـــل أن يكشـــف رأسه لإظهار مجد الله الممثل فى السلطان على الخليقة ، والمرأة التى لا تريد أن تتغطى فكأنها تريد أن تكون رجلاً (٢) .

الحجاب فى المسيحية سرور للملائكة :

فى عبارة الرسول بولس التى يقول فيها "لهذا ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة (٣) . فالمقصود هنا بالسلطان الذى على رأسها أى الغطاء .

ويفسر اللاهوتيون هذه العبارة بأن الملائكة هم ملائكة الله الأطهار الذين يحضرون اجتماعات الكنيسة ، وهم غير منظورين ، وإنما هم يشاهدون بسرور كل ما يتفق مـــع النظـــام واللياقـــة ، ويحزنون لكل مالا يتوافق مع هذا النظام ، لذا وجب على المرأة أن تتغطى ، وتتبع أمور اللياقـــة والعفاف والحشمة ، لتسر بها الملائكة لخضوعها للنظام الذى وضعه الله (٤) .

ويقول المفسرون أن المراد بالملائكة هنا هم "الكهنة" طبقاً لمـــا ورد فى أن "ملاخـــى" يســـمى الكاهن ملاكاً ، ولذلك ينبغى ان تتغطى لئلا تكون للكاهن الذى يباشر الأسرار معثرة(٥) ويقول الدكتور "براون" فى تفسيره لهذه العبارة : "أنه يمكن الظن أن بولس يقصد هنا أن الملائكة حـــين

---

(1) الخورى جرجس ، مرجع سابق، ص ١٠٢ .

(2) ناشد حنا ، تفسير رسالة بولس الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، مكتبة كنيسة الأخوة ، القـــاهرة ، ١٩٨٦م ، ص١٨٢ – ١٨٧ .

(3) سفر التكوين ،(٢٤ : ٦٥) ، سفر العدد (١٨/٥) ، وأشعيا (٢/٦) ، متى (١/١٨) ، وافسس (١٠/٢) .

(4) وليم ادى الأميركانى ، مرجع سابق ، ص١٢٧ .

(5) الخورى جرجس فرح صغير ، مرجع سابق ، ص١٠٢ .

ترى امرأة مكشوفة الرأس ؛ تعد ذلك دليلاً على تمردها على سلطان زوجها ، وأن الملائكة مرهفو الحس من حيث ضرورة الخضوع للسلطان ، كلٌ ، حسب رتبته .

وقال أكد الشراح فى تعليقهم على هذه العبارة أيضًا ، "أن المرأة إذا فكرت باستهتار فإنها تفزع الرجال ، وبالتالى فإنها تفزع الملائكة الذين يحضرون فى العبادة العامة ([1]) .

وقد ورد فى سفر أشعيا أن لكل واحد من الملائكة ستة أجنحة ، اثنين يغطى بهما وجهه فى حضرة الرب ، واثنين يغطى رجليه وباثنين يطير ، ويفسرون ذلك بأن الرب جعل الرجل يكشف رأسه ووجهه فى حضرته ، لكى يظهر مجد الله ؛ لأن الله ميز المؤمن بأنه "صورة الله ومجده" ([2]).

وفى تفسير آخر لهذه العبارة فإن شارحى ومفسرى العهد الجديد يرجعونها إلى القصة التى وردت فى سفر التكوين ، والتى تحكى أن الملائكة وقعت فى شرك فتنة النساء الحسناوات فأخطأوا، وقد ورد فى التلمود أن الذى أغوى الملائكة هو جمال شعر النساء الطويل ؛ لذا استلزم على المرأة أن تغطى شعرها حتى لا تفتن الملائكة ([3]) .

وفى تفسير آخر لهذا النص أنه فى اجتماعات القديسين فإن الاجتماع يكون باسم الرب، والرب بحسب وعده يأتى ، والملائكة تحيط به ساجدة للرب ، وهى مغطية وجوهها احتراماً وخضوعاً لله ([4]) .

وعلى هذا النحو فإن الملائكة تشترك فى العبادة وتتعلم من الكنيسة ([5]) .

لذلك يجب على المرأة التى تشترك فى العبادة أن يكون سلوكها باللياقة والاحترام([6]) .

والقول "أنه يجب أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة" فهم يعتقدون أن الشيطان يكره غطاء الرأس لأنه يذكره بجلب العار عليه بسبب رفضه رئاسة الله ، وغطاء الرأس هو رمز الخضوع والاستسلام لأوامر الرب .

([1]) سفر أشعيا ٦ / ٢ ، براون ، تفسير رسالة كورنثوس الأولى ، نقله إلى العربية ، حبيب سعيد ، جمعية نشر المعارف المسيحية ، مصر ، ص١٢٤ .

([2]) سفر أشعيا /٦

([3]) وليم باركلى ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

([4]) أشعيا ٦/٢ .

([5]) رسالة أفسس ١٠/٣ .

([6]) فؤاد حبيب ، كنوز المعرفة ، خلاص النفوس للنشر ، يوليو ٢٠٠٢م ، ص١٤٢ .

شعر المرأة فى المسيحية مجدها :

يذكرالعهد الجديد : "فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله"(١) .

وبالنسبة للمرأة فشعرها هو مجدها وانوثتها لذا يجب ان تغطية تشريفا لرجلها . يقول ترتوليان فى إعلان ١٩٨ "لماذا تكشف قبل الله ما تغطيه قبل الرجال ؟ كونى عذراء خفية" .

ويقول "سان كارول كلارك" أنه من خلال رؤيته للآثار والصور والأدوات المتعلقة بـالقرون الوسطى والتى تصور الملابس التى يرتديها الناس فى تلك الفترات وجـد أن الجنـود يلبسـون الخوذات، بينما النساء كانت خفيات تماماً بمعنى مغطاة لا يظهر شىء منهن (٢) .

والعبارة التى وردت فى نص رسالة بولس بأن شعر المرأة هو مجد لها تعنى أن الشعر الذى هـو زينة المرأة وجمالها هو مجد لها وهو بمثابة برقع طبيعى منحه الله لها ، ولهذا ينبغى لهـا أن تصـونه، وتحافظ على مجدها بتغطيته، مما يجعلها تسير فى طريق الطاعة والخضوع أمام الله والناس .

ويقول "الخورى جرجس" فى تفسيره لهذه العبارة : "إن الطبيعة منحت المرأة برقعاً وهو شعرها الذى هو مجد لها ، فإذا أضافت إليه برقعا آخر (أى غطاء) وكان ذلك بإرادة منها كـان فضـلها أعظم" (٣) .

ويقول "جون كالفين" : "إذا أصبحت النساء حاسرات الرأس فسوف يقول أحد : إذاً ما يضر فى كشف المعدة أيضًا ؟ ويقول آخر : لم لا أيضًا (عارى) وآخر يقول ولم لا هذا ... (عارى) ومن هنا نقول أن غطاء شعرها يكون غطاءاً طبيعيًا مثل الكون .

ويتحدث القديس "ترتوليان" فى مسألة حجاب المرأة فيؤكد ضرورة التزام النساء الصـغيرات بالحجاب فى الشوارع بين الأغراب والقانون الكنسى للكنيسة الكاثوليكية اليوم يطالب النسـاء بتغطية رؤسهن فى الكنيسة (٤) . بينما يأمر زعماء الكنائس النساء بضرورة التخفى عـن طريـق

---

(1) رسالة بولس لأهل كورنثوس ٢٠/٦ .

(2) www. Kingshouse. Org/ head covering. Htm .

(3) الخورى جرجس ، مرجع سابق ، ص١٠٣ .

(4) R. Thompson, Women in Stuart England and America London: Routlege and Kegan Paul, 1974, p. 162 .

الحجاب ويؤكدون على النص الذى وجهه بولس فى هذا الشأن لأهل كورنثوس وهو أن غطاء الرأس رمز لخضوع المرأة للرجل ولله ([1]) .

ويذكر شراح الإنجيل أن النساء فى كورنثوس فهمن قولَ المسيح فهمًا خاطئاً بأنه لا تمييز بين الذكر والأنثى وأن المساواة كاملة بين الجنسين فى القربى إلى الله فاعتقدوا أن كشف رؤوسهن من المساواة .

ويعلق الدكتور "براون" على هذه المسألة بقوله : "إن طقوسنا يجب أن تعبر عن الحق الروحى وأن تتسق مع موحيات الطبيعة ، ففى الشرق نرى الرجال يرتدون الطربوش أو العمامة ، ويخلعون الحذاء ، دلالة على الاحترام والتوقير . وحين نراعى هذه العادة فى الكنيسة، وفق عادات الموطن الذى نوجد فيه ، فنحن نتبع تعليمات بولس روحاً لا حرفاً" ([2]) نلحظ هنا نقاط الالتقاء فى الأديان السماوية فى ضرورة الأخذ بمبادئ الاحترام والتوقير فى السلوكيات والمظهر .

ومما لا شك فيه أن بولس هنا فى رسالته لأهل كورنثوس فى وجوب تغطية النساء شعورهن أنه أرسى مبادئ عليا وأخلاقيات مثالية يجب أن تحتذى فى كل العصور .

ويذكر "ملتون سميث" فى شرحه للنص أن بولس أكد فيه ترتيب الخليقة ويناشد بالطبيعة التى نتعلم منها كل ما هو حسن ، فشعر المرأة الطويل هو غطاء طبيعى لها والطبيعة تلزمها بالخضوع وتخبرنا أن المرأة المتخفية هى المرأة الجميلة، بينما التى تقص شعرها وتتشبه بالرجال تنال ازدراء الجميع ([3]) .

ويذكر شراح العهد الجديد فى مسألة تغطية رأس المرأة فى الاجتماع أن البعض ارجعها إلى عادات وتقاليد كل بلد ، بينما هم يرفضون تلك الأقوال باعتبار ان كل ما يكتب فى الكتاب المقدس هو بوحى الروح القدس وهو جدير بالاهتمام وينبغى الخضوع إليه والمرأة المكشوفة الرأس لا تمجد الله .

([1]) Mary Murray, The law of the Father London, Routledge, 1995, p. 67 .

([2]) براون ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

([3]) هاملتون سميث ، الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، بيت عنيا ، يناير ٢٠٠٢م ، ص٨٩ .

ويؤكد مفسرو الإنجيل أن روح العصر الحاضر تتوجه إلى التخلص من كل خضوع ومن سلطة الناموس الإلهى الذى وضعه الله للبشر فأصبح الرجل يلبس مثل المرأة ويطيل شعره والمرأة تقصره ، وهذا هو عمل إبليس الذى يريد أن يفسد منظر خليقة الله .

ويدعو القس "متيس" إلى وجوب احترام كل مجتمع نعيش فيه سواء فى الملبس أو المظهر ، بحيث تتفق مع تقاليد المجتمع حتى لا يسيء الناس الحكم على أحد (1) .

ومن خلال النص السابق وما ورد من تفاسير كبار اللاهوتين المسيحيين يتضح لنا أن الديانة المسيحية توجب على المرأة تغطية شعرها، وقد وصل الأمر بالقول أنها فى حالة عدم تغطية شعرها فيتحتم عليها العقاب بأن تقصه أو تحلقه ، وحلق الشعر مشين للمرأة فى المسيحية . ومن خلال النص السابق نخلص أن غطاء رأس المرأة المسيحية يرمز إلى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو إظهار الطاعة وقبولها قيادة الرجل لها كما أمرها الله، فقبولها تلك القيادة تعنى الخضوع لسلطة الرجل وهو فى الوقت نفسه امتثال لأمر الله فتضمن بهذا احترام الرجل وتوقيرها ومعاملتها المعاملة الطيبة .

الأمر الثانى : اظهار النقاء فى حياتها ورفضها أنواع الدنس والشر ، سواء فى تعاملاتها أو مظهرها الخارجى .

الأمر الثالث : التأكيد على ضرورة وضع غطاء على الرأس للمرأة أثناء تأدية الصلاة ، والغطاء هو رمز صلتها وارتباطها بالله خلال الصلاة ، وهو دليل الحكمة والعقل والبصيرة لديها .

ثانيًا : آداب التزين وغض البصر والحديث عند المرأة فى المسيحية :

حثت المسيحية المرأة على التزام الورع وسلوك التقوى المطلوبة لها حتى تكون جديرة بأن يطلق عليها "امرأة صالحة" .

زينة المرأة :

تتمثل فى لباس الحشمة الذى تتزين به فيقول بولس الرسول فى رسالته إلى تيموثاوس: "إن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل ، لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن ، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله بأعمال صالحة(1).

---

(1) القس متيس ، مرجع سابق ، ص٣٦ .

ويذكر الرسول "بولس" أن النقاب شرف للمرأة ، وكانت المرأة عندهم تضع البرقع على وجهها حين تلتقى بالغرباء وتخلعه حين تتروى فى الدار بلباس الحداد".

حكم غض البصر فى المسيحية :

جاء تحذير المسيحية للرجال بغض البصر تجاه المرأة واعتبار أن من ينظر إليها يصبح فى حكم الزانى .

وقد شددت الديانة المسيحية على تحريم النظر إلى المرأة حيث أعدته مقدمة للزنا وقد ورد فى الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال : "قد سمعتم أنه قيل لا تزن ، أما أنا فأقول لكم أن كل من نظر إلى امرأة لكى يشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، فإن شككتك عينك اليمنى فاقلعها وألقها عنك، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم([2]).

أداب التحدث للمرأة فى المسيحية :

نهت المسيحية المرأة أن تتحدث بصوتها فى الكنيسة لتظهر بمظهر الخاضعة المستكينة .

ويقول بولس فى أصوات النساء : لتصمت نساؤكم فى الكنائس ؛ لأنه ليس مأذونًا لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا، ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت؛ لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة وذلك من منطلق أن الرجل هو رأس المرأة ([3]).

ويذكر مفسرو المسيحية أنه لم يقصد بهذا النص الحط من قدرها بل الحفاظ على كرامتها واحتشامها .

ويقول : عليها أن تبقى صامتة ؛ لأن آدم كون أولاً ثم حواء، ولم يكن آدم هو الذى انخدع بل المرأة انخدعت فوقعت فى المعصية" ([4]) .

([1]) رسالة بولس إلى تيموثاوس / الأصحاح الثانى / ٩ ، ١٠ .

([2]) الكتاب المقدس ، مجلد ٣/ص٨ الفصل الخامس / ٢٧ – ٢٩ .

([3]) رسالة بولس لأهل كورنثوس ، أصحاح ١٤ / ٣٤ – ٣٦ .

([4]) انظر العهد الجديد كورنثوس ١٤ : ٣٤ ، ٣٥، وكورنثوس ١٤ / ٣٤ – ٤٠، وتيموثاوس ٢ / ١١ – ١٣.

ومع أن الديانة المسيحية تحض على التحشم والتستر إلا أن التغييرات الثقافية وظهور العلمانية واتجاهات تبنى القيم الغربية أدت إلى ميل المرأة المسيحية العصرية إلى إهمال هذه الأصول التى تقوم عليها القيم والمبادئ المسيحية وأصبحن يسرن طبقاً لما يسير عليه الزى الغربى ، بينما لا تزال قطاعات عديدة أخرى من المتدينات يرفضن التبرج والخروج عن التحشم المطلوب .

المبحث السادس :

حجاب المرأة فى الإسلام :

خصص الإسلام للمرأة مكانة سامية فى المجتمع الذى تعيشه منذ وقت نزول القرآن ، حيث تضمنت آياته الشريفة حق المرأة ومنزلتها عند الله سبحانه وتعالى ، ففى قوله تعالى فى سورة الشورى :{ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩) }قدم المولى سبحانه وتعالى الإناث على الذكور توقيرًا لدور المرأة فى الحياة، كما أظهر رحمته الواسعة عليها بقوله تعالى فى سورة لقمان :{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ (١٤) } مما يؤكد الإقرار بتقدير المشقة التى تلاقيها فى أمور الحمل والرضاعة . ولأهمية الدور التى تؤديه المرأة فى المجتمع كان لها شرف حفظ الله تعالى لها وصيانة كرامتها لتنال كل احترام وتقدير كل من حولها .

ومن هذا المنطلق نزلت الآيات القرآنية فى الحدود التى يجب أن تلتزم بها المرأة المؤمنة المسلمة ؛ لتحفظ نفسها وعرضها ، وتحيط نفسها بسياج العفة والطهارة لتستحق المكانة التى وضعها الله فيها، فأنزل الله تعالى فى كتابه الكريم آيات مفصلة ومحكمة يقول تعالى فى سورة الأنعام :{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً (١١٤) } حيث أنعم الله علينا بنعمة تفصيل كل بيان ، ولا حكم ولا إضافة ولا تفصيل لأحد من البشر من بعده ، وإنما الخلاف فى فهمه وتعقل أياته.

فقد جاء فى القرآن الكريم الأمر الصريح – للرجل والمرأة – أن يغض كل منهما البصر ويحفظ الفرج ، وزاد بالنسبة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها، إلا ما ظهر منها ، أى الوجه والكفان ، وجاء الأمر لنساء النبى وبناته أولاً ، ثم نساء المؤمنين على الإطلاق ، حين أمرهن بأن يرخين ثيابهن سترًا لسيقانهن وأرجلهن .

ويذكر العالم الإسلامى الجليل "أبو الأعلى المودودى" فى كشف وجه المرأة ويديها : "أن أقصى ما أوتيت المرأة من الحرية فى الاجتماع الإسلامى، هو أن تبدى وجهها ويديها، إذا دعت الضرورة، وأن تخرج من بيتها لأوان الحاجة، وأصحاب التمدن الغربى يجعلون هذا الحد الاقصى من حريتها نقطة البدء، فلا يقف الأمر يإناثهم عند إبداء الوجه، بل يخلعون عن أنفسهم كل الحياء والاحتشام، فيجاوزو إلى إظهار محاسن الجسد ومفاتنه فى لباس شفاف، ويخرجن بكل تبرج، ويباح لهن مالا يباح فى الإسلام فى مراعاة حدود الستر والالتزام الحياء"([1]) .

([1]) أبو الأعلى المودودى ، مرجع سابق ، ص٥٠ ، ٥١ .

هذا وقد أظهر القرآن فطرية الدين فى عدم إظهار العورات التى تؤدى إلى فساد الأخلاق منذ بدء الخليقة فجاء قوله تعالى فى سورة الأعراف:{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٢٦)} . يقول ابن كثير "يمتنُّ تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والرياش"فاللباس لستر العورات والرياش هو ما يتجمل به ظاهرًا وفى قوله تعالى فى سورة الأعراف :{ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) }

والآية الشريفة تدل على فطرة الله فى خلقه التى اقتضت ستر العورات والحياء منها ، مع الالتزام بالتقوى التى هى شرط كل خلق طيب ومظهر عفيف .

وجاء حكم الله للمؤمنات فى قوله تعالى فى سورة النور : { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ(٣١) } ومن الآية الشريفة يتبين لنا أن القرآن الكريم يأمر النساء المؤمنات بلفظ "قل" وهو بصيغة الأمر ، وصرح بضرورة التزام المرأة بالخمار فى قوله "وليضربن بخمرهن" وهو أمر ملزم وفريضة على كل مسلمة مؤمنة ، والباء فى قوله "بخمرهن" مبالغة فى إحكام وضع الخمار على الجيب ؛ فلذلك جاءت الآية للتشديد على وضع الخمار ونهيهن عن التساهل فى وضعه، وعلى هذا فيلزم على كل مسلمة مؤمنة أن تمتثل للآية الشريفة التى نزلت فى سورة الأحزاب : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (٣٦) }

والقرآن الكريم جاء بالأمر الصريح الذى لا يحتمل التأويل فيه بل الطاعة الواجبة له حيث جاء قوله تعالى فى سورة النور : { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) }

وهذا الأمر الإلهى يعنى الامتثال والخضوع من جانب المؤمنين والمؤمنات على حد سواء ، ولا يصح المجادلة فيه ؛ لأنه أمر إلهى ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

والمؤمنات مأمورات بكف نظرهن عما يحرم النظر إليه وأن يسترن محاسنهن، وألا يسمحن بظهورها إلا لأزواجهن وأقاربهن الذين يحرم عليهن الزواج منهن ، وألا يفعلن شيئاً يلفت أنظار الرجال كالضرب فى الأرض بأرجلهن ليسمع صوت خلاخيلهن المستترة خلف الثياب .

ولا يلبسن ما يشف عن الجسم ويفضح العورات قال رسول الله ﷺ : "نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"[١] . وعورات النساء هي كل الجسد ماعدا الوجه والكفين. قال رسول الله ﷺ : "إذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها وإلا ما دون هذا وقبض على ذراع نفسه . فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضه أخرى [٢] .

ويزعم البعض أن الأمر الإلهى الذى نص عليه القرآن بارتداء المرأة ما يغطى محاسنها انه جاء لنساء النبى فقط، وهذا زعم مرفوض ؛ وذلك لأنه – سبحانه – وتعالى صرح فى آياته الشريفة تصريحًا ظاهرًا ومفصلاً بدأه بنساء النبى وبناته ثم نساء المؤمنين جميعًا تعميمًا تامًا وذلك فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩)}. وتظهر لنا الآيات الشريفة الواردة فى القرآن الكريم أن الحجاب أو الغطاء يقترن بعفة المرأة وسترها ووقارها، ويجنبها مخاطر نظر الرجال إليها ، وكل من ينادى بسفور المرأة يخرجها من دائرة الايمان بالله ، وعدم الامتثال لأوامر الله ويقع بها فى محظور الآية الشريفة فى سورة يونس :{ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ(١٥)} والآية الشريفة الواردة فى سورة البقرة :{ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) }.

أولاً : أحكام التستر فى الإسلام:

شرع الإسلام للمرأة أحكامًا وسلوكيات تلتزم بها ليبطل ما كان فى الجاهلية من تبرج، ويظهرها بمظهر المؤمنة الطائعة النقية التقية ، والمتأمل فى هذه الآداب، لا يخطئ فيها غيرة الإسلام على كرامة المرأة باعتبارها كائنًا ذا رسالة قدسية....[٣].

---

[1] أخرجه مسلم : كتاب اللباس والزينة ، باب الكاسيات العاريات المائلات المميلات ، ٣ / ٥٤٦ ، ١٢٥ – (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة . والبخت بضم الباء وسكون الخاء وهو نوع من تسريحات الشعر ذات الطبقات التى تمثل البرج العالى ، الإمام محمد زكى ابراهيم ، ، ص١٩ .

[2] تفسير الطبرى: ١٨ / ١١٨، ١١٩ بإسناد منقطع عن قتادة ، وفى هذا الحديث يقول الإمام الشيخ محمد زكى إبراهيم أن الكشف عن نصف الذراع ونحوه لا يجوز إلا للضرورة ، أخذًا بالأحوط والأورع ، لا ضعفًا للحديث . الإمام محمد زكى إبراهيم ، معالم المجتمع النسائى فى الإسلام ، مطبوعات العشيرة المحمدية ، ط٣ ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص٢٧ .

[3] البهى الخولى ، مرجع سابق ، ص١٦٢ .

هذا وقد وضع الله سبحانه وتعالى لنساء المؤمنين آدابًا فرضت عليهن منعًا للفتنة وطلبًا لطهارتهن وعفافهن وهو ما جاء ذكره فى آياته الشريفة ويتضمن الأحكام التالية :

إدناء الثياب :

جاء الحكم الإلهى فى إدناء ثياب النساء فى قوله تعالى فى سورة الأحزاب :{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩)}. فالتستر مطلوب للمرأة المؤمنة حتى تقى نفسها من إيذاء الفساق، وحكم ستر الثوب الطويل للمرأة يظهر تكريم الله- سبحانه وتعالى – لها من حيث الخوف عليها من أشرار الناس وليس الخوف منها.

آداب التزين:

وقد ورد فى قوله تعالى فى سورة النور : { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) }

قال القرطبى : الزينة على قسمين : خلْقية ، ومكتسَبة، والخلقية هى "وجهها" وهو أصل الزينة وجمال الخلقة ، والزينة المكتسبة، كالثياب والحلى والكحل والخضاب ويقول : من الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب، وأما الباطن ما بطن فلا يحل إبداءوه، إلا لمن سماهم الله تعالى فى الآية([1]). وقال قتاده : الزينة الظاهرة هى السوار ، والخاتم ، والكحل، والزينة الخفية هى مثل القلادة والخلخال وما فوق الذراعين ، فلا يجوز إظهارها . وقيل إن كانت المرأة جميلة و خيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك([٢]) . والإسلام فى وضعه حدوداً للمرأة فى إبداء زينتها ، فهو يرسى قواعد للمرأة من خلال تعاملاتها مع المجتمع ، وحرصها على احترامها الاحترام الواجب، ويؤكد على هذا الإمام محمد رشيد رضا ، حيث يقول الله تعالى

([1]) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢، ط٢ ، ج١٢ ، ص٢٢٨ .

([2]) المرجع السابق ، ص٢٢٩ .

أمر المؤمنات بما أمر به المؤمنين من غض وحفظ ، وزاد عليه نهيهن عن إبداء زينتهن للرجال إلا ما ظهر منها لضرورة التعامل والقيام بالأعمال المشروعة من دينية ودنيوية.. ([١]) .

آداب غض البصر :

وقد ذكرت فى الآية الشريفة فى قوله تعالى فى سورة النور{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ (٣١) } حيث يأمر الإسلام النساء المؤمنات بغض البصر بمعنى خفضه وعدم إرساله فيما تأمر به الشهوة، وقد أمر بالغض منه، ومن للتبعيض؛ بمعنى عدم استدامة النظر فيما يحرم النظر إليه، وقاعدته أن النظرة الأولى لك والثانية عليك، أما حفظ الفرج فهو مطلق إلا فيما استثناه الله تعالى إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ([٢]) ونفهم من سياق هذه الآية الشريفة إجازة كشف وجه المرأة ، مما يستلزم غض البصر من إطالة النظر إليه، إلا أن البعض يعارض كشف وجه المرأة باعتباره من أسباب فتنة الرجال ، وهؤلاء يرد عليهم الداعية الإسلامى الإمام محمد الغزالى بقوله: "اذا كانت الوجوه مغطاة فمم يغض المؤمنون أبصارهم؟ فالغض يكون عند مطالعة الوجوه بداهة([٣]) وفى حديث رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه "يا على لا تتبع النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الأخرة" ([٤]) .

وقد ورد فى حديث الخثعمية الذى رواه البخارى ، حيث كانت تحدث رسول الله ﷺ ، وكان ينظر إليها من الخلف " الفضل بن العباس " ، ابن عم رسول الله ﷺ ، فما كان من رسول الله إلا أن لوى عنقه حتى لا يكرر النظر إليها ([٥]) .

([1]) محمد رشيد رضا ، حقوق النساء فى الإسلام ، المكتب الإسلامى ، تعليق محمد ناصر الدين الألبانى ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص١٧٩ .

([2]) المرجع السابق ، ص١٧٩ .

([3]) سهيلة الحسينى ، المرأة فى منهج الإمام الغزالى ، دار الرشاد ، ١٩٩٨م ، القاهرة ، ص٨٤ .

([4]) أخرجه أبو داود : كتاب النكاح ، باب ما يؤمر به من غض البصر ، ٢ / ٢٥٢ ، حديث رقم ٢١٤٩ ، من حديث بريدة ، الترمذى : كتاب الأدب ، باب ما جاء فى نظرة المفاجأة ، ٥ / ١٠١ ، حديث رقم ٢٧٧٧ ، دار صادر .

([5]) الحديث رواه عبدالله بن عباس وأخرجه البخارى (٤١٣٨ ، ٥٨٧٤) ، ومسلم (١٣٣٤) ، وأبو داود (١٦١/٢) ، والنسائى (٥ / ١١٨ ، ١١٩) ، وابن ماجه (٢ / ٩٧١) .

وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر" (١) .

وكما ذكرنا فى شأن غض البصر فى اليهودية أنه جاء : " لا تتفرس فى جمال أحد ". وفى المسيحية : يقول المسيح عيسى عليه السلام : " إن كل من نظر إلى امرأة لكى يشتهيها فقد زنى بها فى قلبه " حيث تتفق الأديان السماوية فى الحض على غض البصر .

أدب التحدث بالصوت :

وقد ذكرها القرآن فى قوله سبحانه وتعالى فى سورة الأحزاب : {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٣٢)} . ومقصود الآية الكريمة، أن يكون الكلام طبيعيًا متزنًا وقورًا ، ليست به نغمة مريبة ولا لحن مثير، ومعنى هذا أن الصوت ليس بعورة ؛ فعندما جاءت المجادلة تشرح لرسول الله ﷺ قضيتها وتراجعه فى الحكم والتى وردت فيها الآية فى سورة المجادلة : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) } لم يطلب الرسول ﷺ منها عدم التحدث لأن صوتها عورة ، كما أن كتب التاريخ تحفل بنساء واعظات وراويات وفقيهات يضيق المجال عن ذكرهن ، وكانت أمهات المؤمنين يحدثن الصحابة ويفتين فى الدين ، وكانت السيدة عائشة تتحدث وتعظ ، فيستمع إليها الصحابة الأجلاء (٢) وكان عمر بن الخطاب "رضى الله عنه" يمتحن النساء المهاجرات ، وما كان يحدث ذلك دون سماع صوتهن . وقد تشددت كل من اليهودية والمسيحية فى صوت المرأة كما ذكرنا من قبل فاليهودية تقول ان صوت المرأة عورة بينما تحذر المسيحية على المرأة التحدث فى الكنيسة .

نهى النساء عن التبرج:

حيث جاء قوله تعالى فى سورة الأحزاب :{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى (٣٣) } والتبرج هو إبداء الزينة ، والكشف عما يثير شهوات الرجال ، ومن ملحقاته : الخلع فى المشى ، والتدلل ، وكشف الشعر والمخاصرة وما شابه ذلك (٣) . وقد نهى الإسلام

---

(1) تفسير القرطبي ، ج١٢ ، ص٢٢٧ .

(2) سهيلة الحسيني ، مرجع سابق ، ص١٠٦ ، ١٠٧ .

(3) الإمام محمد زكى ابراهيم ، مرجع سابق، ص١٤ .

المرأة العفيفة الطاهرة أن تظهر بمظهر يخرجها عن الوقار الملائم لها. وقد كانت نساء الجاهلية تبرز محاسنها ومفاتنها ، وتتبختر فى مشيتها بطريقة تلفت الأنظار ، وتزيد من شهوة الرجال، الأمر الذى يرفضه الإسلام رفضًا قاطعًا . والإسلام لا يحرم التزين ، فللمرأة التزين ، بالثياب ولكن فى الحدود التى أقرها الإسلام، وهى الثياب المحتشمة التى لا تشف ولا تصف وتستر أعضاء جسمها، ولها أن تختار الألوان المناسبة لوقارها، ولها ان تتزين بالحلى الذى ترغبة دون تحريم، ولها أن تتعطر لزوجها.

الالتزام بعدم إظهار زينة الأرجل :

وجاء ذكرها فى قوله تعالى فى سورة النور:{ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ(٣١) } وهو ما كان يفعله بعض النساء فى الجاهلية لتذكير السامع بما فى أرجلهن من الخلاخيل افتخارًا بها وتشويقًا إليهن([1]) . وقد ألزم الرسول ﷺ النساء باتباع الجدية فى السير فيقول ﷺ " نساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائله، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها"([2]) . وتتفق اليهودية أيضًا مع الإسلام فى تحريم الضرب بالخلاخيل فى سفر أشعيا فتصف بنات صهيون بقولها خاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن ، يترع السيد اليوم زينة الخلاخيل ([3]).

النهى عن اختلاء الرجل بالمرأة :

نهت الشريعة الإسلامية عن اختلاء الرجل بالمرأة ، سواء داخل البيت أو خارجه دون أن يكون معها زوجها أو ذو محرم لها ، حيث ورد ذلك فى حديث رسول الله ﷺ "إياكم والخلوة بالنساء .. والذى نفسى بيده ما خلا رجل بأمرأة ، إلا ودخل الشيطان بينهما ([4]).

([1]) محمد رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص١٨٠ .

([2]) رواه مسلم ٢١٢٨ ،واحمد فى مسنده (٢/٣٥٥،٤٤٠) .

([3]) سفر أشعيا ، الأصحاح ، ٣ . والخلخال فى اليهودية هو حلية كالسور تلبسها النساء فى أرجلهن للزينة ولجذب الانتباه بما تحدثه من رنين ، دائرة المعارف الكتابية ، دار الثقافة ، القاهرة ، مادة خلخال .

([4]) أخرجه الطبرانى فى الكبير : ٨ / ٢٠٥ ، حديث رقم (٧٨٣٠) من حديث أبى أمامة ، طبعة دار البيان العربية . وذكره الهيثمى فى المجمع (٤ / ٣٢٩) كتاب النكاح ، باب النهى عن الخلوة بغير محرم .

ومع هذا فقد أباح الإسلام التقاء الرجال بالنساء فى الأمور الجادة الهادفة مع التحفظ بما أمر به الإسلام فى أمور، غض البصر، واتقاء الفتنة، وحدود الاحترام الواجب، والمجاهدة فى درء الفساد والشر .

وفى هذا الشأن يقول الدكتور يوسف القرضاوى : كانت المرأة المسلمة فى عصر النبوة وعصر الصحابة والتابعين، تلقى الرجل فى مناسبات مختلفة دينية ودنيوية، ولم يك ذلك ممنوعًا بإطلاق، بل مشروعًا إذا توافرت ضوابطه، ثم شاعت فى العصر الحديث كلمة "الاختلاط"، بما لها من إيحاء ينفر منه حس المسلم والمسلمة؛ فالاختلاط ليس ممنوعًا كما يتصوره دعاة التشديد والتضييق، وليس كل اختلاط مشروع كما يروجه دعاة التغريب..([1]).

ويذكر العالم الإسلامى عبدالحليم أبو شقة "أن لقاء الرجال بالنساء ومجاهدتهم جميعًا للفتنة هو السلوك الفطرى السليم، وهو المنهج الذى علمه رسول الله ﷺ لأصحابه، ونظم شئون المجتمع على أساسه، ومن هذه الشئون، مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية، ومواجهة فتن الحياة ومجاهدتها ، هى الطريق الأقوم لمعالجة الفتن .. .. ([2]).

تلك هى حدود الله تعالى فى سلوك المرأة . وسد ذرائع الفساد فى مجال الفتنة بالنساء حددها القرآن وآياتها صريحة ، وأيما امرأة لا تمتثل لأمر الله فيها فهى خارجة عن شرع الله .

ثانيا :أخلاقيات التستر والاحتشام فى الإسلام :

إن الآداب التى حددها الإسلام فى وجوب التحشم والاستتار تلزم الانصياع والالتزام بالأخلاقيات التى وضعها الله تعالى لعباده، سواء كانوا رجالاً او نساء. ويؤكد عليها العلامة الإسلامى "عبدالله دراز" فى كتابه "دستور الأخلاق فى القرآن" حيث يقول :

إن الأخلاق نظرية متكاملة فى القرآن الكريم تقوم على خمسة مبادئ هى : الإلزام ، والمسئولية ، والجزاء ، والنية ، والجهاد .

فالإلزام ،الذى يقره القرآن يتأتى من العقل والنقل، ويظهر فى قوله تعالى فى سورة الشمس: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) }

([1]) يوسف القرضاوى ، مركز المرأة فى الحياة الإسلامية ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦م ، ص٤٢ ، ٤٣ .

([2]) عبدالحليم أبو شقة ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

والمسئولية ، تتمثل فى العلاقة بين الفرد وأعماله وتعبر عنها الآية الشريفة فى سورة البقرة : {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ(٢٨٦) } الآية فى سورة يونس : {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) }

أما الجزاء ؛ فهو فى القرآن جزاء أخلاقى يشمل "التوبة والثواب ، وجزاء قانونى يتمثل فى الحدود والتعزيرات ، وجزاء إلهى جعله فى الدنيا والآخرة .

و النية ، حيث تقترن الأعمال فى الإسلام بالنيات . وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ : "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"([1]) .

وخامس هذه المبادئ الاخلاقية التى يحددها القرآن فهى الجهاد " ويظهر فى قوله تعالى فى سور العنكبوت :{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩) } وقوله تعالى فى سورة الحجرات : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) }([2]).

هذه المبادئ التى حددها القرآن تتخللها الكثير من الحدود الشرعية التى تتعلق بالسلوكيات العامة التى يجب أن يتحلى بها الفرد داخل مجتمعه وتتمثل فى أخلاقيات الطهارة والعفاف، وكف البصر، وكف اللسان بحد القذف، ومحظورات انتهاك الحرمات، وعدم الإضرار بالجيران، وحفظ الفروج، وحفظ الأموال، وتقوى الله فى الزوجات ، وعدم رمى المحصنات ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتوخى الأمانة والصدق والبر والإحسان وغيرها .

هذه هى المنظومة الأخلاقية التى أوجبها الله سبحانه وتعالى فى خطابه للمؤمنين جميعا ، سواء كانوا رجالاً أو نساء دون تفريق أو تمييز ، فهى نظرية شاملة حددها الله تعالى للإنسانية جمعاء ، ولخصها سبحانه وتعالى فى الآية الشريفة التى جاء فيها فى سورة التوبة: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

([1]) أخرجه البخارى فى صحيحه : كيف كان بدء الوحى ، ١ / ٢ ، حديث رقم واحد ، وأخرجه أيضًا فى كتاب الإيمان ، ٣٧/١ ، حديث رقم ٥٣ . والترمذى كتاب فضائل الجهاد ١٧٩/٤ ، حديث رقم ١٦٤٧ ، طبعة دار الحديث .

([2]) محمد عبدالله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن الكريم ، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ ، ١٩٨٥م .

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) } كذلك الآية الكريمة التى تلخص صفات المؤمنين وأخلاقهم والتى وردت فى سورة الأحزاب فى قوله سبحانه وتعالى : {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً(٣٥) }

ثالثا: بيان الأزهر الشريف الخاص بحجاب المرأة المسلمة :

أصدرت جبهة علماء الأزهر الشريف فى ١٤ أغسطس عام ١٩٩٤ فى أعقاب الخوض فى مسألة حجاب المرأة وتوحيد الزى المدرسى بيانا جاء فيه : "إن الايمان بالاسلام دينًا وبالقرآن وحيًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً يقضى التسليم والرضا بحكم الله ولا سيما اذا كان نصًّا صريحًا لا يحتمل التأويل . وقد جاء فى القرآن الكريم الأمر الصريح للرجل والمرأة أن يغض كل منهما البصر ويحفظ الفرج، وزاد بالنسبة للمرأة ألا تبدى زينتها لغير محارمها إلا ما ظهر منها– وهو عند الجمهور الوجه والكفان – كما طلب منها أن تغطى رأسها بالخمار. وأمام هذه النصوص الواضحة فهذا أمر معلوم من الدين لا يحاول فيه مسلم يدين بكتاب الله والآمر هنا هو رب العالمين ولا طاعة لمخلوق فى معصيته الخالق" ([1]).

رابعا: الفتاوى الإسلامية فى الحجاب

يجدر بنا بصدد حديثنا عن فرضية الحجاب كمظهر خارجى تتزيا به المرأة المسلمة وما يتبعه من سلوك إجتماعى وإنسانى، وما يلحقه من أخلاقيات وقيم ومُثل تتحلى بها المرأة المسلمة فى سبيل اكتمال الشكل الخارجى الساتر لها عن التبذل والتبرج ،إلى جانب التوجه القلبى بطاعة الله ورسوله فى كل أحوالها وأفعالها فتكون جديرة بإرتفاع قدرها ودرجتها فتنال بهذا منزلة القرب إلى الله التى يتطلع إليها كل مؤمن ومؤمنة ، أن نقدم بعض من الفتاوى التى وردت على ألسنة المفتين

([1]) بيان من جبهة علماء الأزهر بشأن حجاب المرأة المسلمة ، مجلة الأزهر ، الجزء الرابع ، ربيع الآخر ١٤١٥هـ / سبتمبر ١٩٩٤/٤٤٩ ، ٤٥٠ .

الإسلاميين الذين شغلوا وظيفة الافتاء بدار الافتاء المصرية فى شأن فرضية التزام المسلمة المؤمنة بالتحشم والتستر.

يقول فضيلة المفتى الشيخ" جاد الحق على جاد الحق" فى ما يجب ستره عند المرأة:

" ان النصوص الشرعية توجب على المرأة المسلمة أن تستر جميع جسدها فيما عدا الوجه والكفين فلا يجب سترهما- وهذا ما أقره أكثر فقهاء المسلمين - وإبداء ما عدا ذلك حرام إلا للزوج أو المحرم ممن ذكرهم الله عز وجل فى كتابه الكريم ، وتأثم الزوجة إذا خالفت ذلك بإجماع علماء المسلمين ؛ وللزوج شرعا ولكل ولى كالأب والأخ والابن إجبار المرأة على الالتزام بما فرضه الله ، وللزوج أيضًا ولاية إجبار زوجته على ستر جسدها، بل عليه ذلك حتما وإلا شاركها فى إثمها" ([1]) .

ويقول فضيلة الشيخ المفتى" حسن مأمون" فى أمر الحفاظ على شرف المرأة ، " تحرم الشريعة الإسلامية الخلوة بين المرأة وأجنبى عنها ، وإظهار مفاتنها ومحاسنها أمامه. وعلى المرأة أن تغض بصرها وتكف عن النظر إلى ما يحرم النظر إليه، وأن تحفظ فرجها عما لا يحل لها من الزنا وتوابعه. ولا يجوز للمرأة إبداء مواضع الزينة الخفية منها لكل أحد إلا ما استثنى فى الآية الكريمة. كما أن الدخول على المرأة المتزوجة منزل الزوجية أثناء غياب زوجها عنه غير جائز شرعًا ، لأنه لا يجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما.ودعوة الزوجة رجلاً أجنبيا عنها للغداء معها بمفردها فى منزل الزوجية أثناء غياب زوجها؛ تكون به مخطئة شرعًا، ولزوجها منعها من ذلك". ([2])

وفى عورة المرأة:

يقول الشيخ "جاد الحق": " كل مالا يجوز للمرأة إبداؤه من جسدها عورة، يجب سترها ويحرم كشفها. وعورة المراة بالنسبة للأصناف الاثنى عشر المذكورين فى سورة النورالآية ٣١ - تتحدد فيما عدا مواضع الزينة الباطنة من مثال الأذن والعنق والشعر والصدر والذراعين والساقين التى أبيح إبداؤها لهم، أما ما عدا ذلك، فلا يجوز إبداؤه مطلقا إلا للزوج. ومراتب ذوى الأرحام تختلف بحسب ما فى نفوس البشر، فكشف الأب والأخ على المرأة أحوط من كشف ابن زوجها، وما يبدى للأب لا يجوز إبداؤه لابن الزوج . وزوج الأخت لم يرد ضمن هذه الأصناف الاثنى

([1]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٢/ ديسمبر ١٩٧٩م رقم ١١٧٣ .

([2]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، الشيخ حسن مأمون ، بتاريخ ٥ أبريل ١٩٦٠م ، رقم ١٠٩١ .

عشر ومن ثم كان أجنبيًا عن أخت زوجته، لا يحل له كما لا يحل لها أن تبدى أمامه إلا الزينة الظاهرة التى هى الوجه والكفان.ولا فرق بين دخول الأخ على زوجة أخيه، وبين دخول الرجل على أخت زوجته فى كون كل منهما أجنبى عن الآخر" ([1]) .

وفى حكم الممنوعات والمباحات وحكم تصفيف الرجل شعر امرأة :

يذكر الشيخ "جاد الحق " فتواه فى هذا الشأن قائلا :

"لا يحل لغير الزوج ومحارم المرأة النظر إلى ما عدا الوجه والكفين ولامس شىء من جسدها. وتصفيف الرجل شعر امرأة أجنبية عنه محرم شرعا وكسبه منه يكون حرامًا" ([2]) .ويضيف الشيخ جاد الحق ،أن النصوص من القرآن والسنة أوجبت على المرأة ستر جسدها من قمة رأسها إلى قدميها، وحرمت النظر إليها من غير زوجها ومحارمها الذين بينهم الله فى هذه الآية ٣١ من سورة النور، ولذلك كان مس شىء من جسدها محرما، لأنه أكثر إثارة للغرائز من النظر. ولما كان الرجل الذى يقوم بتصفيف الشعر لغير زوجة له أو لغير محرم منه إنما يمس جزءًا من جسدها وجب ستره، وحرم الله النظر إليه وبالتالى حرم مسه، فهذا العمل محرم على الرجال، وكل عمل محرم يكون كسبه محرمًا، مع أن تحرى الكسب الحلال من الواجبات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم" ([3]) .

أما فى شأن المباح والممنوع فى الزى الجامعى فيقول الشيخ "جاد الحق" فى فتواه: " ان الالتزام بلبس الثياب وستر البدن للرجال والنساء أمر شرعى واجب الامتثال لثبوته بالقرآن والسنة. وهيئة الثياب وطريقة إحاطتها بالجسد وتفاصيلها ترك الشارع بيانها باعتبارها أمورًا دنيوية لتعرف بالضرورات والتجارب والعادات. كما أن أمر الناس موكول إلى أولياء الأمور فيهم كل فى موقعه، ولأولى الأمر على الناس الطاعة فيما لا معصية فيه، وهذا يتناول المسائل المباحة التى لم يرد فيها

([1]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٨١م ، رقم ١٢٩٤ .

([2]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٨١م ، رقم ١٣٠٩ .

([3]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٨١م ، رقم ١٣٠٩ .

نص صريح . وهيئة الزى وما يلبسه الطلاب والطالبات من المباحات التى تخضع للعرف والعادة، ولا دخل للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة فى تحديد رسمها وهيئتها.

وعلى الجامعة أن تلزم الطلاب بارتداء الزى السابغ الساتر لجميع الجسد دون الوجه والكفين، ودون أن يشف أو يحدد تفاصيل الجسد ، والطلاب بالزى الذى استقر العرف على ارتدائه فى الجامعات أو تراه مناسبًا. ولا يجوز للطلاب الخروج على تنظيمات الجامعة فيما تفرضه من زى فى النطاق المشروع ([1]) .

أما بخصوص السماح بالحضور بجلباب فى قاعات الدراسة بالجامعة ، فيذكر الشيخ "جاد الحق" الآية الكريمة التى وردت فى قوله تعالى فى سورة الأعراف :{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) } فالخطاب عام وشامل للرجال والنساء المسلمين وغير المسلمين آمرًا إياهم بلبس الثياب للستر والزينة عند كل إجتماع ، سواء مسجد أو ناد أو مدرسة أو جامعة . وبهذا تكون هذه الآية الكريمة قد قررت أصلا من أصول الإصلاحات الدينية والمدنية.

ويدل على هذا ما ذكره المفسرون فى أسباب نزولها من أن العرب كانوا يطوفون حول البيت متجردين من الثياب، رجالا ونساء على حد سواء ، وهذا الأمر كان سائدًا فى كثير من أمم الأرض، بل إنه مازال إلى اليوم فى بعض البلاد الأفريقية والآسيوية التى لم يدخلها الإسلام. ولم تحدد هذه الآية نوع الثياب ولا هيئتها (الموديل) لأن الإسلام يشرع أصولاً صالحة لكل زمان ومكان، فالأمر العام أن يأخذ الإنسان زينته عند كل اجتماع مع الغير حسب وسعه وقدرته ، وفى نطاق عرف زمنه وعادات قومه، وما اصطلح عليه الناس من هيئة للزى ورسمه ، وحب الزينة وتهيئة الثياب ، أمر مشروع فى الإسلام، ارتفع بهذه الآية إلى مرتبة الواجبات المفروضات، لأن الزينة بهذا المعنى من أسباب العمران، وفيها إظهار استعداد الإنسان لمعرفة سنن الله وآياته، والانتفاع بما خلق من نعم امتن بها على عباده، كما استنكر قول من يقولون بتحريم الطيبات من اللبس والطعام وسائر الطيبات، نجد كل هذا واضحًا فى قوله سبحانه فى سورة الأعراف :{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ

([1]) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، بتاريخ ١٤ يناير ١٩٨١م ، رقم ١٢٨١ .

الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)}.

والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.

كل ذلك دون إسراف أو اتخاذه وسيلة للتكبر والاستعلاء على الناس وإنما إظهارًا لنعمة الله وشكرًا له ، فقد روى أبو داود عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثوب دون (يعنى غير لائق) فقال : ألك مال" ؟ قال نعم . قال : "من أى المال" قال : قد آتانى الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال : "فإذا آتاك الله فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته" ([1]) .

قال العلماء : ظاهر الزينة عند النساء هو الثياب والوجه والكفان ، و يباح للمرأة المسلمة أن تبدى هذا لكل من دخل عليها من الناس ، ويؤكد هذا المعنى ما رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : "إن أسماء بنت أبي بكر" رضى الله عنهما" دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق (تظهر ما تحتها من جسدها) فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لها : يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفيه ([2]) .

وذهب بعض العلماء إلى أن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة ، فعليها ستر ذلك. وفى آية سورة الأحزاب أمر صريح واضح لكافة بنات ونساء المؤمنين بأن يسترن أجسادهن بإرخاء الجلاليب عليهن حتى لا يبين ولا يظهر من أجسادهن إلا ما قضت ضرورة التعامل بإظهاره وهو الوجه والكفان على ما تقدم بيانه.

والجلاليب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار وروى عن ابن عباس وابن مسعود أنه الرداء. وهو الثوب الذى يستر البدن.

أما هيئة هذه الثياب وطريقة إحاطتها بالجسد وتفاصيلها، فإن الشرع قد ترك بيانها باعتبارها أمورا دنيوية لتعرف بالضرورات والتجارب والعادات.

([1]) أخرجه أبو داود فى سننه (٤٠٦٣) والإمام أحمد فى مسنده (٤/ ١٣٧) .

([2]) أخرجه البيهقى فى سننه (٢/٢٢٦) والمنذرى فى الترغيب والترهيب (٣/٦٩) .

ومن أجل هذا لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم لباس خاص لا يتعداه إلى غيره، وقد نقلت كتب السنة أنه عليه الصلاة والسلام، كان يلبس الضيق من الثياب والواسع منها، وكذلك الصحابة والتابعون ، ولم يرد عن النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا عن أحد من أصحابه أو التابعين صفة أو هيئة خاصة للثياب سواء للرجال أو للنساء.

وإذ كان ذلك وكانت حاجة الناس إلى من يقودهم ويسوس أمورهم ويقوم بمصالحهم، وكان أمر الناس موكولا إلى أولياء الأمور فيهم كل فى موقعه الذى يتولى الأمر فيه، كان لأولى الأمر على الناس الطاعة فيما لا معصية فيه.

ووجوب إقامة أولى الأمر، قد استنبطه فقهاء المسلمين من نصوص القرآن الكريم ومن السنة الشريفة، فقد فهموه من قول الله سبحانه فى سورة البقرة :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩) } . ولأولى الأمر، فى الجامعات والمدارس ، أن يلزموا الطلبة والطالبات بالزى الذى يرونه مناسبًا، بحيث لا يكشف عورة ولا ينبىء عنها، ويمتنع على هؤلاء مخالفة ما يراه أولياء الأمر فى الجامعة أو المدرسة، باعتباره أمرا تنظيميًا من صاحب الاختصاص المنوط به رعاية المصلحة شرعًا، وباعتبار أن ما يأمرون به لم يمنعه نص شرعى، بل أوجب القرآن طاعة أولى الأمر مادام ما يأمرون به لا يدخل فى دائرة المعاصى ، ويجوز أن يضع ولى الأمر من الأنظمة ما يرى فيه مصلحة للناس ولكيان الحكم .

وعلى هذا فإنه يكون على الجامعة أن تلزم الطالبات بارتداء الزى السابغ الساتر لجميع الجسد من الرأس إلى القدم فيما عدا الوجه والكفين دون أن يشف عما تحته أو يحدد تفاصيل الجسد، وأن تلزم الطلاب بالزى الذى استقر العرف فى المجتمع على ارتدائه فى الجامعات أو الزى الذى تراه مناسبًا، ولا يجوز للطلاب الخروج على تنظيمات الجامعة فيما تفرضه من زى فى النطاق المشروع، فإذا كانت الجلابية ليست زى الجامعات عرفا، فلا يجوز للطلاب ارتداؤها داخل الجامعة وكان عليها أن تلزمهم بذلك ، باعتبار أن القائمين على الأمر فيها هم من أولياء الأمور فى نطاقهم يعملون للمصلحة المنوطة بهم، ماداموا لم يأمروا بمعصية امتثالا للقرآن الكريم.

ولحديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ففى الصحيحين أن النبى بالغ فى الترغيب فى طاعة الأمراء فقال : "من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى" (١) . والله سبحانه وتعالى أعلم (٢) .

مما سبق فى أقوال أئمة الإسلام والفقهاء والشرائع السماوية المترلة جميعا فى شأن غطاء الرأس فإنه أمر واجب يلتزم به بهدف توقير المرأة وتكريمها أمام عيون الآخرين وإن كان ورد فى اليهودية نتاج للتقاليد والأعراف الاجتماعية إلا أنه وجب فى الإسلام كفرض ومعتقد دينى فى شكل نص صريح فى القرآن الكريم .

وجدير بالذكر فالمرأة المسلمة الطائعة لربها والمحافظة على شرفها واحترامها وعفتها ، والتى ترقى بسلوكها إلى مستوى سامى من الالتزام والجدية سوف يقودها إلى الالتزام والجدية فى حياتها وعملها ، فتصبح جديرة للنهوض بمجتمعها على كافة المستويات سواء كانت سياسية أو ثقافية أو اجتماعية .

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه (٦٧١٨) ومسلم فى صحيحه (١٨٣٥) .

(2) الفتوى الصادرة عن دار الإفتاء المصرية ، باب من أحكام الممنوعات والمباحات ، لفضيلة الشيخ جاد الحق ، بتاريخ ١٤ يناير ١٩٨١م ، رقم ١٢٨١ .



الفصل الثانى

قضية الحجاب الإسلامى والعلمانية

اتخذ الغرب من العلمانية وسيلة للهجوم على الحجاب الإسلامى بإعتبار ان الحجاب يمثل رمزًا للإسلام . ومن ناحية أخرى فقد تصدت تركيا للحجاب بوجه خاص طبقًا لتوجهاتها العلمانية.

والعلمانية تنادى بفصل الدين ورموزه عن الدولة والمجتمع ، ومفهوم العلمانية كمصطلح ورد فى دائرة المعارف البريطانية ترجمة للكلمة اللاتينية Secularism بمعنى" اللادينية أو الدنيوية"، ووردت فى معجم أكسفورد بمعنى "دنيوى أو مادى" ، كما عرفها "جون هوليوك" بأنها " الايمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدى لقضية الايمان سواء بالقبول أو الرفض" .

وتعرفها دائرة المعارف البريطانية أنها "حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا" .

وقد نشأت فكرة العلمانية كمحاولة للتخلص من سلطة الكنيسة فى أوربا وكانت أعلى سلطة روحية إلى جانب سلطة الإقطاع وتستند على سيادة الفكر المادى النفعى على كافة الأصعدة الحياتية ، والحد من تدخل رجال الدين بشكل مباشر أو غير مباشر فى شئون المجتمعات ، وتحرير المجتمع الأوربى من قيود الكنيسة . وتعترف المسيحية بالثنائية للحياة من حيث قول المسيح عليه السلام "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله" وفى المسيحية سلطتان، سلطة دينية يمثلها البابا والسلطة الدنيوية التى يمثلها رئيس الدولة أو الملك ، وانفصال أى منهما عن الآخر لا ينفى وجود الآخر([1]).

وقد واجهت العلمانية صراعاً حادًا من قبل المصلحين الإسلاميين الذين اعتبروها هدفاً لتدمير الدين الإسلامى وكان من أبرزهم "رفاعة الطهطاوى" و"جمال الدين الأفغانى"، و"خير الدين التونسى"، و"عبدالرحمن الكواكبى"، و"محمد عبده" وغيرهم ممن كانوا يجاهدون من أجل التمسك

([1]) انظر يوسف القرضاوى، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠١م ، ٤٨ – ٦٠ .

بالقيم الدينية حيث عبروا عن فكرة العلمانية بأنها فكرة تشوه الدين الإسلامي وتحيده وكانوا يرون أن التحديث والتطور لا يعنى التخلى عن منجزات الحضارة الإسلامية .

وعلى جانب آخر ظهر مجموعة من الكتاب المسيحيين نادوا بتغليب الهوية القومية على النزعة الدينية منهم "جورجى زيدان"، و"يعقوب صروف"، و"سلامة موسى"، و"نيقولا حداد" .

بينما نادى آخرون بأن العلمانية ترادف الكفر والإلحاد وأنها مذهب مناوئ للديانات السماوية وللإسلام على وجه الخصوص وأنها دخيل جاء مع الاستعمار .

ويرى الدكتور "يوسف القرضاوى" أن العلمانية مناقضة لطبيعة الإسلام ومفاهيمه وسلوكه وتاريخه ، والعلمانى المسلم الذى يرفض مبدأ تحكيم الشريعة من الأساس ، ليس له من الإسلام الا اسمه ، وهو مرتد عن الإسلام" ([1]) .

ويرى الدكتور "المسيرى" أن العلمانية أبعد من فصل الدين عن الدولة فمفهومها يشمل رؤية تفسيرية شاملة للعالم والكون وترتكز على عناصر واضحة مادية وعقلانية صلبة ترفض أى مرجعية أخرى ؛ فيرى أنه توجد علمانيتان لا علمانية واحدة ، الأولى جزئية ونعنى بها فصل الدين عن الدولة ، والثانية شاملة ولا تعنى فصل الدين عن الدولة وحسب ، وإنما فصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية ، لا عن الدولة وحسب وإنما عن الطبيعة وعن حياة الإنسان فى جانبيها العام والخاص ، بحيث تُنزع القداسة عن العالم ويتحول إلى مادة استعمالية يمكن توظيفها لصالح الأقوى([2]) .

وفى تفسير آخر للعلمانية أنها تعنى احترام المعتقدات الدينية والهويات الثقافية والروحية للشعوب والمجتمعات وتعنى للدولة الحفاظ على حماية المواطنين حقوقاً وواجبات فهى رسالة حرية ومساواة !!

وهذا التفسير الأخير يفرض علينا القول إن الاديان السماوية جميعها لا تخرج عن كونها رسائل عدل ومساواه وأمن أمان وقيم عليا وفضائل لا تنفصل عن هذا التفسيرالاخير للعلمانية كما نتساءل أين تطبيق العلمانية فى حرية ترك غطاء رأس المرأة وترك حريتها فى معتقدها ؟ !! .

([1]) يوسف القرضاوى ، مرجع سابق، ص٧٣ ، ٧٤ .

([2]) عبدالوهاب المسيرى، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، المجلد الأول، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص١٦.

وجدير بالذكر فإن القول بأن الحجاب يعد رمزًا للإسلام يتنافى مع المفاهيم العلمانية التى ترفض الرموز الدينية وذلك مثلما حدث فى فرنسا حيث تبنى الرئيس الفرنسى جاك شيراك اصدار قانون صون العلمانية مؤكدًا إعلانه الحرب على الطائفية، "معتبرًا أن ارتداء الحجاب مسلك عدوانى من الصعب على الفرنسيين قبوله" ([1]) حيث ارتأى تحقيق المساواة بين الجميع بعيدًا عن أصولهم ودينهم، وذلك بتطبيق قانون يحظر استخدام الرموز الدينية بما فيها الحجاب الإسلامى، باعتبارها علامات ظاهرة مثل الصليب للمسيحى، والقلنسوة التى توضع على رأس اليهودى ، وغطاء الرأس الذى تضعه المسلمة ، باعتبار أنه عنوانًا للاقلية المسلمة الموجودة فى فرنسا . وقد وافق البرلمان الفرنسى على القانون فى ١٠ فبراير ٢٠٠٤م .

والمادة التاسعة من المعاهدة الأوربية لحقوق الإنسان تؤكد على حرية إظهار العقيدة تماشيًا مع الحدود المنصوص عليها فى القانون، واللازمة لحماية مصالح السلامة العامة، وصيانة حقوق وحريات الآخرين .

والمادة ١٨ تتحدث عن حق كل فرد فى الفكر والمعتقد والدين، وهذا الحق يمنح الفرد حرية تغيير دينه أو معتقده ، أو حقه فى الجهر بدينه أو بمعتقده كفرد أو كجماعة سواء كان ذلك فى الفضاء العام أو الخاص، من خلال التعليم والتطبيق وممارسة الطقوس والشعائر([2]).

وقد أعلن "شيراك" أن قانون حظر الرموز الظاهرة، يمنع قطاعًا من الفئات الفرنسية من فرض تقاليدهم الدينية على المجتمع، بدلاً من الاندماج فيه، ويقصد المسلمين البالغ عددهم خمسة ملايين([3]) .

والحجاب ليس رمزًا دينيًا لدى المسلمين، ولا يستعمل لغرض الدعوة بل هو شريعة وآداب وأخلاق والتزام تعبدى تؤديه المرأة المسلمة لأجل فرض الاحترام والتعفف المطلوب منها، ولو كان الصليب عند المسيحى والقلنسوة عند اليهودى فرضًا ؛ لكنا دافعنا عنهما مثل دفاعنا عن الحجاب، بل هى من العلامات التى تدل على المسيحى واليهودى ليست لها وظيفة الا الاعلان، أما الحجاب فهو يقوم بوظيفة الستر والاحتشام، وهو فرض نص عليه القرآن ، واليهودية والمسيحية تتفق مع الإسلام فى أهمية غطاء الرأس للمرأة تعبيرًا عن تقواها .

([1]) www. Islamonline. Net / Arabic/ arts/ 2004/ 01/ article 06 shtml .

([2]) الحياة ، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م .

([3]) الأهرام ، ٢٠٠٤/٢/٤ .

ويجدر بنا الاشارة هنا إلى تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول الحرية الدينية فى العالم لسنة ٢٠٠٤م والذى أعلنه وزير الخارجية "باول" بعنوان "الحق فى حرية الدين يشكل حجر الزاوية للديمقراطية" حيث ورد : ان حرية الدين هى المقياس الحيوى فى تشكيل وصون نظام سياسى مستقر والتقصير فى حماية حرية الأديان والحقوق الإنسانية الأساسية ينمى التطرف ويقود إلى عدم الاستقرار والضعف وان تقييم الحرية الدينية يخدم فى تشخيص الصحة العامة والاستقرار لدولة ما . ويضيف التقرير ان الحرية الدينية قيمة كونية ودول العالم قد وقعت على اتفاقية دولية تلتزم من خلالها احترام حرية فكر الفرد وضميره ومعتقدة([1]) .

وتعليقا على ما سبق نقول اين الحرية الدينية فى شأن حظر ارتداء الحجاب للمسلمة التى ترغب فى الانصياع لأوامر الله ؟

([1]) نشرة واشنطن ، التقرير السنوى حول الحرية الدينية فى العالم لعام ٢٠٠٤م ،
http: / us info . state. Gov / ar / Archive / 2004 / sep / 15-38897. html

المبحث الاول :

قضية الحجاب فى تركيا :

تركيا هى وريثة الدولة العثمانية أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ ،التى يمثل الإسلام حاليًّا فيها نسبة ٩٩% من السكان ، وعلى الرغم من ذلك فإن تركيا تعد أكثر الدول التى شهدت صراعات حول حجاب المرأة المسلمة؛ فالبعض يعارض الحجاب وذلك بتأييد بعض البلاد الغربية ذات التوجه العلمانى إلى جانب الفئة العلمانية التى ظهرت فى تركيا عند قيام الجمهورية التركية وقضت بإقرار حكمها على الحجاب بأنه يقترن بالتخلف ، وأن السفور وتقليد الغرب هو دليل المرأة المثقفة المتحضرة ، فأصبح المنكر معروفًا والمعروف منكرًا بين عشية انقضاء الدولة العثمانية وضحى قيام الجمهورية التركية، وأضحى النص القرآنى والأمر الإلهى يقع تحت دائرة الحاكمين فى كل عصر فيلغى ما يريد ويثبت ما يناسبه، ويحول الحلال حراما والحرام حلالاً .

هذا وقد شغلت قضية حجاب المرأة فى تركيا مساحة فكرية كبيرة فى أوساط النخبة السياسية فى تركيا ، سواء كانت إسلامية أو علمانية حيث أصبح يمثل نقطة اختلاف يكمن داخلها صراعات حادة وقوية، فعلى الرغم من أن التقديرات تشير إلى ان ٧٠% من نساء تركيا يرتدين الحجاب إلا أن الحجاب فى تركيا محظور ارتداؤه فى المدارس والجامعات والمؤسسات والمكاتب التابعة للحكومة.

وتم تشديد الحظر منذ عام ١٩٩٧م، ومنعت أكثر من عشرة آلاف طالبة من دخول الجامعات مما اضطر الطالبات المحجبات اللاتى يرغبن فى استكمال دراساتهن إلى السفر إلى آذربيجان أو ألمانيا أو الولايات المتحدة مما يكلفهن فوق طاقتهن سواء من الناحية المعنوية أو المادية، بينما يحاول البعض ممن لا يتحمل نفقات السفر أن تخلع حجابها خارج الجامعة وتستبدله بشعر مستعار ، وهذا الوضع يعيق الحرية الأكاديمية فى تركيا فيزيد من حالة التشدد ومعارضة الحكومة.

وهذا الأمر يدفعنا لبعض التساؤلات :

هل يتعارض الحجاب فى تركيا مع مبدأ تحديث الدولة ؟ أم هو رفض لأى مظهر إسلامى فى الدولة ؟ أم هو صراع بين العلمانية والإسلام ؟ ام هو وسيلة للتعبير بأن تركيا دولة اوربية يمكنها من اعتراف الغرب بها ومن ثم يثمر هذا التوجه قبولها عضوة فى الاتحاد الأوربى الرافض وجودها منذ زمن بعيد باعتبارها دولة مسلمة، وهل الحجاب هو رمز لفرض الإسلام السياسى فى تركيا ؟

وهل يشكل حجاب المرأة المسلمة فى تركيا رمزًا أم هو مظهر للأصولية الإسلامية يجب محاربته؟

ولكى نجيب على هذه التساؤلات المطروحة الآن لابد من تتبع الشكل النمطى الذى سارت عليه الدولة العثمانية منذ نشأتها ؛ تلك النشأة التى قامت على أصول إسلامية بحتة، ونهجت الشريعة الإسلامية كمبدأ تقوم الدولة على تطبيقه فى كافة شئونها، فمنذ العهود الأولى للدولة العثمانية ونساء الدولة يحظين باحترام وتوقير خاص باعتبارهن أمهات للسلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة حيث أطلقوا على هؤلاء لقب "النساء الحريم" وتعنى الممنوع والمقدس، وأشهرهن "حريم السلطان" اللاتى كانت منطقتهن تحاط بأسوار مرتفعة عليها حراسة شديدة ، ولا يسمح لأحد الاقتراب منها أو دخولها، وكان هذا تقليدًا إسلاميًا موروثًا حافظ عليه العثمانيين واحترموه تطبيقاً لنهج الشريعة الإسلامية فى المحافظة على ستر واحتشام المرأة المسلمة .

والدولة العثمانية التى تأسست عام ١٢٩٩م كدولة للخلافة الإسلامية التى خلفت الدولة العباسية حيث قامت على أسس إسلامية مطبقة الشريعة الإسلامية فكانت أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ فى ذلك الوقت، عاشت ستة قرون على الاسلام، ونقلت سماته شرقا وغرباً، وامتدت مساحتها لتشمل قارات آسيا وأفريقيا وأوربا .

سكن أرضها مختلف الطوائف والملل من يهود، ومسيحيين، وأرثوذكس وبروتستانت، وكاثوليك، وسريان، وأرمن، ويونانيين، إلى جانب الأتراك المسلمين واتبعت الدولة المنهج الإسلامى وسماحته مع كل الطوائف والملل التى تعيش على أرضها، فضربت لنا نموذجا لتحقيق العدل الإسلامى والمساواة بين هذه الطوائف، الأمر الذى جعل هذه الطوائف تعيش فى مجتمع يسوده الأمن والطمأنينة وحرية كل فرد فى معتقده، فشهدوا للدولة بحسن المعاملة التى لم يشهدوها من قبل فى اى مجتمع آخر .

هذا وقد اشتهرت الدولة العثمانية باهتمامها البالغ بعلماء الإسلام ومشايخ المتصوفة أثناء الفتوحات الإسلامية التى قامت بها الدولة، حيث كان السلاطين يستعينون بآراء هؤلاء المتصوفة وعلماء الإسلام ومشورتهم أثناء جهادهم لنشر الإسلام فى مختلف بقاع العالم ،أما من ناحية تنظيمات الدولة الداخلية فقد قامت على أسس إسلامية صحيحة من خلال تطبيقها الشريعة الإسلامية فشملت العادات والتقاليد داخل الأسر التى تشكل المجتمع الإسلامى .

ومن أبرز سمات تطبيق الدولة العثمانية للشريعة الإسلامية، محافظتها على المرأة المسلمة باعتبارها أساس الأسرة أولاً ثم المجتمع بالتالى ليأخذ شكله الإسلامى الصحيح؛ فقد اتخذت الدولة مبدأ حرمة المرأة والمحافظة عليها باعتباره حفاظاً للتنظيم الاجتماعى فى الدولة .

وكما طبقت الدولة العثمانية الشريعة الإسلامية فى كل أوجه حياتها فقد وجهت عنايتها بالمرأة المسلمة التركية باعتبارها أساس الأسرة، ونواة تكوين الأجيال، فهى أم الأجيال وأم العلماء وأم العظماء وهى بداية المجتمع الذى ينشأ على تربيتها وتعاليمها وفضائلها .

ومن هنا كان اهتمام السلاطين بالمرأة وعرف ما أطلق عليه نظام الحريم السلطانى، فكانت أم السلطان التى يطلق عليها "والده سلطان" هى السيدة الأولى فى الدولة التى يوجه إليها الاحترام والتقدير من كافة طبقات المجتمع، وكان للقصر السلطانى مع حريمه معاملة خاصة؛ فكان الحريم السلطانى يعيشون بعيدًا عن العالم الخارجى، خلف أسوار عالية تقوم عليها حراسة شديدة، فهى منطقة محرمة لا يستطيع أحد الاقتراب منها، وكان احتجاب المرأة من أبرز سمات المجتمع العثمانى باعتباره تقليداً إسلاميًّا موروثاً ، وكانت عبارة الحريم السلطانى تعنى الشىء المقدس والمحرم ([1]) .

وظلت الدولة العثمانية تسير على هذا المبدأ حتى قامت الجمهورية التركية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك، وانتهت دولة الخلافة الإسلامية منها، والتى نادت بفصل الدين عن الدولة واعتبار الدولة علمانية المبدأ والدستور .

وتوالت إجراءات الجمهورية فى خطوات فصل الدين عن الدولة وقطع صلاتها بالدين الاسلامى كشريعة تسير عليها أنظمة الدولة حيث استبدلت الشريعة الإسلامية بالقانون المدنى السويسرى، وتم إغلاق التكايا والزوايا، وكافة الأنشطة الصوفية والدينية فتحولت دولة الخلافة والسلطنة ، إلى جمهورية يتحكم الجيش فى مسارها، كما تم فرض قانون ارتداء القبعة وفرض الزى الأوربى على أفراد الشعب ، واستتبع ذلك التعرض لنساء الدولة اللاتى تم حظر ارتدائهن الحجاب وتوجيههن إلى إعلان السفور بحجة تقليد النساء الغربيات ومسايرة التقدم والبعد عن التخلف .

وبعد موت أتاتورك حمل الجيش التركى لواء محاربة الحجاب حتى يومنا هذا باعتباره من الأمور التى أوصى بها أتاتورك بهدف تحديث الدولة، وتحقيق تقدمها ولا تزال دعوى السفور قائمة حتى

([1]) عبد العزيزالشناوى ،الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، بدون تاريخ ، ص٥٩٨.

يومنا هذا ، على الرغم من أن تركيا يمثل الإسلام فيها نسبة ٩٩% من أفراد الشعب ، فلا تزال المصادمات والمواجهات تسيطر على أنماط المجتمع التركى المسلم مما أدى إلى انقسام الرأى العام التركى فى رؤية هذه القضية فهناك الاسلاميات المتشددات، وتؤيدهم بعض الطبقات العلمانية المعتدلة فى حرية ارتداء ما يرغبونه باعتبار تركيا دولة ديمقراطية واعتبار هذا الامر حق من حقوق الإنسان الذى يسعى العالم لتحقيقه، وعلى الجانب الآخر نجد الطائفة العلمانية المتشددة التى تنادى بوجوب سفور المرأة وحظر حجابها .

أولا : تطور وضع الحجاب فى العهد العثمانى :

تعد واقعة الحجاب أو زى المرأة فى المجتمع العثمانى من أهم العناصر التى شغلت حيزاً كبيراً من الاهتمام وخاصة مع بداية عهد التنظيمات فى الدولة الذى أولى اهتمامه بتقليد الغرب والانظمة الغربية فى تحديث الدولة ([1]) . فقد كانت المرأة ترتدى ملاءة كبيرة أو فراجة أو عباءة لا تظهر جسدها أو وجهها خارج المترل . وكان حجاب المرأة يعتبر قاعدة دينية هامة أمرت بها الدولة وتلتزم به المرأة وخاصة قبل الزواج، وكانت الدولة صارمة فى تطبيق هذا القانون وضرورة الالتزام به ليس باعتباره حفظاً لحرمة المرأة فقط ، بل يدخل فى الحفاظ على التنظيم الاجتماعى للدولة ككل .

([1]) كلمة التنظيمات كلمة عربية دخلت اللغة التركية بمعنى حركة التنظيم والإصلاح على المنهج الأوربى الغربى" وتعنى فى المصطلح التاريخى حركة الإصلاح التى حدثت فى الدولة العثمانية فى القرن ١٩ على غرار المؤسسات والتنظيمات الأوربية . بدأ عهد التنظيمات بصدور فرمان عام ١٨٣٩م فى عهد السلطان عبدالمجيد الأول ، وانتهى هذا العهد عام ١٨٧٦م بتولى السلطان عبدالحميد الثانى حكم البلاد ، والغرض من التنظيمات هو اتخاذ ثقافة غربية فى تحديث الدولة وتغريب المجتمع وعلمنة القانون والتعليم ، وتشمل نواحى الحياة الثقافية والحضارية على حساب الحضارة الإسلامية أدت إلى انشاء المحاكم المختلطة فى الدولة التى تقبل الشهادة من المسلمين والمسيحيين واقامة نظام تعليمى يشمل جميع مراحل التعليم ؛ مما أدى إلى انفصال التعليم عن إشراف العلماء الإسلاميين ، وتم وضعه تحت إشراف وزارة المعارف ذات التوجه العلمانى ونشطت فيه حركة الترجمة للكتب الغربية (انظر هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص٣٨، ٣٩ ، وروبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعى ج٢ ، دار الفكر للدراسات ، القاهرة، باريس، ١٩٨٩م، ص٦٣، وأنكه لهارد، تركيا وتنظيمات دولت علية نك تاريخ إصلاحاتى، ص٧).

وفى النصف الثانى من القرن الخامس عشر كانت المرأة ترتدى غطاء للرأس على هيئة الكأس الكبير ملفوف بقماش مزين بزخارف ثم استبدلتها بما يسمى "الطيلسان" وهو نوع من الطرح تضعها على الرأس والأكتاف، بعد ذلك أخذت ترتدى أشكالاً أخرى متنوعة منها القناع الشبكى الذى يغطى الوجه كله ثم ارتدت قناع آخر سمى بالبرقع يغطى الوجه إلى ما تحت العينين وكان ظهورها بدون هذا القناع دليل فقرها ، وكانت الراقصات تظهر كاشفات الوجوه .

وكان "البرقع" مستخدماً فى القرون الوسطى وكان يطلق عليه "الياشمك" وهو قطعة من الحرير أو القطن الأسود يغطى الوجه من تحت العينين وينسدل أحياناً حتى الركبة ([1]) .

وكانت السراويل الطويلة الواسعة معروفة منذ القرن الرابع عشر ومنتشرة فى منطقة آسيا الوسطى وكان ارتداء النساء لتلك السراويل رمزاً للعفة والشرف وقد استمر ارتداء السراويل حتى القرن ١٨ ([2]) .

وفى القرن السادس عشر كانت المرأة فى الدولة العثمانية ترتدى داخل المترل عباءة طويلة حتى كعبى القدمين ذات طبقتين، وشعرها تتركه يتدلى على كتفيها ويغطى باقى شعرها حجاب خفيف .

أما فى القرن الثامن عشر فقد تطور هذا الزى حيث اتسم بالبساطة والرقة داخل المترل فكانت ترتدى بنطلوناً واسعاً مزين جوانبه بالتطريز، أما أحذية القدم فكانت من الجلد الأبيض المطرز أيضاً وترتدى قميصاً من الحرير الأبيض مشغول كله بالتطريز، وأذرع هذا القميص واسعة تصل إلى منتصف الذراع، وترتدى فوق هذا عباءة مطرزة الحواف ، وتربط على خصرها حزام عريض ، وترتدى فى الشتاء على رأسها قلنسوة من القطيفة مطرزة بالالماس.

أما فى الصيف فترتدى على رأسها قماش مطرز تطريز كثيف ، وكان زيها خارج المترل عبارة عن فراجة واسعة وياشمك ([3]) .

([1]) تحية حسن ، مرجع سابق ، ص١٤٢ ، ١٤٣ .

([2]) كانت النساء فى آسيا الوسطى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين تلتزم بلبس الحجاب وكانت لا تظهر فى الطرقات إلا بملابس محتشمة لا يظهر منها سوى العينين فقط وامتهنت بعض منهن مهنة تلاوة القرآن الكريم بالاجر وعملت البعض الآخر فى مهنة الوعظ وتعليم الصغار القرآن الكريم ، وكانت لا تختلط بالأجانب واشتهرت كثيرات منهن بتشييد المدارس والدور الخيرية والمساجد إلى جانب تشييد الأربطة للمجاهدين وكن يجتمعن فيها للعبادة والعلم ، (نعمة على مرسى ، المرأة المسلمة فى آسيا الوسطى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، دار الأمانة ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص١٠٢ ، وص١٦٣ .

([3]) Serpil Cakir,Osmanlı kadın hareketi, Metis yayi,Istanbul 1996.s.174.

وكان الياشمك يتكون من قطعتين، الأولى تلف حول الرأس وتغطى الجبهة حتى الحواجب، والقطعة الأخرى تغطى بقية الوجه، والناظر إليه يعتقد أنهما قطعة واحدة وكان من القماش الأبيض. وكانت مسئولية حماية المرأة وشرفها فى الدولة العثمانية ليست مسئولية الزوج فقط بل كانت مسئولية كل أهالى الحى الذى تسكنه فكان كل شخص فى الشارع يرى فى نفسه الحق فى تدخله فى زى المرأة .

وعلى الرغم من المحظورات التى كانت تجبر المرأة على ارتداء الزى الإسلامى إلا أنه حدثت بعض دلائل لخرق المرأة لهذا الزى ؛ ففى بعض الأحيان كانت بعض النساء ترتدى الزى من قماش شفاف؛ فأصدرت الدولة فرمان عام ١٧٩١م يحذر النساء من ارتداء القماش الشفاف . إلا أن بعض النساء خرقن هذا الفرمان فقامت الدولة بإصدار فرمان آخر يحذر صانعى الأزياء من صنع هذا الزى من قماش شفاف ، والذى يخالف هذا الفرمان فإنه يعرض لسحب رخصته وإغلاق محله. من هنا يتضح لنا ان الدولة كانت تفرض قيودا شديدة وتواجه مسألة خرق هذا الزى بعقوبات شديدة وصارمة (١) .

وكانت النساء المصريات فى عصر المماليك تحذو حذو النساء العثمانيات فتستخدم غطاء للرأس عبارة عن عصابة تلف كالعمامة وتزينها بالزخارف والأحجار الكريمة إلا أن رجال الدين هاجموا هذا الشكل ونادوا ان المرأة لا تتعمم ولا تلبس الطواقى ولا تتزيا بزى الرجال .

هذا وقد ارتدت المرأة العثمانية "الشنتيان" وهى البنطلونات الواسعة التى ترتديها تحت القمصان ويصل إلى تحت القدم، كما ارتدت "الجبة" المطرزة ، وكانت تلامس الأرض وكانت من الملابس الرئيسية للمرأة فى العصر العثمانى وهى رداء يسبل على ثياب أخرى. كما ارتدت "القلنسوة" على رأسها، وهى عبارة عن طاقية حمراء يلف حولها منديل بقماش مزخرف، وكانت نساء الطبقة الغنية يرصعونها بالأحجار الكريمة ، وفى الخروج كانت الملابس تغطى أجسامهن تماما فكانت ترتدى ثوبًا يسمى "سبله" له أكمام واسعة، وكان يلبس فوق الملابس ، وترتدى البرقع وهو قطعة قماش طويلة يغطى وجه المرأة كله ما عدا العينين، وتلبس على رأسها "العصبة" وتربط حول العنق ومزينة بالعملات أو قطع الذهب وهى أربطة تسمى "شاتما" وتستعمل فى تثبيت الطرحة .

---

(١) Ahmed Rafik Altun, H.Onuncu asırda Istanbul yaşamı,Endrun kitaplari,Istanbul,1988.

ومما سبق يتضح أن المرأة العثمانية كانت تحرص على الاحتشام خارج المترل ، سواء استعملت الملاءة أو الطرحة وكان لا يظهر منها سوى عينيها لترى الطريق (١) .

واستمر هذا الطراز فى شكل الثياب حتى النصف الأول من القرن ١٩ .

١- المرأة والمجتمع العثمانى :

فرق المجتمع العثمانى بين عالم الرجل، وعالم المرأة فى الحياة الاجتماعية فقد كانت العلاقة الاجتماعية بين الجنسين تقع تحت رقابة مستمرة، فعالم المرأة هو العالم الداخلى (عالم الخصوصية) . أما عالم الرجل فكان العالم الخارجى الذى يتصل بالمجتمع وكانت القواعد الدينية والاجتماعية تعمل على التفريق بين دور الرجل فى المجتمع . ودور المرأة فكانت علاقة المرأة تنحصر داخل المترل .

وكانت المنازل فى المجتمع العثمانى لها خاصية رئيسية فهى مكان مغلق يحاط بحوائط عالية أو نوافذ عليها سياج . وكان يحظر على المرأة الجلوس فى أماكن بها رجال(٢).

والأماكن التى تستطيع المرأة الذهاب إليها كانت محددة من قبل الدولة وكان هناك شروط لخروج المرأة للتتره ، منها أن يكون فى يوم الجمعة ويخصص لهن أماكن خاصة بهن ووسائل نقل خاصة أيضاً (٣) .

هذا وقد كان محظوراً خروج النساء للتتره مع سائق عربة وقد صدر فرمان بهذا الخصوص عام ١٧٥١م يقضى بمعاقبة أى سائق يقوم بهذا العمل(٤).

وفى عهد السلطان "بايزيد" تم إصدار أمرًا يحذر النساء من التجوال فى الأسواق والدخول فى الحوانيت بل تطلب ما تريده من امام الحانوت ثم تتوجه إلى بيتها على الفور .

هذا وقد صدر فرمان آخر فى الدولة العثمانية يحذر ركوب السيدات والرجال وسيلة مواصلات واحدة(٥) .

هذا وقد قوبلت هذه الأوامر بإلحاق صفات التخلف والرجعية وعدم التمدن أو التحضر فى معاملة الدولة العثمانية لنسائها وذلك خلال القرن السادس عشر الميلادى .

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٤٠ – ١٤٨ .

(2) Leyla Saz, Harem yaşamının sırları ,Sadi Burak, Istanbul,1974 .
(3) Balik Hane Naziri Ali Bey, Bir dönemde Istanbul, Tercüman 1001, Istanbul , 1978.
(4) Pars Tuğlacı, Osmanlı döneminde Istanbul kadınları,istanbul,1984.
(5) Ahmed Rafik .a.g.e .

وجدير بالذكر فإن اليهودية تقضى فى وقتنا الحاضر بفصل النساء عن الرجال فى الشوارع الضيقة فى إسرائيل خوفاً على النساء وذلك بمقتضى قانون شرعى يلتزم به الرجال والنساء وهذا القانون يدخل ضمن قوانين الاحتشام الخاصة بالنساء اليهوديات تلك القوانين التى تأخذ صفة القداسة عندهم !! .

وقد امتد التفريق بين المرأة والرجل فى العهد العثمانى فى مسألة الدفن فكانت مشاهد الرجل يوضع عليها قلنسوة توضح مكانة الرجل وصنعته، أما مشهد المرأة فكان يغطى بقماش مزين بالنجوم الذهبية عليها عدد من الزهور توضح عدد أولادها(١).

ومع بداية القرن التاسع عشر حدثت نقطة تحول فى المجتمع مع دخول السكك الحديدية والبواخر ووسائل النقل الحديثة حيث عملت على الإسراع من ايقاع الزمان والمكان للحياة اليومية (٢) .

ومن ناحية أخرى فإن المصطلحات الحديثة التى نادى بها العلماء والمفكرون والأدباء للأخذ بها فى مذاهب تأييد حقوق المرأة والسير بها نحو الحرية والمساواة والمذاهب الغربية التى تنادى بحقوقها أصبحت تغزو المجتمع التركى ، وبات التعرض لحجاب المرأة والدعوة لسفورها أرضاً خصبة لظهور النزاعات والمناقشات وأصبحت مشكلة المرأة من أكثر المشكلات بحثا ونزاعًا فى تركيا .

وأول ما تصدر مشكلة تطور المرأة كان الاتجاه إلى زى المرأة الذى يعوقها ويمنعها من أداء عملها خارج المنزل فاتجهت الأقلام إلى معارضة هذا الزى وجاء على صفحات مجلة "عالم المرأة" : "أن البيشة التى تغطى وجه المرأة انما هو عامل يدعو إلى الإقلال من شأن المرأة ، وأن الشباب الذين يريدون الزواج لا يستطيعون رؤية المرأة، وبالتالى فحجابها يعد عائقاً فى الزواج، لأن رؤية الشاب للفتاة قبل الزواج أمر ضرورى" ويتساءل صاحب المقال هل إخفاء المرأة لوجهها لعيب فيه؟ ويؤكد إن سحق هذه البيشة يؤدى إلى التقارب فى العلاقة بين الرجال والنساء وهذا التقارب سيعمل على تكثير الزواج .

ومن هنا تضاربت الآراء بين إلغاء البيشة ، وبين الحفاظ عليها كشرط لفخر وشرف الانسانية.

---

(1) Molar,istanbuldan Mektuplar,Tercüman 1001, Istanbul,1978.
(2) Ekrem işin ,Ondokuzuncu asırda Türkiye medeniyetleşme ve günlük yaşam,iletişim yayinlari.

ويذكر كاتب المقال مخاطبا نساء المسلمين : ارفعوا هذا الحجاب الاسود من رؤوسكم فهـذا الحجاب يحطم منافعنا ويخل بمشاعرنا ويؤدى إلى زيجات خاطئة " .

ويذكر هؤلاء المعارضون للبيشة ان هذه البيشة ليس لها أساس دينى أو أخلاقى أو صحى .

ويزعم "عزيز حيدر" الكاتب التركى فى إحدى مقالاته فى مجلة عالم المرأة فى معرض هجومه على حجاب المرأة وتجاهله للنص القرآنى الذى ورد فى فرضه : "ان الشريعة المحمدية لا يوجد بها حجاب، ولو كانت البيشة تفرضها الشريعة؛ لأمر بها عند اثبات شهادة المرأة، والفقه يقول انه عند إدلاء المرأة بشهادتها فيجب أن تكون مكشوفة الوجه. ويضيف أن البيشة ليست دليل على الأخلاق ، وهى ليست صحية فغالباً ما تتسبب للمرأة بنزلات البرد .

ومما يستدعى النظر فإن حجاب المرأة فى تركيا كان يختلف من منطقة لأخرى ، فحجاب المرأة فى الأناضول كان يختلف عن حجاب المرأة فى إستانبول، وكانت تنال حريتها فى مناطق تختلف عن مناطق أخرى، وكانت النساء تعترض على هذا التناقض .

وأوضحت بعض الآراء ، أن مسألة الحجاب تعد مشكلة العصر ، وفسروا القرآن الكريم بأنه يحتوى على قسمين : الاول يتناول أحكام العبادات، والثانى أحكام المعاملات فقسم أحكام العبادات لا يمكن تغييره، أما المعاملات فيمكن تغييره طبقاً لمقتضيات كل عصر، وبالتالى فهم يرون أن المسلمين لابد ان يتحركوا طبقاً لهذا التصرف الحديث ، ويضربون مثلاً على أن مقتضيات العصر الحديث والخاصة بالاقتصاد أدت إلى تأسيس علاقات اقتصادية مع البنوك التى تتعامل بالربا، حتى ان مشيخة الإسلام فى استانبول كانت تأخذ قروض من الفائدة التى تحددها البنوك .

أما بالنسبة للحجاب ؛ فيفسرون الآيات التى وردت فيه أنه على النساء أن يستروا الأماكن التى تثير الفتنة من أجسادهن ، وأنه عليها أن تستر جسدها ماعدا وجهها ، ونتيجة هذا ظهرت قضية تجريد المرأة من المجتمع وتهميش دورها، ويحتمل ان يكون هذا الأمر متوافق مع ظروف العصر فى ذلك الوقت، أما العصر الحديث فإنه لا يتوافق معه حيث إن تهميش دور المرأة لا يتناسب مع العصر الحديث، كما ان الظروف الاجتماعية والإنسانية لا تقبل هذا الوضع . وعلى هذا أصبحت قضية وجوب الحجاب أو إلغائه تعنى عندهم المرأة المتقدمة أو المرأة المتأخرة (١) .

---

(1) Osmanlı Istanbulda Evlilik ve Hane Kurma Toplum ve Bilim, 1988, mo 42, s. 27 .

ويقول الشيخ مصطفى صبرى آخر شيخ للإسلام فى تركيا عن دعوة النساء للسفور ان دعاة السفور لا يعبأون بالآيات والأحاديث المتعارضة بتقاليد المدنية الغربية وكأنهم رسل تلك المدنية وهذا الأمر يعد مروقاً من الإسلام ليس له دافع طبيعى غير عدم الإيمان بالقرآن"([1]).

وخلال الأعوام من ١٩١٩ – ١٩٢٣م تم افتتاح كليات الحقوق والطب للنساء التركيات، وأصبح كثير من النساء محاميات وأديبات وشاعرات وطبيبات ، وقررت الحكومة استخدام النساء التركيات فى الوظائف الكتابية وتولى القضاء .

وعينت بعض النساء فى المحاكم وأصبحت المرأة تلبس القبعة، ولا تختلف فى الزى عن المرأة الأوربية، بعد أن كان يضرب بها المثل فى التخفى والتحشم وصارت تغدو وحدها أو مع زوجها فى كل المنتزهات والبارات والملاهى والمقاهى وتجب دعوتها إلى كل الحفلات العامة والرسمية وغير الرسمية والحفلات الخاصة، وصار التمدن بالمرأة التركية إلى الحد الذى يمكنها من شرب الخمور والرقص مع غير أزواجهن، وغيرها لا تعد متمدينة ومتحضرة.

وعلى حد قول الشيخ الإمام "مصطفى صبرى" إن السفوريين حاولوا أن يكسبوا المرأة مكانة بأن يكون الرجال الأجانب عنها ، الذين يرونها ويخالطونها ، مزاحمين لزوجها عليها، وهؤلاء هم الفئة العائشون فى الشرق، وقلوبهم فى الغرب([2]).

أما فيما يخص الدعوة إلى ضرورة تعليم المرأة كان الدعوة بسفورها دائما ما تلازم الدعوة للتعليم وفى هذا يقول الإمام مصطفى صبرى "إن أنصار السفور يحتكرون لأنفسهم نصرة تعليم المرأة ، وكل بدعة مضادة للإسلام تروج فى زماننا باسم العلم، حتى أن اللادينية يعبر عنها عند معتنقيها بالعلمانية تمدحًا أو تسترا([3]) .

وعلى الرغم من مظاهر التحرر التى ظهرت على المرأة التركية ظهرت طبقة من النساء – خاصة المسنات منهن – رفضن هذه المظاهر الجديدة التى طرأت على النساء، أما أرباب العائلات فكان منهم الموافق ظاهرًا ، ومنهم الكاره باطناً لكنه متحمل بحكم الوسط والظروف القاهرة ([4]) .

([1]) مصطفى صبرى ، قولى فى المرأة ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٧٢ .

([2]) مصطفى صبرى ، قولى فى المرأة ، مرجع سابق، ص٣ .

([3]) المرجع نفسه ، ص٧٦ .

([4]) محمد المفتى الجزايرلى ، قنصل المملكة المصرية بالآستانة ، تقرير عن تركيا وانقلاباتها الحديثة بعد الحرب ، مرفوع إلى وزارة الخارجية المصرية ؛ ص٣٩ ، ٤٠ ، بدون تاريخ .

وعلى المستوى الثقافى ظهرت حركات أدبية ذات تأثيرات فرنسية عن تعليم المرأة وانضمامها إلى الحياة الاجتماعية ، وحاولت مزج الإسلام بالتحديث الغربى . وكان على رأسها حركة باسم (الشباب العثمانيون) التى أسسها نامق كمال (١٨٤٠ – ١٨٨٨م) الذى دافع فى كتاباته عن التحديث وعمل على التوافق بين التحديث والإسلام . كما كان يرى ضرورة عدم الإباحية بالنسبة للنساء حتى ولو كن يتعلمن ، ويرى ضرورة التوافق بين التحديث وبين المبادئ الأخلاقية الأساسية التى تسير عليها الدولة .

وكانت لنامق كمال كلمة مشهورة تستخدم دائماً فى مجال دراسات المرأة وهى عن التحديث ودور المرأة حيث يقول : (لا يوجد فرق قط بين الرقص وبين المداعبة مع الشيطان، لو أن الحضارة التى تزعموها هى خروج النساء عاريات إلى الشارع أو تراقصهن فى المجالس فإن هذا مغاير تماماً لأخلاقنا ، إننا لا نريد هذا نقولها ألف مرة ، لا نريد هذا . إن حدود الاتجاه إلى الغرب – يجب أن توضح بحدود العلاقات بين الجنسين) ([1]) .

وعلى الرغم من هذا فقد بدأت أصول وطرز الحياة القديمة فى المجتمع العثمانى تُترك رويداً رويداً متأثرة بالحياة الأوربية فى كل نواحى الحياة مثل ملابس النساء وتربية الأطفال وآداب الطعام وغيرها . وكان هناك عامل آخر كان له تأثير على المجتمع وهو دخول المربيات الأوربيات العائلة التركية . وكان يبدو وكأنه يحمل سمة تقليد الغرب ، وأصبح هذا الاتجاه سنداً لبعض الطبقات والشرائح التى كانت تقف ضد الإصلاحات التى جاءت بها التنظيمات بفكرة أنها مخالفة بل وستعمل على محو الإسلام .

وقد تناول الإسلاميون بالنقد والتحليل انضمام المرأة إلى الحياة الاجتماعية، زاعمين أن اختلاط الرجال بالنساء وتقربهم من بعضهم البعض، سيعمل على انفجار جنسى فيما بينهم، وهذا سيهدم كيان الأسرة ، ورأو ضرورة إعاقة هذا . ويقول الصدر الأعظم "سعيد حليم باشا" أن حصول النساء على حرياتهن سيعمل على تعريض المجتمع الذى يرتقى بالعادات والأخلاق الإسلامية إلى خطر جسيم .

([1]) نامق كمال (١٨٤٠ – ١٨٨٨م) كاتب وشاعر ، تولى إدارة جريدة "تصوير أفكار" واشتهر باتجاهاته الغربية ، عمل بجماعة تركيا الفتاة ، واشترك فى إدارة جريدة حريت ويعد من أوائل الداعين للفكر القومى فى أدب الأتراك الإسلامى .

كما ظهرت حركة أخرى أخذت تتقوى وتعمل على تأسيس رابطة بين المعتقدات الثقافية المحلية، والحضارة الغربية، فى مواجهة المفاهيم الإسلامية والغربية ، ويعد ضيا كوك ألب ([١]) (١٨٧٦ – ١٩٢٤م) أهم ممثل لهذا الفكر ، حيث قام بوضع مفاهيم ثقافية محلية ، ووضع أسس لهذه الثقافة المحلية بالعودة إلى الماضى إلى ما قبل الإسلام . وتحرك ضيا كوك ألب من هذا الطريق وأظهر دوراً للمرأة مختلفاً عن دورها فى عهد العثمانيين .

ومن هنا كانت أفكار وآراء "ضيا كوك ألب" تتحد كلها فى ثلاث نقاط محددة، التتريك، والأسلمة – التحديث . وأصبحت أفكار ضياكوك ألب واحدة من العناصر المؤثرة فى عصر الجمهورية([٢]). واتخذت أفكاره بأنها أول شكل للديمقراطية فى مجال حقوق المر ([٣]) .

ونتيجة لتلك الأفكار فقد ظهرت نزاعات وصراعات فى تركيا حول عدة موضوعات مثل الحقوق السياسية للمرأة (خليل حامد) واقتراح صداقة الناس بين الأمم بدلاً من الأخلاق الدينية (توفيق فكرت) ([٤]) .

ويلاحظ خلال هذه الفترة الاتجاه العام من ناحية الأدباء نحو التغريب وتأثرهم بالمفاهيم الغربية واليهودية .

٢– موقف السلطان عبدالحميد من سفور المرأة :

استمر التعليم بثقل دينى فى عهد السلطان "عبدالحميد الثانى" وحدثت التغيرات فى اللائحة التنفيذية لمكتب المعلمات عام ١٨٩٥م ، مع إبراز مسألة التفريق بين الجنسين بشكل كبير. كانت

([١]) ضيا كوك ألب من أبرز دعاة الفكر القومى فى تركيا أقام رابطة بين الاتجاه الغربى فى الدولة وبين المعاصرة خلال السنوات الأولى للعهد الجمهورى فى تركيا وهو من شعراء الوطنية وكان يدعو إلى حركة التغريب فى تركيا (أكمل الدين احسان ، الدولة العثمانية وحضارة ، ترجمة صالح سعداوى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، ج٢ ، إستانبول ، ١٩٩٩م ، ص٢٩٥) .

([2]) Sabiha Sertel, a.g.e.s. 218.

(3) Ziya Gok Alp, Batıya dogru, Türklüğün esaslari .

([٤]) توفيق فكرت : من دعاه مذهب "هيومانيزم" ويعنون به حب الإنسانية والتخلص من سلطة الدين والأخذ بالمدنية الأوربية ، ولد فى استانبول ويعد من أكبر شعراء الأدب العثمانى وهو الذى فتح المجال لظهور الأدب الملحد فيقول فى أشعاره : انا لا أعرف المعبود ولا العابد ، وليس لى كتاب إلا الطبيعة ، والدين هو الحياة ، فلا رب ولا عباد" (محمد حرب، السلطان عبدالحميد الثانى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٠ ، ص٢٥٥ .

تلك اللائحة لا تسمح بوجود الرجال والنساء فى مكان واحد ، كما كانت تعوق وتمنع رؤية أى أحد منهم للآخر [١] .

وقد أولى السلطان عبدالحميد اهتمامًا كبيرًا بالتعليم والثقافة، ونادى بتطوير التعليم والأخذ بالتقدم التعليمى والتكنولوجى الأوربى، وخاصة للمرأة، إلا أن هذا الاهتمام من قبل السلطان لم يكن يعنى تخليه عن ضرورة الحفاظ على مظهر واحترام المرأة المسلمة وتطبيق الشريعة الإسلامية التى تحافظ على شرف المرأة وعفتها وصيانة كرامتها وفرض احترامها على الجميع . وفى معرض حديث السلطان عبدالحميد عن المرأة ومسألة المطالبة بسفورها لمسايرة روح العصر الحديث يقول السلطان عبدالحميد :

"إن بعض النساء العثمانيات اللائى يخرجن إلى الشوارع ، يرتدين ملابس مخالفة للشرع . وإن السلطان قد أبلغ الحكومة بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على هذه الظاهرة . كما أبلغ السلطان الحكومة أيضاً بضرورة عودة النساء إلى ارتداء الحجاب الشرعى الكامل بالنقاب إذا خرجن إلى الشوارع" . وبناء على هذا فقد اجتمع مجلس الوزراء واتخذ القرارات التالية :

– "تعطى مهلة شهر واحد يُمنع بعده سير النساء فى الشوارع إلا إذا ارتدين الحجاب الإسلامى القديم . وينبغى أن يكون هذا الحجاب خالياً من كل زينة ومن كل تطريز .

– يُلغى ارتداء النساء النقاب المصنوع من القماش الخفيف أو الشفاف، وبالتالى ضرورة العودة إلى النقاب الشرعى الذى لا يبين خطوط الوجه .

– على الشرطة – بعد مضى شهر على نشر هذا البيان – ضمان تطبيق ما جاء فيه من قرارات فى شكل حاسم . وعلى قوات الضبطية التعاون مع الشرطة فى هذا ...

– صدق السلطان على هذا البيان بقراراته الحكومية .

---

[١] تقول المادة الثانية عشر من لائحة التعليم : لا يسمح للرجال بدخول مدرسة دار المعلمات سوى المدير والمعلمين ووكيل وزارة المعارف والموظفين الرسميين الذين يتطلب وجودهم فى المدرسة . للاطلاع على ذلك انظر

Tezer Taşkıran, Cumburiyetin 50 yılında Türk Kadın Haklar , Başbakanlık Kültür. M. 1973. s.28 .

وتقول المادة الثالثة عشر : لا يدخل الرجال والنساء سويا إلى المدرسة ، ولا يجلسون سويا ، بل يذهب كل منهم إلى الفرقة المخصصة له . ولا يدخل الرجال غرف الدراسة الخاصة بالنساء قبل الميعاد المخصص والمحدد لهم فى الجدول .

– ينشر هذا البيان فى الصحف ويعلق فى الشوارع" . وفى اليوم التالى لنشر هذا البيان ، قالت جريدة "وَقِتْ" الصادرة فى إستانبول : "إن المجتمع العثمانى عموماً يصوِّب هـذا القـرار ويـراه نافعًا"([1]) .

٣– دور يهود الدونمة فى هتك حجاب المرأة المسلمة فى تركيا:

ظهر فى تركيا فئة من اليهود، أطلق عليها "يهود الدونمة"، كان لهم دور مؤثر فى الحياة التركية. والدونمة هم الطائفة اليهودية التى عاشت فى تركيا، وظهرت فى القرن السادس عشر علـى يـد مؤسسها "شبتاى بن تسفى"، الذى ادعى أنه المسيح المنتظر، وآمن به الكثير من أبناء جنسـه، ثم أعلن إسلامه، هربًا من العقاب، وأصبح هو وجماعته يعيشون داخل شخصتين ، اليهودية المتأصلة فيهم باطنًا، والمسلمة شكلاً وظاهرًا أمام الدولة، حيث تدخلت هذه الطائفة فى أنظمـة الدولـة سياسياً واجتماعيًّا واقتصاديًّا، وكان لها تأثير قوى على المجتمع التركى بوسائلهم المتخفية والمستترة خلف الدين، حيث وجهوا إمكاناتهم الإعلامية عن طريق الصحف التى يمتلكونها، إلى العمل على توجيه الشباب إلى الاختلاط فى الجامعات، والهجوم على الإسلام والدعوة إلى الإلحاد، مظهـرين أنهم يناصفون الحق من أجل أحداث تغيير عصرى لشكل العائلة فى المجتمع التركى، ونادوا برفـع حجاب المرأة التركية وقاموا بنشر رسائل، عبر صحفهم ومجلاتهم، يعلنون على صفحاتها، الحـرب على الحجاب، معلنين أن الحجاب، ليس من الإسلام، وأنه عادة يونانية ([2]) .

وقد نتج عن هذا ان اغترت فئة من النساء بأقوالهم، فأصبحن يترددن على محافلهم الماسـونية ومجتمعاتهم .

وقد نشرت مجلة سبيل الرشاد فى عددها الصادر فى ١٨ فبراير عام ١٩١٩ مقالاً شهيرًا للرد على هؤلاء الدونمة الذين يعملون على هتك حجاب وعفة المرأة التركية جاء فيه: "أيتـها المـرأة المسلمة المسكينة ! ما أكثر أعداءك إن عفتك وعصمتك قد أصبحتا شوكة فى أعين فاقدى هـاتين النعمتين لذلك فهم لا يتوقفون لحظة عن هجمهم عليك ، بارك الله فيك فما أمتنك من إنسانة .

([1]) محمد حرب ، السلطان عبدالحميد ، مرجع سابق ، ص٩٩ – ١٠٠ نقلا عن موسوعة أتاتورك ، ج١ ، ص٥٩ – ٦٠ .

([2]) مصطفى طوران ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

ليتك عرفت كم من المؤامرات يدبرون لهدمك وكم من القوى والأموال يبذلونها ، لن يستطيعوا مغالبة الإسلام طالما اعتصمت برداء عفتك وبقيت مثالاً حياً لشعائر الإسلام، أنهم يريدون إزالة الحياء من وجهك، وتمزيق حجابك، وقطع الروابط بينك وبين أهلك .

لذلك فهم يلينون لك بالقول ، يبحثون عن المدنية والذوق والجمال ويضعون لك أمثلة من القرن العشرين .

فمن هؤلاء من هو فاقد لدينه، ومنهم من هو مفتقر للعفة والحياء . ومنهم من تقطعت صلاته بأهله وأسرته .

من الطبيعى أن يناصبوك هؤلاء العداء، لأنهم غرباء عن مجتمعك ، يختل توازنهم بصمودك فيفتشون عن سبل الراحة منك ولن يتأتى لهم هذا إلا بجعلك تتشبهين بهم .

أيتها المرأة المسلمة المسكينة ! تخطئين وتظنين أن كل من يحمل اسم مسلم هو مسلم ، فما أكثر المنافقين منهم وما أكثر اللامذهبيين ، وما أكثر من يحمل فى طيات قلبه ديناً آخر ، إنهم يظهرون الإسلام ليضمنوا بقاءهم بين المسلمين، ويحصلوا به على مكاسب ضخمة، يلقبون أولادهم ألقاباً إسلامية، وليست لهم أية علاقة بالإسلام ، بل ملأت قلوبَهم الأحقاد ، يتخذون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الإسلامية . فإن وجدوا فرصة سانحة انتقموا من الإسلام وفعلوا كل شيء من شأنه إفساد الحياة الاجتماعية الإسلامية " ([1]) .

والجدير بالذكر ان هؤلاء الدونمة قاموا بمحاولة تنظيم حفلة ليلية فى أحد المسارح التركية، لإعلان الدعوة بالغاء الحجاب، واختاروا وقت دخول الدولة العثمانية الحرب، حتى يمكنهم التأثير على معنويات الشعب؛ بإغرائهم بقضاء أوقات ممتعة يشترك فيها الرجال والنساء، وأعدوا لهذه الليلة نساء جميلات من دونمة سلانيك، يحملون أسماء إسلامية، وكان من المقرر خروج تلك النساء على المسرح، ويقمن بتمزيق حجابهن لإعلان الثورة الاجتماعية، إلا أن حكومة ذلك الوقت رفضت هذا العمل . الأمر الذى يدل على قيام هؤلاء الدونمة باتخاذ كافة الوسائل للتأثير على المجتمع التركى المسلم ([2]) .

([1]) المرجع نفسه ، ص٤٤ ، ٤٥ . .

([2]) انظر مصطفى طوران ، مرجع سابق، ص٤٧ ، ٤٨ .

وقد استمرت محاولات يهود الدونمة بهدف إقناع النساء التركيات للخضوع لهم، فقاموا بتزويج فتاة منهم لكاتب تركى شيوعى يدعى "زكريا سرتل" بزعم أن هذا العمل يؤدى إلى توحيد اليهود الدونمة بالاتراك، وبالفعل تم الزواج بين "زكريا سرتل" وهذه الفتاة الدونمية التى تدعى "صابحة" ، وكان وكيل الفتاة فى عقد الزواج، رئيس الوزراء ورجل الاتحاد والترقى "طلعت باشا"، وكان وكيل الزواج "توفيق رشدى" الذى أصبح فيما بعد وزيرًا للخارجية التركية. وقد كان لهذا الزواج تأثير كبير فى إقدام كثير من الشبان والفتيات الدونمة للزواج من الأتراك، بعد أن كان محرمًا على جماعة الدونمة الزواج من غير جنسهم، مما يؤكد سعى اليهود نحو تحقيق خططهم المستهدفة لتغيير بنية المجتمع وخاصة التأثير على إسلامه وعقائده الإسلامية([1]).

هذا وقد قام يهود الدونمة بالدعوة إلى سفور المرأة، عن طريق الصحف التى يمتلكونها ويسيطرون عليها وخاصة جريدتى "ميلليت" و"كون إيدن"، أشهر الصحف انتشارًا وذيوعًا فى تركيا، حيث نادت على صفحاتها باشتراك المرأة التركية فى مسابقة اختيار ملكات جمال العالم، وكان ذلك عام ١٩٢٣م ، وقد استجابت الفتيات التركيات وأبدين استعدادهن للاشتراك فى هذه المسابقة، التى اشتركت فيها ٢٨ دولة، فاشتركت فتاة تركية تدعى "كريمان خالص" التى فازت بلقب ملكة جمال العالم، وسط حفاوة وسعادة الغرب، وأعلن رئيس اللجنة الأوربى بفوزها بكلمة جاء فيها :

"أيها السادة أعضاء اللجنة إن أوربا كلها تحتفل اليوم بانتصار النصرانية، لقد انتهى الإسلام الذى ظل يسيطر على العالم منذ ١٤٠٠ سنة ، إن كريمان خالص ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة تلك المرأة التى لم تخرج إلى الشارع وإنما كانت ترى الناس من وراء المشربيات ، ها هى كريمان خالص حفيدة هذه المرأة المسلمة المحافظة تخرج الآن أمامنا "بالمايوه" ولابد من الاعتراف أن هذه الفتاة هى تاج انتصارنا .

واستطرد رئيس اللجنة الأوربى كلامه عن تحفظ المرأة المسلمة التركية فى عهد الدولة العثمانية وسخريته منها بقوله : "ذات يوم من أيام التاريخ انزعج السلطان العثمانى "سليمان القانونى" من فن الرقص الذى ظهر فى فرنسا، عندما جاورت الدولة العثمانية حدود فرنسا ، فتدخل السلطان لإيقاف الرقص خشية أن يسرى فى بلاده . ها هى حفيدة السلطان العثمانى المسلم، تقف بيننا ولا

([1]) انظر المرجع السابق ، عرس على طريقة الدونمة والاتحاديين ، ص٥١-٥٩ .

ترتدى غير "المايوه"، وتطلب منا أن نعجب بها، ونحن نعلن لها بالتالى، إننا أعجبنا بها مع كل تمنياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات المسلمات يسير حسب ما نريد ، فلترفع الأقداح تكريمًا لانتصار أوربا"([١]).

من ناحية أخرى، قام بعض الكتاب الملحدين والقوميين فى تركيا بالكتابة عن مساوئ الحجاب، وأعلنوا أنه ليس من الإسلام وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين.

من هنا نرى كيف سعى يهود الدونمة فى تركيا فى العمل على هتك حجاب المرأة المسلمة وكان لهم دورهم فى تدمير الأسس الإسلامية التى عاشوا عليها، عن طريق الخطط والمؤامرات والأفكار التى قاموا ببثها عن طريق الصحف والمجلات التى يمتلكوها، تحت ستار "تحديث تركيا وتغريبها" والمضى نحو العالم المتحضر والبحث عن المدنية والذوق والجمال!! ([٢]) .

ثانيا : حجاب المراة التركية فى عهد الجمهورية:

مع بدايات عهد الجمهورية فى تركيا أصبح سفور المرأة هو السمة التى تميز المرأة العصرية والمتحضرة ، تلك المرأة التى تخرج بمفردها وتذهب الى دور اللهو والأندية الليلية وتراقص الرجال وتتخذ من الغرب نموذجًا لمواكبة الحياة العصرية ، ورمزًا لحريتها، وذلك بتشجيع كبير من الحكومة.

وحقيقة القول فان النساء اللاتى استجبن لهذه التغييرات لا نستطيع القول أنه يمثل النسبة الغالبة على النساء التركيات المسلمات ، بل على العكس نقول أن غالبية النساء المسلمات فى تركيا لاتزلن حتى يومنا هذا محافظات على التمسك بالآداب التى فرضها الدين ، ويحافظون على الأخلاق القويمة ، وفى مظهرهم الخارجى نجدهم يحافظون على ما أمر به الإسلام من إدناء الثياب وغطاء الرأس الصحيح ، فيبدون نموذجًا للمرأة المسلمة الطاهرة المحافظة القانتة الطائعة لأمر الله سبحانه و تعالى ، وذلك رغمًا عن كم الهجوم الذى يتعرضن له من قبل الحكومة والمؤسسات العلمانية فى الدولة ، والجيش ، وأيضا من قبل العلمانيين المتشددين الذين يرفضون أى مظهر أو سلوك دينى يفرض على الدولة علمانية التوجه .

([١]) محمد حرب ، خواطر عائد من إستانبول ، جريدة الأحرار ، ١٩٩٦/١١/١٥م ، مقال بعنوان الوعى الإسلامى فى تركيا .

([٢]) هدى درويش ، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا – وثائق جديدة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص٥٥ ، ٥٦ .

١- موقف مصطفى كمال أتاتورك من حجاب المرأة :

ولد مصطفى أتاتورك فى سالونيك عن أم تدعى "زبيدة" ، وكانت من النساء المتدينات المحجبات اللاتى عرفن بالتقوى والتدين، حتى أنها تمسكت بإطلاق أحد أسماء النبى ﷺ على ولدها؛ فسمته "مصطفى" وكانت تحلم بأن تجعل منه إمامًا دينيًّا يخطب فوق منابر المساجد، ويؤم المصلين فى صلاة الجمعة، فالحقته بمدرسة دينية تابعة لأحد الجوامع القريبة من مسكنهم، حيث تلقى فيها أول دروسه عن مفاهيم الإسلام الصحيحة، إلا أنه لم يكن مهيئ لقبوله، فلم ينتهى عامه الأول فى المدرسة، حتى رفض العودة إليها، رغم توسلات أمه، وانتقل إلى إحدى المدارس التى تدرس العلوم الغربية، وهى مدرسة "شمس أفندى" اليهودى الدونمى الأصل، وبعد سلسلة من الأحداث، التحق كمال أتاتورك بالعسكرية، وتدرج فى المناصب، حتى قام بالثورة على الخلافة العثمانية، واعتلى منصب رئيس الجمهورية التركية، وقام بإجراء العديد من التغييرات فى الدولة وأهمها تحويل الدولة من خلافة إسلامية، إلى جمهورية علمانية، تبعد الدين وقوانينه عن كل مجالات الدولة .

ومن أبرز سمات ثورة أتاتورك إعطاؤه المرأة حرية البعد عن كافة المظاهر الإسلامية، وتحريرها من التقاليد العثمانية الموروثة، فشجعها على العمل فى كافة المجالات، من شركات ومؤسسات ومصارف وبنوك، كما أعطاها حق التصويت وانتخاب النواب وأعضاء المجالس البلدية ومجالس المحافظات والولايات . ومن جانب آخر فقد قام بتشجيعها على السفور والتردد على الحفلات الراقصة مع الرجال كمظهر لتحررها من كافة القيود .

وفى سياق حديث أتاتورك عن المرأة فى خطابه الشهير، والذى أطلق عليه "نطق" والذى حدد فيه اتجاهات الدولة جاء فيه : إن عهد الحريم القابعات فى خدورهن اللاتى يقضين حياتهن بابتلاع راحة الحلقوم قد ولى وانتهى . إن النساء يشكلن نصف المجتمع، والمجتمع الذى يبقى نصفه دون عمل، ودون تحمل المسئوليات، مجتمع عاجز مشلول، ومحكوم عليه بالتأخر والفناء " (١) .

وبعد قيام الجمهورية أصبحت المرأة مساوية للرجل فى كل شىء، سواء الحقوق السياسية أو الواجبات الوطنية والمدنية أو الانتخابات، وحتى التجنيد وفى المواريث، وقد انتخبت ١٧ سيدة كعضوات فى الجمعية الوطنية الكبرى عام ١٩٣٥م، واستقبلهن النواب بعاصفة من التصفيق وقت دخولهن القاعة، ودخلت السيدة خالدة أديب الأديبة الشهيرة فى تركيا والتى كانت تعمل

---

(١) مصطفى الزين، ذئب الأناضول، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، ١٩٩١م ، ص٢٤٣ ، ٢٤٤ .

مستشارة لأتاتورك فى هيئة الوزارة، وهؤلاء النساء استبدلن زيهن الشرقى بالزى الغربى ولبسن القبعات الغربية ([1]) .

والجدير بالذكر، أنه من الإجراءات الكمالية التى تمت فى وضع المرأة، إصدار قانون يجيز حرية زواج المرأة المسلمة ممن تشاء، ولو من غير المسلم، وقد تم أول زواج بين مسلمة وغير مسلم فى أبريل عام ١٩٢٧م فى حى "بيرا" وكانت الزوجة أرملة مسلمة تركية، تزوجت من مهندس إيطالى الجنسية ([2]) .

هذا وقد استمر مصطفى كمال يعمل من أجل تحديث الدولة، ويدعو للثورة على الأصول والتقاليد الإسلامية، وذلك خلال الفترة من عام ١٩٢٣م حتى عام ١٩٣٨م . حيث وضعت نهاية تامة للماضى الذى عاشته تركيا كدولة إسلامية فى ظل العثمانيين . واستبدلت بدولة علمانية فى ظل الجمهورية التركية .

وطبقا للقانون المدنى العلمانى، تم استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، واستخدام التقويم الغربى* وتحريم لبس الياشمك YeŞmek ، وفى الوقت ذاته تم العمل على ايجاد صيغة لحياة عصرية ليس لها اية ميول دينية ([3]) وأثناء حروب الاستقلال التى خاضتها تركيا بقيادة أتاتورك كان أتاتورك يدعو الفتيات للرقص مع الضباط وقضاء أوقات ممتعة معهن، واعتبار هذا الأمر من قبيل الأوامر العسكرية، فى سبيل الترفيه عن الضباط والجنود، حيث كان أتاتورك يرى فى الرقص مقياس التحضر ([4]) .

([1]) عزيز خانكى بك ، ترك واتاتورك ، المطبعة العصرية ، مصر ، بدون تاريخ ، ص٥٦ .

([2]) المرجع السابق ، ص٦٩ .

([3]) Hasan Cemal: Kimse Kizmasin, KENDIMI YAZDIM, S. 300-, 3. baski, Istanbul, 1999.

([4]) مصطفى محمد ، الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا ،ألمانيا الغربية ،١٩٨٤ ، ص١١٩، وفى هذا الشأن فقد ترددت بعض النساء فى محاصرة بعض الضباط أثناء الحفلة التى أقامها أتاتورك فصاح فيهن بصوت غاضب قائلاً: إننى لا أستطيع أن أتخيل ان هناك امرأة فى العالم ترفض أن ترقص مع ضابط تركى ، هيا تفرقوا فى صالة الرقص وارقصوا معهن . هذا أمر عسكرى . انظر Kimross, Lord, op. cit., p.421.

وكان مصطفى أتاتورك يرى أن الرقص مقياس التحضر فكان يقيم الحفلات الراقصة ويفتتح الرقص بنفسه وكانت أول حفلة راقصة أقامها حاكم أزمير لمصطفى كمال فى أكتوبر ١٩٢٥ ودعا إليها وجهاء المدينة من=

وفى هذا الشأن يذكر شيخ الإسلام "مصطفى صبرى" من خلال اعتراضه على تشجيع أتاتورك على سفور النساء والدعوة إلى اشتراكهن فى الحفلات الراقصة بقوله : ان "الحفلات الراقصة التى هى من لوازم المدنية الاجتماعية فى الغرب ليست إلا تأييد علنى للمعاشرة المختلفة" ويقـول "إن السفور خرج عن معناه فى أصل اللغة وهو الكشف عن الوجه وتحول إلى ما نراه من نصف التعرى أو ثلثيه و"الاختلاط بالرجال الأجانب لا نجيزه لبلاد يهتم أهلها بعفة نسائهم، ونحن نراه رائـدًا للفسق والفجور" (١) .

هذا وقد قام أتاتورك بتشجيع اشتراك النساء التركيات فى مسابقات ملكات الجمال كمظهـر أوربى ليثبت أن جمال المرأة التركية الذى كانت تخفية تحت الحجاب يضارع أجمل نساء العالم (٢) .

هذا وقد برزت مشكلة الحجاب التى كانت ترتدية المرأة طوال العصر العثمانى باعتباره من أهم المشاكل التى واجهت المرأة التركية فى بدايات عصر الجمهورية، حيث اقتضى بناء المجتمع الحديث فى تركيا – طبقاً لما دعا إليه أتاتورك – أن تخرج المرأة سافرة . مثلها مثل المرأة الغربية.

وكان أتاتورك من خلال تشجيعه للمرأة على السفور يخاطبها بقوله: لقد رأيت كثيرات مـن اخواتنا يغطين وجوههن إذا ما رأين غريبًا يتقدم نحوهن . ومن المؤكد ان هذا الغطـاء يضـايقهن كثيرًا فى الحر . لماذا نكون نحن الرجال بهذه الأنانية التى تسمح لنا بأن نفعل هذا معهن ؟ لمـاذا لا نشجعهن على أن يسفرن وجوههن للعالم ، وبأن يرين العالم بأنفسهن . إن الأمم لا تتقدم بغير تقدم نسائها . هل تتصرف زوجات وبنات العالم المتمدن بهذا الشكل . بالطبع لا .... (٣) .

=المسلمين ، وافتتح مصطفى كمال الرقص مع ابنة حاكم المدينة ، وكان الكماليون وعلى رأسهم أحمد أمـين يلمان يبررون اشتراك مصطفى كمال فى حفلات الرقص بأنه نوع من الإتصال المباشر بالشعب انظر فى هذا
Yalman, Ahmed Emin, Türkey in my Time, Norman, University of Oklahma Press, 1956, p. 180

وانظر أيضاً

Kimrosse, Lord, Atatürk, The Rebirth of a Nation, London, Weiden Feld and Nicolson, 1964, 420 .

(1) مصطفى صبرى ، مرجع سابق ، ص٢٦ ، ٢٨ .

(2) Show Stgford J., History of the Ottoman Empireand Modern Turkey, Vol.2: The Rise of Modern Turkey, 1808 – 1975 Cambridge, Cambridge Universitg Press, 1977, P.385 .

(3)Atatürkün söylev ve demecleri 11, Konya 1923.s. 50 .

وقد لاقت هذه الدعوة ردود فعل عنيفة، ومعارضة من جانب المحافظين الإسلاميين الأتراك ، وكان على رأسهم الشيخ "مصطفى صبرى" من خلال رده على تقليد الحضارة الغربية: "إن الحضارة الغربية قاضية على الفضيلة، ومبنية على أساس قضاء الشهوة سالمة من التعييب والاتهام وهذه معاكسة بالحقائق، تروج بفضل تعصب الغربيين لما ينسب إليهم من التقاليد، وضلال أبناء المسلمين صراطهم المستقيم، ولهذا كانت مسألة النساء أعظم حاجز بين الإسلام والمدنية الغربية([1]).

وفى عام ١٩٢٥م أصدرت الحكومة التركية قانون "القبعة والقيافة" "الزى الخارجى " الذى استبدل بعض أغطية الرأس القديمة مثل الطربوش ، القلنسوة ، الطاقية ، العمامة والأزياء الاخرى مثل الجبة ، الجاكت ، الشالوار (ثوب فضفاض أو منتفخ) والسروال بملابس عصرية وسمى قانون "القبعة والقيافة" ([2]) .

ولأتاتورك موقفه المعارض بشدة لحجاب المرأة المسلمة حيث عمل وجاهد باللين أحيانا، والشدة والغضب فى أحيان أخرى، لإقناع المرأة المسلمة التركية برفع حجابها والاستجابة للسفور، ويتضح ذلك من خلال خطابه الموجه للمرأة التركية فى هذا الشأن فى مدينة إزمير عام ١٩٢٣م والذى جاء فيه: "أن أكثر التصرفات التى تلفت انتباه الأجانب فى المدن والمقاطعات، هو الحجاب التى ترتديه المرأة . والناظرون لهذا يعتقدون أن نساءنا لم تر شيئاً قط([3]) .

وفى زيارته لمدينة قسطمونى ١٩٢٥م ألقى خطاباً آخر وجهه للمرأة بهدف إقناعها برفع الحجاب فجاء فيه :

"خلال جولتى رأيت كثيرًا من أخواتنا – ليس فى القرى فحسب، وإنما فى المدن – يحجبن وجوهن وأعينهن ، وهذا لا يسبب لهن الراحة بالتأكيد فى الجو الحار ، فلماذا نكون نحن الرجال أنانيين وندعهم يفعلن ذلك ؟ دعوهم يكشفن وجوههن للعالم، إن العالم لا يمكن أن يتقدم بدون نساءه، ولا نستطيع أن نطلب من الرجال أن يسرعوا الخطى نحو الحضارة، ولا نزال نترك نساءه فى التراب . لقد رأيت كيف أن بعض النساء يدرن وجوههن عندما يمر بهن رجل ، أو يجلسن على الأرض . هل تتصرف زوجات وبنات الشعوب المتحضرة مثل هذا التصرف . إن الموقف خطير

([1]) مصطفى صبرى ، مرجع سابق، ٥٣ ، ٥٤ .

([2]) Atatürk. a.g.e, s. 77 .
([3]) Serpil Cakir . a.g.e. sh 102.

جدًّا ! لقد أصبحنا مثارًا للضحك فى العالم ؛ لهذا فإننا يجب أن نوقف هذه العادة الغريبة لنسائنا فورًا ([1]) .

بعد ذلك صدر فى نهاية عام ١٩٢٦م عن المجالس البلدية قرار، حظر فيه على السيدات لبس السروال، وإلزامهن بلبس الفستان والإ قدم أزواجهن أو أقرباؤهن للمحاكمة . و برر أتاتورك السفور بثلاثة أسباب حيث قال : "النقاب غير صحى، وقليلات جدًّا من التركيات ذوات وجنات وردية وأوجه نضرة، ونتيجة لتغطية وجوههن جعلهن مصفرات الوجه، كئيبات ، والسبب الثانى ، أن الرجل الأقل اختلاطا بالنساء، يكون أشد اشتهاء للنساء وأغلب بهيمية ، والسبب الثالث ، أن المجرمين كانوا يختبئون وراء البرقع النسائى لإخفاء شخصيتهم، حتى أن الحكومة قبضت على أربعة آلاف مجرم يتخفون وراء هذا الزى([2]) .

٢- المرأة فى بدايات عصر الجمهورية :

فى بداية عصر الجمهورية ظهرت كاتبة تدعى "خالدة أديب أديوار" (١٨٨٣ – ١٩٦٤م) .

حيث انضمت إلى جبهة مصطفى كمال فى حرب الاستقلال ، وكانت برتبة (أونباشى) وكان يوجد فى الجبهة نساء أخريات بخلاف خالدة أديب، كن بمثابة الرجال على الجبهة، أظهروا نفعاً كبيراً بصفة عامة .

وعملت خالدة أديب مستشاراً لأتاتورك فى الربع الأول من عصر تأسيس الجمهورية . وكانت صاحبة كلمة فى موضوع تأيد حقوق المرأة، وكان لها رأى قومى ، كما كان لها رأى تجاه الموضوعات الغربية المتعلقة بالمرأة والجنس فكانت تدافع فى كتبها عن عفة المرأة، وأن المرأة يجب أن تكون نموذجاً للأمومة والتضحية، وهى مساوية للرجل فى تضحيته . وكانت تعارض بشدة الحرية الجنسية والمكياج الصارخ عند المرأة الغربية لكنها فى الوقت نفسه لها موقفاً واضح ضد حجاب المرأة وكانت تعتبره من مظاهر التخلف وتأخر المرأة وتنادى بالسفور .

وقام مصطفى كمال بتشجيع تلك الأفكار وحولها من حركات للمجتمع المدنى إلى حقوق تؤيدها الدولة فاكتسبت النساء أرضية قوية فى اكتساب حقوقهن .

([1]) Lewis, Geoffrey Lewis, Turkey, Second Tmpression, London, Ernest Benn, 1959, pp. 90-92 .

([2]) صحيفة السياسة الاسبوعية : كيف زال النقاب من تركيا ، العدد ٥٤ ، ١٩ مارس ١٩٢٧ ، ص٨ . ، كان اول من حرم استخدام الحجاب وفرض على الأهالى أن تخرج عاريات الوجه ، حاكم طرابزون .

ففى ميدان القتال اشتركت النساء اشتراكًا فعليًا فى الدفاع عن الوطن ، متطوعات ومختارات الاشتراك فى القتال إلى جانب الرجال، وكانت تتزيا بزى الرجال، وينشدن الأغانى الحماسية، ويقصصن شعورهن مثلهم، وكان منهن الجاويش، والباشجاويش، والصف ضابط، والضابط، ودليل اشتراك النساء وفضلهن فى الجهاد الوطنى أنه وجد فى قاعدة التمثال الذى نصبوه لأتاتورك تمثال لامرأة تركية حاملة فوق ظهرها قنابل ومدافع، وكانت المرأة تقوم بنقل القنابل وهى تحملها على ظهرها، وتقوم بتوصيلها إلى الجيش لتعذر وسائل النقل فى ذلك الوقت([1]) .

وبعد انتهاء حرب الاستقلال مباشرة، مدح أتاتورك تلك الشجاعة الفائقة للمرأة فى الأناضول، لمشاركتها القوية فى تلك الحرب ، ووعدهن بنيل حريتهن ومساواتهن مع الرجال فى التعليم، وأن يكون لهن دور فى المجتمع .

وظهر مقال فى جريدة (حاكميت الملية) "حكم الأمة" التى يديرها مصطفى كمال أتاتورك من خلال تشجيع نساء تركيا لنيل حريتهم .

"إننا نريد أن نشير بأهمية إلى نسائنا الذين يمثلون الزعامة للمرأة فى إستانبول . إنهم النساء اللاتى شاركن فى حرب الإستقلال فى الأناضول . وعلى هذا فالفضل كله يعود إلى النساء فى الأناضول، هم النساء اللاتى سرن فى طريق الحضارة، ووصلن بشرف إلى هدفهن([2]) .

وطالب "عصمت إينونو" وكان نائبًا لمجلس الأمة عن مدينة "مالاطية" فى ذلك الوقت ومعه ١٩١عضوًا من المجلس بضرورة اشتراك النساء فى انتخابات مجلس الأمة، أى فى التصويت وحق الترشيح أيضا ، وبالفعل حدث إجراء تغيير فى مواد الدستور فى ١٩٣٤/١٢/٤م . وفى انتخابات عام ١٩٣٥م اشتركت المرأة التركية لأول مرة فى الانتخابات التركية، ودخل المجلس فى تلك الدورة ولأول مرة ١٨ إمرأة تركية ([3]) .

٣- المرأة التركية فى طريقها إلى العصرية :

نالت المرأة القروية فى تركيا حظاً وفيرًا من الاهتمام والرعاية فى عهد الجمهورية وخاصة فى الحقل التعليمى، وقامت الدوائر الحكومية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية بفتح أبوابها لإشراك المرأة وشغلها الوظائف المناسبة لها فأصبحت معلمة، وقاضية، ونائبة، ووزيرة، وعضوًا فى البرلمان،

([1]) عزيز خانكى بك ، مرجع سابق ، ص٢٢ ، ٢٣ .

([2]) Yetmişbeşte erkekler ve kadınlar , Istanbul 1998, s, 81.

([3]) Efet Halim, Modern Türkiyede kadın , Ankara, 1933,sh,13-14.

وندرت فى الدولة ظهور حركات نسائية مستقلة لتنادى بحقوقها ومساواتها بالرجل بعد أن شاركت الرجل كافة الأعمال فى عصر الجمهورية، وأصبح سفور المرأة فى المجتمع عام وشامل فى المدن والقصبات والقرى، وأخذ شكل الطبقات يظهر فى المجتمع من خلال النساء فهناك طبقة من النساء يعدونها من الطبقة الأولى وهى الطبقة السافرة التى تتزيا بالزى الغربى، وتظهر فى الملاهى والمراقص والشواطئ ، وهذه الطبقة يكثر فيها أعداد غير المسلمين من الأرمن والروم واليهود والكاثوليك. وظهرت طبقة أخرى من النساء، تتسم بالحشمة وتخرج الشوارع وهن مخمرات الرأس ، مكسوات السيقان والأذرع، وهذه الطبقة تتحفظ بما لها من أديان تتبعها، أما نساء الطبقة المتوسطة فى المدن، فكن أكثر تمسكًا وتحفظاً واحتشامًا وأقل اندماجًا فى المجتمعات المختلفة [١] .

أما الطبقة الفقيرة فى المدن والقصبات، فكانت أكثر استمساكًا بالزى ولا يخرجن الإ وعلى رؤوسهن الخمار السميك فى الشتاء، والرقيق فى الصيف، وكثير من هذه الطبقة، كن يخرجن بالملآءات السوداء التقليدية، ومنهن من يضعن النقاب على وجوههن .

ويمكن القول أن الانقلاب الاجتماعى الذى حدث فى المجتمع إثر تحوله من العثمنة إلى العلمنة، ومن الأصولية إلى التحديث، قد هز كيان الأسرة التركية وخاصة النساء فيها [٢]. وقد تحدث عن هذا الوضع الجديد للمرأة وثورة تطورها أحد الكتاب الأتراك خلال مقدمته للرواية التى كتبها عام ١٩٤١م بعنوان "فتاة سقطت هكذا" جاء فيها :

"ان مئات الآلاف من فتيات الأتراك قد أخذن يسرن فى الطريق الخاطئ ، واندمغن بدمغة السقوط ، وأصبحت قلوبهم المفتحة قبل أوانها، كالثمرة التى فسدت قبل أوان نضوجها، من المحزن أن تعبير العصرية قد هدم فى فتياتنا قوة الصبر والانتظار، وألقاهن فى أوساخه وشهواته الكريهة . فكم من فتاة من بنات المدارس شاهدتها تحمل إلى جانب دفتر حسابها دفترًا للعشق، وكم من فتاة رأيتها تسرع لأول شاب تلقاه فى السوق تطلب منه أن يتفضل ويسجل لها فى دفترها إحساسه وعاطفته ورأيه فيها، ولكم صدر من المجلات والكتب والأحاديث الصحفية لبعض الراقصات وبنات الحانات وأخبار البغايا وما فى حياتهن الخاصة من أسرار وخفايا بأسلوب مغر وفاجر يلقونه لفتياتنا بدلاً من دروس المدرسة، أفسدت عليهن قلوبهن الصافية وأخلاقهن الطاهرة، وهيأتها للفساد

---

[١] محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦ ، ص١٠٧ – ١١٠ .

[2] المرجع نفسه ، الصفحات نفسها .

فى المستقبل، وكأننا مشرفون على عهد لن يبقى فيه فى بلادنا أمهات طاهرات الخلق نقيات القلب"([1]) .

٤- الدستور التركى وموقفه من حجاب المرأة :

إن مسألة سفور المرأة التركية لم تبرز كتشريع قانونى فى الدولة، وإنما جاءت بدعوة وتشجيع مصطفى أتاتورك أثناء حركته النضالية، وظهرت مع الثورة الاجتماعية التى قادها من خلال خطبه التى تحدث فيها للشعب عام ١٩٢٤م، ١٩٢٥م والتى كان يدعو ويكرر فيها بضرورة السفور والاختلاط، على الرغم من أن أمه السيدة زبيدة وزوجته رفيعة هانم كانتا ترتديان الحجاب . والجدير بالذكر ان الدستور فى تقريره حقوق المواطن التركى، ومساواة الجميع أمام القانون، لم يذكر الذكر والأنثى بل تركه مطلقاً، والدستور يقر بمبدأ حرية العقيدة لكل شخص ، طبقاً للفقرة الأخيرة بالدستور من المادة ٢٤ والتى تنظم "حرية الدين والوجدان". فجاءت خطوة سفور المرأة وبروزها باعتباره عملاً اصلاحيًّا،وعممته مؤسسات الدولة بأنه رمز لـ "تقاليد الجمهورية "([2]) . وعلى هذا فالحجاب غير "مجرَّم" فى القانون والذين يطبقون حظره ينطلقون من تأويل وتفسير المحكمة الدستورية فى هذا الشأن([3]).

٥- ظاهرة السفور بعد أتاتورك :

فى عام ١٩٥٠م نجح الحزب الديمقراطى ليحل محل حزب الشعب الذى أسسه أتاتورك، والذى استمر طيلة سبع وعشرين سنة، وكانت توجهات الحزب الديمقراطى إسلامية بقيادة "عدنان مندريس"، الذى أعاد دروس الدين للمدارس، وسمح بالحج والرجوع للقرآن الكريم، وأعاد الأذان باللغة العربية، وكان من أهم بنود هذا الحزب إطلاق الحرية للنساء فى ارتداء الحجاب ([4]) .

فى ذلك الوقت أعلن الأستاذ "محمد جميل بيهم" وهو من كبار الكتاب فى كتابه "العرب والأتراك" أثناء زيارته لتركيا : "كنت أعتقد قبل أن تتاح لى فرصة زيارة تركيا الحديثة أن القوانين

([1]) المرجع نفسه ، ص١٠٩ ، ١١٠ .

([2]) محمد دروزة ، مرجع سابق، ص١٠٦ .

([3]) Akit, s.2 (7 Mayis, 2000) .

([4]) عبدالكريم منهداني ، العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا،المكتبة الدولية الرياض، ومكتبة الخافقين دمشق ، ١٩٨٣ ص٣٢٢ .

التى وضعت فى عهد مصطفى كمال ، وما رافقها من التشديد والتضييق على الحجاب، وكنت أترقب أن أرى المرأة التركية ليست سافرة الوجه فحسب ، بل على شيء كثير من التبرج والزينة. والواقع أنى وإن رأيت سفور الوجه عامًا ، إلا أن الحجاب بالمعنى الإسلامى لا يزال مرعيًا فى تركيا أشد منه فى بلادنا" ([1]) .

وفى عام ١٩٨٠م أصدرت إدارة الشئون الدينية فى تركيا، فتوى متعلقة بموضوع الحجاب، وكانت تلك الفتوى تقضى بأن الحجاب أمر إلهي يجب تنفيذه" ويُفهم من تلك الفتوى أن الحجاب حينئذ أصبح ضرورة فى تركيا.

ولكن الدولة وعلى رأسها الجيش وقياداته تصدت لهذا الزى الإسلامى، وعارضت ارتداءه فى الجامعات ، وهذا يعنى أنه لا يوجد اتفاق على رأى موحد داخل مؤسسات الدولة .

وفى نفس هذا العام١٩٨٠م، نقلت الصحف التركية خبرًا، ينم عن مدى معاداة الحكومة لزى المرأة المسلمة جاء فيه : أنه بمناسبة عيد الطفل أقامت الحكومة احتفالاً ركزت فيه على الاستهزاء بالدين، حيث خرجت فتاة ترتدى الزى الإسلامى ويداها مكبلتان بجنزير، وهى تصيح أريد الحرية .. أريد الحرية...أنقذونى .. فيأتى شاب ويفك قيدها، ويرفع الثوب عن رأس وجسم الفتاة فتصيح . . الآن تحررت .. الآن تحررت ([2]) .

وبعد تولى تورجوت أوزال رئاسة الحكومة عام ١٩٨٣ ، نجح نواب حزب "الوطن الأم" فى استصدار قانون يحمى حرية المرأة فى ارتداء الحجاب ، إلا أن المحكمة الدستورية أبطلت هذا القانون أيضًا .

ومن ناحية أخرى قام قادة الأركان بالجيش التركى المعارضون لحجاب المرأة بعرض عدد من الإجراءات بلغت ثمانية عشر إجراء على مجلس الأمن القومى التركى فى ٢٨ فبراير ١٩٩٧م من أهمها منع أى دعوات مؤيدة لتطبيق الشريعة الإسلامية، ومنع ارتداء "لباس" يتعارض مع ما نص عليه القانون، ويعنى هذا حظر ارتداء النساء للحجاب ([3]) .

([1]) انظر محمد جميل بيهم ، العرب والترك فى الصراع بين الشرق والغرب ، بيروت ، المطبعة الوطنية ، ١٩٥٧م .
([2]) خبر رقم ٦٢٥ / لعام ١٩٨٠ .
([3]) رضا هلال ، السيف والهلال ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص١٩٧ ، ١٩٨ .

هذا وقد تعرض "تورجوت أوزال" فى الثمانينات، لسلطة الجيش على الدولة بقوله : "إن الذى أقام الديمقراطية مع الدولة فى أمريكا هم الفلاحون والتجار، أما عندنا (أى فى تركيا) فإن الـذى أقام الدولة هم العسكر، ومن أجل ذلك فإنهم يعدون أنفسهم أصحاب كل شيء فى دولتنا . ولهذا السبب، فإن وضع الديمقراطية عندنا يلزمه مزيد من الصبر" ([1]) .

وفى عهد رئاسة أربكان للحكومة عام ١٩٩٧م، رأت المؤسسة العسكرية ان استمرار أربكان فى رئاسة الحكومة يمثل خطرًا على تركيا، بسبب توجهاته للأصولية الإسلامية، وقد تمت الإطاحة بأربكان وحزبه الرفاه، وتشكلت حكومة جديدة، برئاسة مسعود يلماظ بهدف تطبيق إجـراءات الجيش ووقف المد الاسلامى، ومن أهم الإجراءات التى تصدرت تطبيقات الحكومة الجديدة، منع النساء من وضع غطاء على الرأس فى المدارس والجامعات ودوائر العمل فى تركيا . ومع تشـكيل حكومة يلماظ قام وزير المالية "زكريا تمزيك" بإلغاء قرار وزير المالية السابق بالسماح للعـاملات بوزارة المالية بارتداء الحجاب ([٢]) .

وكان عمل حكومة يلماظ يتركز فى القضاء على مظاهر الأسلمة فى الدولة وتحدد فى مكافحة التعليم الدينى أولاً ، وحظر الحجاب ثانيًا، وفى ذلك الوقت حدثت العديد من المظـاهرات ضـد إعادة حظر النساء لغطاء الرأس، واصطدمت الشرطة مع المصلين فى جامع "أبى أيوب الأنصارى" بإستانبول . ووصلت هذه التظاهرات إلى اشتباكات بين النسـاء الإسـلاميات، والعلمانيـات المعتدلات من جانب، والشرطة والعلمانيات المتشددات من جانب آخر، وقامت النساء المحجبات بالاعتصام أمام أبواب الجامعات، وعلى رأسهن رئيس حزب النهضة "حسن جلال كوزال" حيث أعلن أن مسعود يلماظ أحد أعداء الشعب التركى .

وفى ٢٦ اكتوبر ١٩٩٧م أدان حزب الطريق الصحيح، موقف الحكومة من قمـع الحريـات الشخصية، خلال المؤتمر الذى عقده الحزب فى إستانبول، وأعلن تضامنه مع الطالبات المحجبات . وفى الوقت نفسه تصاعدت عمليات اعتصام الطالبات المحجبات فى إسـتانبول وأنقـرة وقونيـا، وتضامن معهن رؤساء البلديات وحزب الرفاه، إلى جانب بعض الشخصيات الأجنبية من ألمانيـا والولايات المتحدة وبعض الدول الأوربية التى أدانت قمع الحريات ([٣]) .

([1]) Hasan Cemil. A,g, e, s. 315-316 .

([2]) الأهرام ١٩٩٧/٧/١٩م .

([3]) محمود السيد زعيم ، أقطاب الجمهورية يتصدون للتعليم الشرعى والمحجبات ، الحياة ١٩٩٨/١/٨م .

وقد أدت هذه الأعمال إلى سقوط عشرات الجرحى، واعتقال البعض الآخر، إلى جانب قيـــام الحكومة بحملات تفتيش على المدارس، وإنهاء خدمة كل معلمة لا تلتزم بالزى القـــومى، وعلـــى الرغم من هذه الإجراءات فقد حدث فى أوائل مارس ١٩٩٨م، قيام تضامن طلابى ضم ٣٠٠٠ طالبة وطالب وقفوا متشابكي الأيدى أمام جامعة أنقرة يعارضون حظر الحجـــاب فى الجامعـــات والمدارس ، الأمر الذى أدى إلى تصريح يلماظ بعدم إجبار الطالبات بتغطية رؤوسهن إلا أنه عاد مرة أخرى فى قراره بضغط من المؤسسة العسكرية ([١]) .

والجدير بالذكر ان موضوع الحجاب ظل يمثل المشكلة الرئيسية التى تتصدر المواجهة بين الجيش والإسلاميين فى الدولة .

وفى اجتماع مجلس الأمن القومى فى ٢٧ اكتوبر عام ١٩٩٨م أعرب الأعضاء العسكريون عن رفض مناقشة التساهل مع قضية الحجاب . ويمكن القول أن العسكر هم الذين تركوا بصـــمتهم على حملات التحديث منذ انتهاء الدولة العثمانية حتى قيام الجمهورية، كما أن العسكر هم الذين لعبوا دورًا واضحًا فى العبور إلى مرحلة تعدد الأحزاب فى تركيا . ومن هنا فإن الدور التقـــدمى يخلق بعض الصعوبات التى تتعلق بالديمقراطية ، وعلى حد قول تورجوت أوزال فإن "الجيش" هو المنبع لعدد من المواقف الخاصة فى تاريخ تركيا ([٢]) .

ثالثا : التيارات الإسلامية فى تركيا و حظر حجاب المرأة :

فى عام ١٩٩٧م نظمت القوى الإسلامية فى تركيا، عقب صلاة الجمعة، فى مدينة إســـتانبول مظاهرة ضد الحظر المفروض على غطاء الرأس للمرأة ؛ كما ظهرت حركة شعبية منظمة عرفت بما يسمى "دقيقة ظلام فى سبيل مستقبل وضاء" وقد قضت هذه الحركة، أن تطفأ فيها أنـــوار جميـــع المنازل فى تمام الساعة التاسعة كل يوم لمدة دقيقة واحدة، للاحتجاج على عجز السلطات الممسكة بزمام الحكم فى الكشف عن الفضائح السياسية والإجرامية ([٣]) .

([1]) U.S News and Uorld Report 16/3/1998 .

([2]) Hasan Cemil, a.g.e. s. 316 .

([3]) Gulnur Aybet, "The CFE Treaty: The Way Forward For Conventional Arms Control in Europe,"perceptions, vol. 1 (March – May 1996), esp. pp. 25-31,and Richard A. Falkenrath, "The CFE Flank Dispute: Waiting in The Wings," International Security, vol. 19 (Spring 1995), pp. 118 – 44 .

وفى عهد مسعود يلماظ، تم فرض قانون الزى فى الجامعات حيث تم منع الطالبات ذوات أغطية الرأس من الدخول إلى المدن الجامعية، أو إلى قاعات الامتحانات ([1]) إلا ان الأوساط الإسـلامية كانت تدافع صراحة عن هذه القضية ([2]).

وفى اجتماع مجلس الأمن التركى فى ٢٨ فبراير ١٩٩٧م قدم قادة الجيش عددًا من الإجراءات التى يجب على الحكومة تنفيذها ، وكان يرأس الحكومة آنذاك الزعيم الإسـلامى "نجـم الـدين أربكان" وقد قررت تنفيذ الإجراءات التالية :

- منع ارتداء زى يتعارض مع نص القانون .
- إحياء المادة (١٦٣) من قانون العقوبات التى تقضى بحظر وتجريم أى نشاط سياسى بـدافع دينى .
- تطبيق المادة ١٧٤ من الدستور والمتعلقة بعدم التعرض للإصلاحات التى اعتمدت فى ظـل الجمهورية .

ومما يذكر أنه فى بداية العام الدراسى ٩٧ / ٩٨ بدأت الجامعات والمدارس والمحاكم والمكاتب الحكومية فى تطبيق منع ارتداء الحجاب إلا أن هذه الأعمال قوبلـت بتظـاهرات واعتصـامات واشتباكات بين النساء الإسلاميات والعلمانيات المعتدلات ، والشرطة والعلمانيات المتشددات .

١- موقف نجم الدين أربكان من حجاب المرأة :

قام الزعيم الاسلامى الشهير "نجم الدين أربكان" عند توليه منصب رئيس وزراء تركيا عـام ١٩٩٧م، بدعوة رؤساء الجامعات التركية وطلب منهم ضرورة التعبير عن إجلالهم واحتـرامهم لكل امرأة ترتدى الحجاب، وكانت هذه الخطوة الجريئة تدخل ضمن التحديات القوية التى صوبها أربكان لنظام الدولة ونهجها العلمانى، الذى يرفض دخول الفتيات الجامعات وهن محجبات ([3]) .

وعندما تولى يلماظ رئاسة الحكومة أعلن أربكان فى مؤتمر صحفى عقده بمناسبة مرور مائة يوم على حكومة يلماظ : "إن يلماظ ضد توجهات وإرادة الشعب التركى الصابر" .

([1]) هاينتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، تعريب فاضل جنكر ، العبيكان ، واشنطن ، ٢٠٠١ ص٦٧ .

([2]) المرجع السابق ، ص١٢٧ .

([3]) هدى درويش ، إسلام متوازن يهتم بالجوهر لا بالشكل ، جريدة القاهرة ، العدد ، ١٤٥ ، ٢٠٠٣/١/٢١م .

وفى نوفمبر ١٩٩٧م، أعلن أربكان فى "قونيا" تضامنه وحزبه (حزب الرفاه) وجميع المسلمين الأتراك مع الطالبات المحجبات اللاتى يعترضن على الاعتداء على حجابهن، ودعوهن للسفور، وشارك معهم نواب الرفاه ورؤساء البلديات، إلى جانب بعض الشخصيات الأجنبية من ألمانيا والولايات المتحدة . معلنين سخطهم عن قمع حرية المحجبات التركيات([1]).

هذا وعندما أعلن أربكان عن احتمال حدوث ائتلاف بين حزب الرفاه، وحزب الوطن الأم قامت نساء حزب الوطن الأم بإرسال حجاب إلى زوجة يلماظ احتجاجا على ذلك([2]) .

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٩٧م، انعقد المؤتمر الخامس لحزب الملة التركى شارك فيه وفود حزب الرفاة وحزب الطريق الصحيح، ووفد من الطالبات المحجبات وخلال جلسات المؤتمر، رفعوا شعارات تضمنت معارضة حظر الحجاب جاء فيها "كسروا الأيدى التى تمتد إلى الحجاب" ([3]) .

وفى ١٢ يناير ١٩٩٨م، أصدرت وزارة التربية القومية أمراً يمنع الطالبات من ارتداء الحجاب، وإنهاء خدمات المدرسات المحجبات، وأيدت المحكمة الدستورية حظر الحجاب فى المدارس والجامعات ، وفى ٢٣ مارس ١٩٩٨م أصدر "يلماز" عددًا من الإجراءات منها : تعزيز العقوبات على مخالفى القوانين الخاصة بالزى فى المؤسسات الحكومية . وإنهاء خدمة المدرسات اللاتى لا يلتزمن بقانون موظفى الدولة الذى يلزم الموظفات بعدم لبس الحجاب أثناء تأدية عملهن الرسمى.

وفى اجتماع مجلس الأمن القومى التركى فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٩٨م، كان من بين الموضوعات الرئيسية التى نوقشت فى الاجتماع، مسألة "الحجاب" والتى أعرب العسكر فيها، عن رفضهم أى نقاش حول التساهل فى هذه المسألة .

٢- قضية حجاب مروه قاوقجى مع تركيا :

استطاع نجم الدين أربكان من خلال حزبه الرفاة أن يقوم بتوفير مكان محترم للنساء المسلمات حتى يتمكن من التأثير فى شؤون الحياة العامة فى تركيا؛ فقام بانتخاب بعض النساء لمناصب حزبية مرموقة، وتعيين مرشحات لانتخابات إبريل ١٩٩٩م البرلمانية، وقد فازت ثلاثة من النساء بثلاثة مقاعد فى البرلمان التركى، وهن الصحفية المحافظة "ناظلى ايليجاق" ، وأستاذة العلاقات الدولية

([1]) محمود السيد زعيم ، أقطاب الجمهورية يتصدون للتعليم الشرعى والحجبات، جريدة الحياة ١٩٩٨/١/٨) .

([2]) مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، رؤى مغايرة ، مايو ١٩٩٧م ، ص٣٣ .

([3]) رضا هلال ، مرجع سابق، ص٢١٥ .

بأنقرة "أويا آقغونج" ، ومهندسة الكمبيوتر النشطة "مروة قواقجى" التى اشتهرت بـ "قضية غطاء الرأس" التى أثارتها فى البرلمان التركى([1]).

وقد أدت قضية غطاء الرأس أو "التوربان" باللغة التركية إلى إغلاق حزب الفضيلة المنبثق من حزب الرفاه، فقد حدث – فى وقائع الجلسة الخاصة بأداء القسم من قبل النواب المنتخبين حديثاً، والتى عقدت فى مايو ١٩٩٩م فى الجلسة الافتتاحية للبرلمان التركى فى دورته الجديدة رقم ٥٧ – أن ظهرت النائبة "مروة قاوقجى"، وهى مغطية رأسها، حيث عقدت الدهشة لفترة من الوقت الأعضاء، الذين بلغ عددهم أربعمائة عضو، فأخذ البعض يصفق "استحسانا"، والبعض الآخر أخذ فى الطرق على المقاعد "استهجانا"، فقد كانت المرة الأولى التى تظهر فيها سيدة ترتدى الحجاب داخل قاعة البرلمان فى عصر الجمهورية ممثلة لحزب الفضيلة عن دائرة إستانبول، فأحدثت احتجاجًا شديدًا من قبل كتلة اليسار الديمقراطى (DSP) مما أدى إلى قطع الاجتماع، معلنين رفضهم دخولها بغطاء الرأس الذى يعد انتهاكًا لمبادئ أتاتورك، واتهموها بأنها حصلت على الجنسية الأمريكية دون إعلام السلطات التركية، فقامت السلطات التركية بسحب جنسيتها التركية، وأفقدوها تفويضها البرلمانى . وقد أعربت النائبة مروة عن إصرارها لأخذ حقوقها، وأكدت أنها ستعمل على استردادها ، وقد أصدر البرلمان قرارًا بحرمان قاوقجى من جميع مستحقاتها البرلمانية من معاش وسكن وخلافه([2]) .

وبموجب هذا الأمر، قدمت مروة استئنافا للمحكمة، للاحتفاظ بجنسيتها التركية وعضويتها فى البرلمان، إلا أنه رفض من قبل المحكمة العليا فى ١٩٩٩/٩/٢٠م ([3]) .

فأشارت عليها "ناظلى ايليجاق" صديقتها، ونائبة البرلمان أيضًا، بالزواج من "تركى" حتى تستطيع استعادة جنسيتها التى فقدتها، واستجابت مروة لهذا الرأى، وتم عقد قرانها من رجل الأعمال التركى "بكير يلدرم" بحضور "نجم الدين أربكان" وعدد من قادة حزب الفضيلة وكبار الشخصيات الاسلامية .

([1]) المرجع نفسه ، ص١٤٦ .

([2]) الحياة ، ١٩٩٩/٩/٢٣م .

([3]) الأهرام ، ١٩٩٩/٩/٢١م .

وقد تقدم رئيس الوزراء بولند أجاويد بمسودة لتعديل قانون حصول الاجنبيات على الجنسية التركية فور زواجهن من أتراك، وتأجيله لفترة ثلاث سنوات من تاريخ الزواج، حتى يسد الطريق أمام مروة قاوقجى من احتفاظها بالجنسية التركية .

وفى الوقت نفسه حدثت بعض عمليات ترهيب لمروة من جانب رجال الأمن التركى، الذين كانوا يذهبون الى مترلها فى ساعات متأخرة من الليل للقبض عليها، إلا أن مروة استنجدت بأعضاء حزب الفضيلة الذى تنتمى اليه، لحمايتها ، فقاموا بالاتصال بوزيرى العدل والداخلية من أجل منع رجال الأمن من اقتحام مترل مروة .

هذا وقد وصفت الدوائر السياسية والإعلامية هذا العمل بأنه "فضيحة قانونية" تشوه صورة تركيا أمام الاتحاد الأوروبى، الذى تسعى تركيا للانضمام إليه، ونتيجة لذلك اضطر رئيس البرلمان لإصدار بيان صرح فيه أن النائبة قاوقجى تتمتع بالحصانة السياسية.

وقد استنكر الرئيس "ديميريل"، ورئيس الوزراء "بولند أجاويد"، السابقين حادث اقتحام مترل مروه من قبل رجال الأمن ووصفوه بأنه "مؤسف" .

وقد نقلت وكالة أنباء الأناضول فى أكتوبر ١٩٩٩م، أن المدعى العام لدى محكمة التمييز التركية، طالب بحل حزب الفضيلة، وأعد قرار اتهام حزب الفضيلة الذى قدم للمحكمة الدستورية "ورال ساوس" بناء على المادتين ٦٨، ٦٩ من القانون الاساسى، اللتين تنصان على وقف برامج ونشاطات الأحزاب السياسية التى تتعارض مع الطابع الديمقراطى والعلمانى للدولة، حيث شبه حزب الفضيلة بأنه "ورم خبيث ينتشر" وأنه امتداد لحزب الرفاه المحظور نشاطه بقرار المحكمة فى يناير ١٩٩٨م بسبب نشاطاته المعادية للعلمانية .

وطالبت المحكمة بإغلاق حزب الفضيلة وطرد جميع نوابه المنتخبين من البرلمان([1]).

وفى أعقاب إثارة قضية النائبة المحجبة "مروة قاوقجى" والتى تعد رمزًا لقضية معارضة الحجاب فى تركيا، تم عقد اجتماع للمجلس القومى التركى، حيث انتهى الرأى إلى أن "الحجاب مرفوض"، وبهذا الشكل يكون المجلس قد وقع فى التناقض لأنه ليس من بين بنوده ما يفرض عدم تغطية

([1]) For details of the events see "Merve and Her Scarf Prompt Application for Fazilet Closure," Briefing 1241, May 10, 1999, pp. 3, 6-7, and "politicians 0, Justices1," Briefing 1242, May 17,1999, pp. 10-11 .

الرأس([1]) واستندوا إلى اللوائح الداخلية لمجلس الأمة التركى، التى تحدد القواعد العامة التى يجب على النائب أن يتحلى بها من حسن السير والسلوك والمظهر .

واستطاعت الداخلية التركية أن تجد وسيلة لاستبعاد مروة من المجلس وذلك من خلال إثـارة مسألة ازدواج الجنسية (الأمريكية والتركية)، وقام "ورال سواش" بفتح دعوى اغـلاق حـزب الفضيلة الذى تنتمى مروة إليه، وأرسل مذكرة دعوى تتكون من سبع صفحات إلى رئاسة المحكمة القانونية أوضح فيها : "أنه تحرك بناء على الفقرة الأخيرة من المادة ٢٤ التى تنظم "حرية الـدين والوجدان" والمادة الثانية من القانون المنظم لصفة الجمهورية ، والمادة ٦٨ التى لها صلة بالأحكام المتعلقة بالأحزاب السياسية ، والمواد ٦٩ التى تدخل فى الحكومات المتعلقة بالأسس التى سـتقام على أساسها الأحزاب السياسية ، بالإضافة إلى المواد ٧٨ ، ٨٦ ، ٨٧ من قانون الاحزاب ([2]).

ويعلق الدكتور "عبد العزيز عوض الله" فى كتابه "الحياة الحزبية فى تركيا الحديثة" أن الـبعض الذى تضامن مع "مروة قاوقجى"، تناول – فى هذا الخصوص – الإشارة إلى السيدة زبيدة والدة أتاتورك التى كانت ترتدى الحجاب ، وأشار البعض الآخرالى أمهات الشهداء الذين ماتوا خـلال الحرب مع الأكراد اللاتى كن يظهرن فى المناسبات الرسمية وغير الرسمية وهن يرتدين الحجاب ([3]).

هذا ويعتبر السياسيون والمسئولون الأتراك، أن مروه تعد رمزًا للصراع الذى يـدور حـول الإسلام السياسى فى تركيا، وهو شكل مرفوض فى النظام التركى، وذلك استنادًا منـهم علـى مقولات تفوهت بها مروة أثناء معارضتها، واحتجاجها على حظر حجابها، حيث قالت : "ان نضالنا فى سبيل الحرية والحقوق سيكون مماثلاً لنضال السود فى الولايات المتحدة، وعلينا نحن المسـلمين، أن نقاتل ضد الكيان الصهيونى فى أرض فلسطين، وهذا حق أو فى مناطق حرب أخرى" وقالـت أيضًا أن عقيدة الرفاة تتطلع إلى إعلان الجهاد فى صفوف المسلمين، ليس فى تركيا فقط ، وإنما فى العالم بأسره ولخير البشرية كلها" ([4]) .

([1]) عبد العزيز عوض الله ،الحياة الحزبية فى تركيا الحديثة ،مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ،العدد ٢٤، ٢٠٠٢م، ص١٣٦ .

([2]) Nokta, 9-15 Mayis 1999 (S.6) .

([3]) المرجع السابق ،ص١٣٦ .

جريدة الحياة ١٩٩٩/١٠/٢٠م، و ١٩٩٩/١٠/٣٠م، و جريدة الاهرام ١٩٩٩/١٠/٣٠م

([4]) نماذج من حديث فى قناة الجزيرة فى تاريخ ١٩٩٩/٥/١٨م بين الدكتور فيصل القاسم (مقدم الحلقة)، ورسول طوسون كاتب ومرشح حزب الفضيلة التركى ، وفائق بولوط خبير فى الإسلام السياسى وشـئون الشـرق الأوسـط .

ويعلق أحد المفكرين الأتراك المدافعين عن الحجاب، بقوله: "إن غطاء الرأس فى حد ذاته، يمثل قيمة رمزية إلى جانب أنه ظاهرة اجتماعية" و: ان المرأة التى تضع الايشارب على رأسها، يعنى أنه شهادة على إسلامها " والمسلم هو ذلك الذى يسلم الأمر لله وليس لأحد غيره . وعلى ذلك فإن من تتعرض للضغط من أجل إزالة هذا الحجاب تدافع عنه بكل ما تملك([1]).

ويمكن القول بأن حزب الفضيلة ليس هو الحزب الوحيد الذى قام بترشيح عدد من السيدات المحجبات من أمثال الصحفية "نازلى إيلى جق" Nazli Ilicak ، والأستاذة الجامعية "أويـه آق جونتج" Oya Akgonena بل استخدمت بعض الأحـزاب الأخـرى هـذه الورقـة مثـل حزب: Dyp MHP ANAP فقد قدم هذا الحزب MHP عددًا من المحجبـات للترشـيح فى الانتخابات ، ولكن كان من المعروف أنه لدى دخولهن قاعة المجلس فإنهن سيظهرن بشعورهن ([2]).

٣- عهد أردوغان وحجاب المرأة :

يرى "رجب طيب أردوغان" رئيس بلدية إستانبول السابق، ورئيس وزراء تركيـا الحـالى، ورئيس حزب العدالة والتنمية التركى الحالى، وأحد ممثلى الجيل الحديث فى تركيا، فى شأن حجاب المرأة أن النساء لا يستطعن شغل مناصب عامة مهمة ؛ لأن ذلك يتناقض مع طبيعتهن. وهو مـن مؤيدى حجاب المرأة وزوجته ترتدى الحجاب .

إلا أنه مع توليه حزب العدالة والتنمية، ورئاسة الوزراء، وجد الحزب أنه أصبح محاصرًا مـن رباعى حراس العلمانية فى تركيا ، وهم: الجيش، والقضاء، ورئيس الدولة "أحمد نجدت سـيزر" ، وحزب الشعب الجمهورى؛ حيث رأى أنه من الأفضل فى ذلك الوقت ، عدم إثارة قضـية رفـع الحظر عن الحجاب.

ومما هو جدير بالذكر ، فإن الحزب خلال الحملة الانتخابية التى سبقت توليه الوزارة، كان قد أعلن عن رغبته فى رفع الحظر عن الحجاب فى الجامعات والمصالح الحكومية، باعتباره انتهاكًا لحقوق الانسان، وضد مفهوم الإصلاح الديمقراطى . وكان لهذه الرغبة أثر كبير فى انتخاب حزب العدالة

([1]) Cafer Tayyar : Dokunmayin Bacima, s. 33 Islamoğlu Yayincilik ve Dağitim . Istanbul, 1986 , a.g.e., s 35 .

والحجاب ليس مجرمًا من الناحية القانونية بل انه حق يحمية القانون بشكل خاص .

([2]) Abdul Kadir Karahan : Esk: Tarih Edebiyati .

لرئاسة الدولة من قبل الشعب ذو الغالبية المسلمة، ويرى رجب طيب أردوغان أن الحجاب ليس إلا غطاء للرأس، وليس رمزًا للإسلام السياسى كما يراه العلمانيون.

وردا على سؤال أحد الصحفيين بشأن الحجاب قال أردوغان : "لماذا يسمح لمن تكشف جزءًا من بطنها بدخول الجامعة ولا يكون من حق المحجبة أن تكون زميلة لها فى مقاعد الدراسة" ؟

والجدير بالذكر ان زوجة "بولنت ارنج" رئيس البرلمان الحالى محجبة، وكذلك زوجة "عبدالله جول" وزير خارجية تركيا الحالى ، وزوجة نائب المحكمة الدستورية محجبة، وزوجة عمدة استانبول أيضًا محجبة، بالإضافة إلى نصف عدد الوزراء الحاليين تقريبًا فان زوجاتهم ، محجبات !!.

وقد أثارت زوجة "أرنج" أزمة خطيرة عندما ذهبت لتوديع رئيس الجمهورية "أحمد نجدت سيزر" وقرينته وهما فى طريقهما إلى زيارة "تشيكيا" فى ٢٠/١١/٢٠٠٢م، فقد ظهرت زوجة أرنج محجبة ،فكانت سببًا فى حدوث عاصفة احتجاجية من قبل القوى العلمانية فى الدولة ، حيث عدوا هذا الأمر تطرفاً، وعدوه أيضًا نهجًا أربكانيًا جديدًا ضد المبادئ الأتاتوركية ، يكشف عن هوية هذا الحزب الذى يتخذ السلوك الإسلامى .

وقد وصفت صحيفة "جمهوريت" التركية وجود سيدة محجبة فى احتفال رسمى أنه "إهانة وتحد لقيم الجمهورية" .

وتصدت صحيفة حريت لهذا الأمر بعنوان رئيسى جاء فيه "الحجاب يغطى رأس الدولة التركية" واختارت صحيفة "ملليت الليبرالية" عنوانًا فى هذا الشأن جاء فيه "الحجاب فى بروتوكول الدولة" ([1]) .

هذا وتتعرض الطالبات اللاتى تقمن بالتظاهر للدفاع عن حقهن فى ارتداء الحجاب إلى المحاكمة والسجن ، وهو ما حدث فى "ملاطيا" حيث قررت محكمة أمن الدولة، حبس ثلاث طالبات بتهمة التظاهر غير القانونى ضد قرار جامعة "إينونو" بملاطيا بحظر الحجاب .

كذلك قامت محكمة النقض فى "أنقرة" بتصديق قرار مماثل لقرار "ملاطيا" ضد طالبة تدعى "هدى قايا" حيث وجهت إليها تهمة المشاركة فى تظاهرة سلمية للطالبات المحجبات أمام جامعة "إينونو" بملاطيا وأمرت بحبسها ثلاث سنوات وتسعة أشهر .

([1]) انظر عبدالعزيز عوض الله ، حزب العدالة والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص١١٣ .

وكانت "هدى قايا" قد انتقدت فى عدة مقالات لها قرار منع الحجاب فى المدارس والجامعات التركية، ودافعت عن حق المرأة التركية فى القيام بعملها وهى مرتدية الحجاب([1]).

وإلى جانب ذلك يتم القبض على الطلاب الذين يعارضون منع حجاب الطالبات الجامعيات فقد قامت الشرطة التركية بالقبض على ١٩ طالبًا من جامعة مرمرة لاحتجاجهم على حظر حجاب الطالبات وذلك يوم ١٩٩٩/١٠/٢٨م .

ويتصور نائب رئيس الوزراء "محمد على شاهين" إمكانية حل مشكلة عدم السماح للطالبات المحجبات دخول الجامعات عن طريق تغيير المادة ٤٢ من الدستور التركى والتى تنص على "أنه لا يمكن حرمان أى فرد من حقه فى التعليم وأن التربية والتعليم مكفولان بموجب مبادئ أتاتورك" .

إلا أن الحكومة تقرر أن تمكين المحجبات من دخول الجامعات والعمل فى الدوائر الحكومية، يتعارض مع أحكام المحكمة الدستورية، ويعنى التنازل على المبادئ العلمانية الأساسية للجمهورية .

ومن ناحية أخرى أصدرت المؤسسة العسكرية وعلى رأسها رئيس الأركان الجنرال "حلمى أوزتورك" فى أول اجتماع لمجلس الأمن القومى تحذيرًا من إثارة قضية الحجاب والسعى لرفع الحظر عن المحجبات ، كما أعلنوا رفضهم لظهور الحجاب فى البرتوكول الرسمى ، إثر حضور زوجة رئيس البرلمان المحجبة مراسم وداع سيزر، واعتبروا القضية غير قابلة للنقاش ، وأكدوا أن النقاش فى هذا الامر يعتبر رمزًا للتمرد ضد الطابع العلمانى للدولة التركية . ويستندون على المادة رقم ١٧٤ من الدستور التركى الذى يلزم بعدم التعرض للإصلاحات التى اعتمدت فى ظل الجمهورية التركية منذ تأسيسها عام ١٩٢٣م . إلى جانب المادة رقم ٣٥ من اللائحة الداخلية للقوات المسلحة التركية التى تقضى أنه من واجب القوات المسلحة حماية وحراسة الحدود التركية، اضافة إلى حماية التعاليم التى قامت عليها الجمهورية .

وعلى الرغم من النداءات بحقوق الإنسان، فقد أعلنت المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان بصدد دعوى أقامتها طالبة تدعى "ليلى شاهين" ضد تركيا بسبب منعها من دخول الجامعة لارتدائها الحجاب، حيث قضت المحكمة حكمها لصالح تركيا، باعتباره قاعدة مشروعة خاصة بتركيا، وقد أثار هذا الحكم من قبل المحكمة الأوربية موجة من الاستياء، لأن المحكمة الأوربية لم تصدر القرار فى إطار مبادئ الحقوق الأوربية وقيمها المشتركة ([2]) .

([1]) المرجع السابق، ص١١٤ .

([2]) جريدة المجتمع الإسلامى ، عدد ١٦١١ ، تاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م .

ومما يذكر فإن قانون منع دخول المحجبات الجامعات التركية منذ عام ١٩٨٧م، قامت بتنفيذه ٨٢ جامعة تركية وتم التراجع عنه عام ١٩٩١م ([١]) .

وتذكر الأرقام أنه منذ ٢٨ فبراير ١٩٩٧م تم فصل أربعين ألف طالبة بسبب ارتدائهن الحجاب، كما تعرضت مئات الموظفات للفصل من أعمالهن أو الإجبار على الاستقالة بسبب ارتدائهن الحجاب، إلى جانب عرقلة حصول المحجبة على جواز للسفر، كما عملت الحكومة التركية على مطاردة المحجبات خارج تركيا حيث طلبت من الحكومة الألمانية منع الطالبات التركيات ارتداء الحجاب فى الثمانينات، لكن ألمانيا رفضت هذا الطلب إيمانا منها بمبادئها العلمانية!! ([٢]) .

وتذكر الدراسات فى شأن حجاب المرأة فى تركيا أن نسبة ٨٠% من المجتمع ترغب فى تشريع الحجاب .

وأعرب عبدالله جول نائب رئيس وزراء تركيا، ووزير الخارجية التركية، عن استيائه من توسيع الحظر على الحجاب، وتخوفه من امتداد الحظر إلى المستشفيات والحافلات العامة بحجة أنها أماكن عامة مثلها مثل المؤسسات الحكومية والمدارس والجامعات، وصرح فى صحيفة "بوستا" فى ٢٠٠٣/١١/١٠م متسائلاً : كيف يمكن أن نشهد هذه الأجواء بينما نتقدم فى مجال الحريات ([٣]).

وتجنبًا لمعارضة القوى العلمانية فى الدولة ، والدخول فى حرب ضدهم من أجل الحجاب ، اضطر أردوغان لإبداء غضبه من إثارة قضية الحجاب، ودعا للتوجه نحو أولويات أخرى للحزب، وأهمها معالجة المشاكل الاقتصادية للبلاد.

وبسبب هذا الموقف واجه أردوغان ، احتجاج بعض طلاب مدارس الأئمة والخطباء، واعتبروه تراخيًا منه فى حل هذه المشكلة الحساسة، بينما يؤكد "أردوغان" أن حزب العدالة والتنمية، يهتم بمبدأ فصل الدين عن الدولة، وأنه ليس حزبًا إسلاميًا قائمًا على الدين، حتى أنه عند إعلان فوز حزبه بأغلبية الأصوات، رفض الهتافات الدينية بالفوز، مثل "الله أكبر" حتى لا يضفى على الحزب أى صبغة دينية([٤]) .

([١]) مجلة البيان ، عدد ٣٦ ، ص٦٣ .

([٢]) المختار الإسلامى ، نوفمبر ١٩٨٧م .

([٣]) الأهرام المصرية ، ٢٠٠٣/١١/١١م .

([٤]) جريدة زمان التركية ، عدد ١٣٦٦ – ٢٠٠٢/١١/١٦م .

ولشدة حساسية هذا الأمر فيمكن القول أن موقف أردوغان تجاه الحجاب ينم عن حدة ذكاء أردوغان، وقدرته على إدارة السياسة فى الحزب، ومسئوليته فى إمساك زمام حكم دولة علمانيـــة التوجه .

وفى الوقت نفسه قام حزب العدالة والتنمية بترشيح ١٢ سيدة غير محجبة فى الانتخابات دخلن دون ضجة تناظر تلك التى ظهرت بها النائبة" مروة قاوقجى" عام ١٩٩٥م والتى أحدثت صـــدام كبير بين الجيش وحكومة أربكان والتى انتهت بسقوط حكومته .

ومن ناحية أخرى قام أردوغان بإرسال بناته المحجبات للدراسة فى جامعات أمريكيـــة بســـبب الحظر المفروض فى تركيا ، وهذا أمر لافت للنظر !!

هذا وقد سعى أردوغان لمحاولة حل هذه المشكلة باقتراح السماح للطالبات بارتداء الحجـــاب فى الجامعات الخاصة، إلا أن رئيس مؤسسة التعليم العالى، رفض هذا الطلب، باعتبار أن الجامعات الخاصة مرتبطة ببنود الدستور التركى .

ومن ناحية أخرى فقد تعرضت زوجة "عبدالله جول" نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، إلى حرماها من مواصلة دراساها العليا فى تركيا بسبب حجاها .

ولهذا فإن الفتيات التركيات المحجبات، يلجأن الى الالتحاق بجامعات خارج تركيا مثل المجـــر والنمسا وألمانيا وهولندا للدراسة والحصول على شهادات، وأخذ حريتهن فى ارتداء الحجاب دون مضايقات. والغرب ينادى ليلاً ونهارًا بحقوق الانسان وضرورة تكريمه وحريـــة اختيـــار عقيدتـــه واحترام ديانته وثقافته . وعلى الرغم من هذا فقد قام المجلس الأعلى للتعليم فى تركيا بإصدار قرار بعدم إجازة الشهادات الممنوحة خارج تركيا إلا إذا اجتاز الطالب امتحان آخر للقبول فى تركيـــا لدى عودته إليها ، الأمر الذى يتطلب من الطالبة أن تخلع حجاها مرة أخرى حتى تســـتطيع أداء الامتحان.

ومما يذكر فالحجاب مسموح به فى الهوية التركية أما بطاقة الجامعة فيجب أن توضع الصـــورة بدون حجاب .

والجدير بالذكر أنه خلال لقاء بين "بلقيس قلييج قايا" الصحفية بجريدة الوطن التركية والمحامية الإيرانية "شيرين عبادى" الإيرانية الأصل والتى نالت جائزة نوبل للسلام ، فقد ذكرت "شـــيرين عبادى" أن من أسباب حصولها على هذه الجائزة، هو عملها فى مجال حقوق الانسان . وفى جواها

على مسألة حظر الحجاب فى تركيا، أعربت عن معارضتها للأشياء المحذورة، وأن كل إنسان لـــه الحق فى اختيار ما يرتديه، وأن قرار ارتداء الحجاب للنساء يجب ان يرجع اليهن(١) .

وجدير بالذكر أن "شيرين عبادى" التى تعد أول سيدة تفوز بهذه الجـائزة الرفيعـة ترتــدى الحجاب فى إيران لأنه إجبارى بينما تخلعه خارج بلادها ، وبهذا نالت إعجاب الغرب رغما عــن استياء مجتمعها المحافظ وخاصة النساء (٢) .

وتشير التقديرات أن ٨٠% من الأتراك يؤيدون رفع الحظر عن الحجاب ، بينما تتجاهل النخبة العلمانية فى تركيا هذا الأمر (٣) .

ويمكن القول أنه منذ تم فرض السفور عام ١٩٢٦م، ومع إصدار حاكم طرابـــزون حكمـــه بالقبض على كل من ترتدى النقاب، وحتى مجيء حكومة يلماظ عام ١٩٩٧م ، فإن الحجاب ظل رمزًا لإسلام المجتمع التركى لمواجهة علمانية الدولة. ومن منظور العلمانيين فحظر الحجاب، هـــو رمز حرية المرأة وتكريمها، والإسلاميات التركيات ترى فى الحجاب رمز الإسلام والحريـــة معًـــا، ودفاعهن عن الحجاب دفاع عن حريتهن فى ارتداء ما يشاءون، ولا يسعنا هنا فى هذا المقام سوى الاستشهاد برد أردوغان البليغ فى هذا الشأن وهو : لماذا نسمح للمرأة أن ترتدى ملابس قصيرة وخليعة ولا نسمح لها ان ترتدى غطاء لرأسها ؟ .

كما أنه من الأخطاء التى ترتكب فى تركيا، اعتبار مسألة الحجاب أو غطاء الرأس، قضية تدخل فى سياسة الدولة؛ فالجيش والعلمانيون يعتبرون ارتداء الحجاب مظهر تحد للعلمانية التى تنتـــهجها الدولة، ومظهرًا لأسلمة المجتمع، ومن ناحية أخرى فإن الأحزاب الدينية فى تركيا وخاصة الرفاه، اتخذ قضية الحجاب وسيلة لمحاربة العلمانيين والجيش، باعتبار أن الحجاب يعد فى حد ذاته مظهـــراً وشكلاً من أشكال الديمقراطية التى تنادى بها تركيا، إضافة إلى أنه مطلب وحق انسانى .

---

(١) جريدة يني آسيا التركية ، ٢٠٠٣/١٠/١٣ .

(٢) انظر عبده مباشر حرية الغرب والحوار، الأهرام ، ٢٠٠٣/١١/١٦ . واجهت شيرين عبادى معارضة قويـــة من الإيرانيات المتشددات اللاتى قمن بمنعها من إلقاء محاضرة فى إيران عن حقوق المرأة والطفل ، وأعلنوا أنها أحد العناصر الصهيونية، وأن جائزتها يرعاها تجار السلاح الأمريكيون (الحياة ، ٢٠٠٣/١٢/٤) .

(٣) عبدالحليم غزالى ، رسالة أنقرة ، مقال الحجاب قضـــية مؤجلـــة فى تركيـــا بـــأمر العســـكر ، الأهـــرام ، ٢٠٠٢/١٢/٥م .

ومن الأمور التى أثارت جدلاً واسعًا فى تركيا حول الحجاب، قرار الرئيس التركى "أحمد نجدت سيزر" باستبعاد زوجات نواب حزب العدالة والتنمية من الحفل الذى يقام سنويًا فى أكتوبر من كل عام بمناسبة ذكرى إنشاء الجمهورية التركية، حيث قام نواب الحزب بتصعيد احتجاجهم على قرار رئيس الجمهورية الصادر فى أكتوبر ٢٠٠٣م، ووصفه "صالح كاسوز" نائب رئيس الكتلة البرلمانية لحزب العدالة بأنه "تمييز صارخ فى يوم وطنى" وأنه "عمل غير لائق وغير مقبول" ، فى الوقت الذى دعا فيه سيزر زوجات نواب حزب الشعب الجمهورى المعارض . وطلب كاسوز توضيحًا من رئيس الجمهورية يفسر فيه الأسباب التى أدت به لإصدار هذا القرار .

وفى الوقت نفسه أعلن نواب آخرون فى حزب العدالة، بمقاطعتهم لهذه المناسبة، بينما أعلن آخرون أنهم سيذهبون للحفل بمرافقة زوجاتهم المحجبات على الرغم من منعهن بهدف تفجير الأزمة. أما أردوغان رئيس الوزراء فقد قرر الذهاب دون اصطحاب زوجته المحجبة لتجنب تصاعد الأزمة، وأعلن أنه يترك القضية للشعب للفصل فيها ، بينما قررت ٣٢ منظمة نسائية نقل القضية إلى الأمم المتحدة باعتبار هذا الأمر يعنى انتهاكًا لبنود الاتفاقية الدولية لمنع جميع أنواع التمييز ضد النساء ([1]) .

وتعليقاً على هذا الموضوع كتبت "نعمت شبكشى" النائبة فى حزب العدالة والتنمية قائلة : إن احتفالات عيدنا الوطنى هى احتفالات لكل مواطن ، ومثل هذا التمييز يظهر عدم الاحترام تجاه الشعب الذى انتخب هؤلاء النواب وكتب عدد من المعلقين الصحفيين : إن علمانيين مثل "سيزر" رجعيون وغير ديمقراطيين فى بلد غالبية نسائه يرتدين الحجاب .

وأضاف الكاتب محمد أوقاقطان بصحيفة ينى شفق : إن "سيزر" ينظر إلى النساء كمواطنين من الدرجة الثانية .

وعلى الرغم من الاحتجاجات التى سببها قرار الرئيس سيزر باستبعاد المحجبات من حفل ذكرى إنشاء الجمهورية التركية جدد الرئيس سيزر معارضته لدعوة النساء المحجبات بقرار آخر أصدره بعدم دعوة النساء المحجبات إلى حفل الاستقبال الذى نظمه بمناسبة تأسيس دولة تركيا

([1]) عبدالحليم غزالى مراسل الأهرام فى تركيا ، جريدة الأهرام ٢٠٠٣/١٠/٢٣ نقلاً عن صحيفتى ملليت وزمان التركيتين .

الحديثة وشطب زوجات نواب حزب العدالة والتنمية من قائمة الدعوات وتلك هى المرة الثانية التى يمنعن فيها من دخول القصر الرئاسى بسبب لباسهن .

وقد ذكرت المصادر فى أنقرة ان غالبية نواب حزب العدالة سوف يقاطعون الاحتفال بمناسبة الذكرى ٨١ لتأسيس الجمهورية وقد تزامن هذا القرار فى الوقت الذى سافرت فيه زوجة أردوغان لتحضر حفل توقيع الدستور الأوربى الجديد بايطاليا وهى ترتدى الحجاب !! .

ومما يذكر ان المحجبات كان يسمح لهن حضور حفلات الاستقبال فى القصر الرئاسى حتى فوز حزب العدالة والتنمية حيث تغير الحال وأصبحت المحجبات يحظر دعوتهن فى تلك الاحتفالات الرسمية للدولة ([1]) .

٤- موقف الصحف الإسلامية التركية من حظر الحجاب :

تقوم الصحف الإسلامية التركية بحملات معارضة مستمرة لحظر الحجاب فى تركيا أمثال جريدة زمان ، ومللى غازته ، وفرقان وغيرها وتعمل الشرطة التركية على قمع تلك المواجهات ومثال على هذا فقد داهمت الشرطة مقر صحيفة "عقد" التركية واسعة الانتشار ، وتم القبض على صاحبها وابنه ، كما داهمت الشرطة مجلة "فرقان" وألقت القبض على تسعة صحفيين وكذلك "ميلى غازته" وهى صحف ذات توجه إسلامى تؤيد حق ارتداء الحجاب فى الدراسة والعمل وتعترض على الأحكام التى تصدر بدون محاكمة . حيث وجهت السلطات التركية إلى هذه الصحف تهمة التحريض على الكراهية .

كما انتقدت جريدة "ميللى غازته" التركية فى ٢٠٠٢/١١/٢٥م تصريحات "سيزر"، ووصفتها بالتناقض خاصة بعد تصديق البرلمان التركى فى أغسطس ٢٠٠٢م على تعديلات قانونية لتأهيل تركيا للانضمام للاتحاد الأوربى من بينها السماح بحق التظاهر السلمى بدون إذن السلطات .

هذا وقد انتقدت صحيفة "صباح" التركية فى ٢٠٠٤/٦/٢٩م موقف "سيزر"، تجاه زوجة "رجب طيب أردوغان" فى عدم توجيه رئيس الجمهورية الدعوة إليها فى حفل العشاء الذى أقيم فى إستانبول على شرف ضيوف قمة حلف الأطلنطى "ناتو" بسبب ارتدائها الحجاب وكذلك زوجة "عبدالله جول" وزير الخارجية .

([1]) WWW.prohijab.net Turkey. Htm .

وفى المقابل رفض رئيس الجمهورية دعوة "رجب طيب أردوغان" رئـيس الـوزراء وزوجتـه لحضور حفل العشاء الذى أقامه فى قصر "دولما بغجه" بإستانبول، بينما لم يعلق أردوغان على رفض دعوته تجنبًا للدخول فى أى مشاكل حساسة، وهى سياسة حكيمة يتبعها أردوغان لا تقلـل مـن حماله الجادة من أجل حكومته .

من ناحية أخرى، فقد تناولت الصحف الإسلامية هذه القضية، مؤكدة أن اتـاتورك لم يمنـع الحجاب، بدليل ظهوره مع زوجته لطيفة هانم وهى ترتدى الحجاب. مشيرة الى أن دستور الدولة يقضى بحرية كل شخص فى معتقده، بالاضافة الى مبادئ ميثاق حقوق الانسان.

وفى استطلاع للرأى العام فى تركيا بخصوص مشاركة المحجبات فى مراسم الدولة نشرت جريدة "ملليت" دراسة بعنوان : "مشكلة الحجاب فى الحفلات الرسمية" جاء فيها أن نسبة ٥٦% مـن المشاركين فى هذا الاستطلاع الميدانى وافقوا على مشاركة المحجبات فى مراسم الدولة بينما رفض ٤٤% مشاركتهم ([1]) .

وعلى الرغم من هذا فقد أكد المسؤولون الأتراك أنه لن يتم أى تعديل مستقبلى فى هذه القضية حيث أعرب رئيس المحكمة الدستورية التركية "مصطفى بومين" أنه من المستحيل اجراء أى تعديل قانونى يسمح للفتيات بارتداء الحجاب فى مؤسسات التعليم فى تركيا لأنها تتعارض مـع أحكـام الدستور العلمانى ([2]) .

والمسئولون فى تركيا يعتبرون قضية الحجاب فى تركيا قضية سياسية فى المقام الأول وأنها تدخل ضمن الصراع على السلطة فى تركيا ، وهى طرف فاعل فى الصراع بين المسلمين والعلمانيين .

وقد ظهرت قضية الحجاب فى تركيا كرمز للحيرة التى تقع فيها تركيا ووقوعها بـين قـوتين تتأرجح بينهما ، وهما قوة الإسلام الذى يدين به شعبها ويتمسك به وقوة النظام العلمانى المنجذب للغرب .

وفى الوقت نفسه لابد من الوضع فى الاعتبار الدور المحورى والإقليمى المؤثر لتركيا فى منطقـة الشرق الأوسط، ودورها القوى فى جمهوريات آسيا الوسطى، إلى جانب عضويتها فى حلف شمال الأطلسى، وعلاقتها الوثيقة بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن ناحية أخـرى هيمنـة المؤسسـة

([1]) عبدالعزيز عوض الله ، حزب العدالة والتنمية ، مرجع سابق ، ص١١٧ ، ١١٨ .

([2]) WWW.almujtamaa-mag.com رقم العدد ١٦٥٠ تاريخ ٢٠٠٥/٥/٧

العسكرية التركية على النظام العلمانى، ولكل هذا فإن تركيا تقع تحت ضغوط عالية الكثافة بين الإسلام المتجذر فى شعبها واتجاهها العلمانى .

وعلى الرغم من الهجمة الشرسة فى تركيا لمنع الحجاب، والتى بدأت منذ أتاتورك ومستمرة حتى وقتنا الحالى، ولا ننسى أن حروب التحرير ضد قوات الاحتلال فى تركيا بعد الحرب العالمية الأولى والتى انطلقت شرارتها نتيجة لاعتداء جنود فرنسيين على حجاب فتاة تركية مسلمة فى "مرعش" . إلا أنه تبدو بوادر تفاؤل تجاه الإسلام فى تركيا حديثًا، حيث ، ذكرت صحيفة "راديكال" التركية ان السلطات التركية، تعد تعديلات تشريعية من شأنها السماح للنساء للعمل مساعدات للمفتى، وهو منصب دينى مهم ، وفى بادرة طيبة سمحت تركيا بإنشاء قناة إسلامية تابعة للدولة بظهور مذيعات النشرات الإخبارية، وهن مرتديات الحجاب الأمر الذى لا تسمح به بعض الدول العربية الإسلامية !! ([1]) .

كما أنه يوجد فى تركيا أكثر من ٨٠ ألف مسجد يقع تحت سلطة وزارة الأوقاف الدينية التى تبلغ ميزانيتها أضعاف ميزانية وزارات أخرى كالثقافة والإسكان وغيرها وهذا فى حد ذاته نقطة ايجابية فى اهتمام تركيا بشئون المسلمين ، والإسلام فى تركيا له مكانته الكبرى، نظرًا لأنه دين الغالبية من الشعب التركى .

ومن الخطوات الإيجابية التى اتخذتها تركيا أيضًا تجاه الإسلام، أنها سمحت للهيئة العليا للراديو والتليفزيون (Rtuk) بمعاقبة وسائل الإعلام وإيقاف محطات الراديو والتليفزيون التى تبث برامج بها إثارة جنسية أو مظاهر عنف .

رابعا : موقف المصلحين الإسلاميين الأتراك من حجاب المرأة :

إن سفور المرأة التى نادى بها أتاتورك بهدف تحديث تركيا وتشدد فى دعوته إليها باعتبارها دعوة لاصلاح المرأة وتطويرها من أهم القضايا التى تثار فى تركيا حديثًا وتبرز بشكل كبير على الرغم من أن الشريعة الإسلامية تعدها قضية محسومه طبقاً لما ورد فى القرآن فى كونها فرض على كل مسلمة مؤمنة، ومن هنا فإنه يجدر بنا أن نورد ردود أفعال المصلحين الإسلاميين الأتراك فى شان ضرورة إلزام المرأة بالحجاب الشرعى .

([1]) صحيفة المدينة ، ٢٣/٦/٢٠٠٤م ، عدد ١٥٠٦٦ .

١- الشيخ عاطف الأسكليبى ودعوته للمرأة بالتزام الحجاب :

الشيخ عاطف الأسكليبى عالم وفقيه ومتصوف، ينتسب إلى الطريقة النقشبندية، وهو من أبرز علماء الدولة العثمانية ، عمل فى خدمة الإسلام طوال حياته فكان مجاهدًا بلسانه وقلمه . وكان فى حياته مقصدًا للمسلمين الوافدين إلى الدولة من مختلف أنحاء العالم يستفتونه فى أمور دينهم ([1]) .

ولد عام ١٨٧٦م بقرية طوبخانه من أعمال أسكليب بتركيا، نشأ فى تركيا فى عهد تحول الدولة العثمانية من الخلافة الإسلامية إلى الجمهورية التركية العلمانية فأعلن الجهاد من أجل الإسلام والحفاظ عليه ، وبدأ بدعوته الإسلامية الفكرية حيث كتب العديد من المؤلفات التى نادى فيها بالبعد عن الإلحاد والتقليد الأعمى للغرب وهاجم فكرة القضاء على الخلافة الإسلامية ودعا إلى التمسك بالشريعة الإسلامية . وأعلن الحرب على قانون الزى والقبعة وذلك من خلال رسالته التى كتبها بعنوان "تقليد الفرنجة والقبعة " وهاجم سفور المرأة الذى دعا إليه أتاتورك ([2]) .

مارس الشيخ عاطف الأسكليبى دعوته من خلال مقالاته الدينية فى مجلتى "بيان الحق" و"صراط مستقيم" أشهر المجلات الإسلامية فى الدولة العثمانية واستهدفت دعوته الثورة على الظلم والتصدى لحركة التغريب فى الدولة .

عمل فى التدريس وأصبح مفتشًا على المدارس وقام بتأسيس جمعية المدرسين عام ١٩٢٠م فالتف حوله الكثيرون من طلاب العلم للتزود من علومه .

ومن أشهر مؤلفاته : مرآة الإسلام ، وطريق الإسلام ، الحجاب الشرعى ، حضارة الشريعة ، تقليد الفرنجة والقبعة، وهو الكتاب الذى تسبب فى الحكم بإعدامه وكان ذلك عام ١٩٢٦م .

يقول الشيخ عاطف فى كتابه عن "تستر المرأة المسلمة" تحت عنوان "التستر الشرعى : " إن المرأة مجبرة على الاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأطفال وتلك هى أهم وظائفها الأساسية ، وضمان سعادة الأسرة فى إطار العفة والشرف ومنع زيادة سوء الخلق ومنع الفواحش . لذلك يجب منع الذين يعملون على الإخلال بهذا والذين لا يرعون الحجاب ، ومن يبدى تسامحًا أو إهمالاً فهو مسئول أمام الله ، لأنه لم يوف بواجباته الشرعية ويستحق العذاب الإلهى والجزاء السيئ ([3]) .

([1]) انظر محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة . دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص٣٣١ .

([2]) هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص١٤٤

([3]) محمد عاطف أفندى ، التستر الشرعى، ١-١٦ ، إستانبول ، ١٩٢٦م – (باللغة التركية) .

ويرى الشيخ عاطف أن الدعوة لا تقتصر على رجال الدين أو الدعاة فحسب ، بل إن كل المؤمنين يعدون دعاة ، كلٌ بحسب علمه . وظل يدافع عن الدين أمام كل من يحاول تعطيل حكمه وإزالة شعائره" حتى وقت إعدامه وانتهت حياته إلا أن أعماله ظلت باقية فى وجدان الحركات الإسلامية التى جاءت من بعده.

٢- الإمام سعيد النورسى وآراؤه فى حجاب المرأة :

يعد الشيخ سعيد النورسى من كبار رجال الدعوة الإسلامية فى تركيا وهو مؤلف سلسلة رسائل النور التى تتألف من ١٣ رسالة والتى تناولت مختلف المشاكل الروحية والنفسية والعقلية وتنطلق من القرآن وتفسيره حيث بث من خلالها العقيدة الإسلامية الصحيحة ، فكان لها أثرها العظيم فى نفوس الشباب والفتيات والمجتمع التركى المسلم بأكمله وكان يعالج القضايا الإسلامية بروح العصر الحديث . ومن خلال كلمات الشيخ سعيد النورسى ورؤيته لحجاب المرأة المسلمة يقول :

"إن الحجاب أمر فطرى للنساء ، تقتضيه فطرتهن ، ورفع المدنية السفيهة الحجاب وإفساحها المجال للتبرج ، يناقض الفطرة الانسانية ، وإن أمر القرآن الكريم بالحجاب – فضلاً عن كونه فطريًّا يصون النساء من المهانة والسقوط ومن الرذيلة . ويؤكد الإمام النورسى أن أعظم خصال المرأة الوفاء والثقة، وتبرجها وتكشفها يفسد هذا الوفاء .

ويؤكد الإمام الشيخ سعيد النورسى إن التبرج وعدم الحجاب يثير هوى النفس ويطلق الشهوات من عقالها ويؤدى حتمًا إلى الإفراط وتجاوز الحدود . ويتحدث الشيخ النورسى عن النساء السافرات التى تكشف عن أجسامهن بقوله : إن فى عصرنا هذا، لدى تصدى ضلالة الزندقة للإسلام وحربها معه فإن أرهب فرقة من الفرق المغيرة على الإسلام والتى تسير وفق مخطط النفس الأمارة بالسوء ، وسلمت قيادها وإمرتها إلى الشيطان ، هى طائفة من النساء الكاسيات العاريات اللائى يكشفن عن سيقانهن ويجعلنها سلاحاً قاسياً جارحاً يترل بطعناته على أهل الايمان! فيغلقن بذلك باب النكاح ويفتحن أبواب السفاح ، إذ يأسرن بغتة نفوس الكثيرين ويجرحنهم جروحاً غائرة فى قلوبهم وأرواحهم بارتكابهم الكبائر ، بل ربما يصرعن قسماً من تلك القلوب ويقضين عليها . وإنه لعقاب عادل لهن ، أن تصبح تلك السيقانُ المدججة بسلاح الفتنة الجارح حطب جهنم وتحرق فى نارها أول ما يحرق ، لما كن يكشفنها أمام من يحرم عليهن .

فما دامت الحقيقة هكذا .. وما دام كلُّ جميل يحب جماله ، ويحاول جهده المحافظة عليـــه ، ولا يريد أن يُمَسّ بسوء .. وما دام الجمال نعمة مهداة ، والنعمة إن حُمدت عليها زادت وان قوبلت بالنكران تغيّرت .. فلا شك ان المرأة المالكة لرشدها ستهرب بشدة وبكل ما لديها من قوة من أن تجعل جمالها وسيلة لكسب الخطايا والذنوب وسوق الآخرين عليها .. وستفر حتمًا من أن تجعـــل جمالها يتحول إلى قبح دميم وجمال منحوس مسموم .. وستنهزم بلا شك من أن تجعل بالنكران تلك النعمة المهداة مدار عذاب وعقاب .

لذا ينبغى للمرأة الحسناء استعمال جمالها على الوجه المشروع ليظل ذلك الجمال الفانى خالـــدًا دائمًا بدلاً من جمال لا يدوم سوى بضع سنين ، فتكون عندئذ قد أدت شكر تلك النعمـــة . والاّ ستتجرع الآلام والعذاب فى وقت شيخوختها ، وستبكى وتندب على نفسها يائسة نادمة لشدة ما ترى من اهستثقال الآخرين لها وإعراضهم عنها .

ويستطرد الشيخ سعيد النورسى حديثه عن المرأة التى تحافظ على شرفها وعفتها بقوله :

"اذا زُين جمال المرأة بزينة آداب القرآن الكريم ، وروعى الرعاية اللائقة ضمن نطاق التربيـــة الإسلامية ، فسيظل ذلك الجمال الفانى باقيًا – معنى – وستمنح المرأة جمالاً هو أجمل وأبهى وأحلى من جمال الحور العين فى الجنة الخالدة كما هو ثابت فى الحديث الشريف . فلئن كانت لتلك المرأة مسكة من عقل ، فلن تدع هذه النتيجة الباهرة الخالدة قطعًا ان تضيع منها" ([1]) .

ويرى الإمام النورسى أن النساء يحملن فى فطرهن تخوفاً من الرجال الأجانب ، وهذا التخوف يقتضى فطرة التحفظ وعدم التكشف إذ ربما تنغص لذة غير مشروعة لتسع دقائق تحمل أذى حمل جنين لتسعة أشهر ؛ ولذلك فإن فطرتها تدلها على أن حجابها هو قلعتها الحصينة وخندقها الأمـــين ﴿فلا يؤذين﴾ .

ويرى الإمام النورسى فى خروج المرأة للعمل أن يكون فى حدود الاحتشام وعـــدم التـــبرج والالتزام بحدود الشريعة الطاهرة ، ويقول أيضًا أن تكشف النساء دون قيد أصبح سببًا لتكشف أخلاق البشر السيئة وتناميها .

([1]) سعيد النورسى ، مرشد اخوات الأخرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى، سوزلر للنشر، القـــاهرة ، ٢٠٠١م ، ص٦٣، ٦٤ ، ٦٥، ٦٦ .

وانظر سعيد النورسى، اللمعات ، ص٢٩٩ – ٣٠٤ (اللمعة الرابعة والعشرون) ترجمة إحسان قاسم الصالح ، •زلر للنشر ، كليات رسائل النور ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

وعن دور الجمعيات والمنظمات التى تسعى لإضلال النساء يقول الإمام النورسى : "لقد أحسست أن هناك منظمات تعمل فى الخفاء وتسعى سعيًا جادًّا مؤثرًا لدفع الغافلات من النساء اللطيفات ، إلى طرق خاطئة آثمة وأدركت أن ضربة قاصمة على هذه الأمة الإسلامية ، تأتى من تلك الجهة .

ثم يتوجه الشيخ بدعوة الشابات للنجاة من شباك تلك المنظمات بقوله :

يا أخواتى ويا بناتى المعنويات الشابات : إن العلاج الناجح لإنقاذ سعادة النساء وصون فطرتهن من الفساد ليس إلا فى تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الإسلام الشامل والتأدب بالآداب الإسلامية التى تحددها الشريعة الغراء ([1]) .

تلك هى رؤية الإمام النورسى للمرأة المسلمة ودعوته لها بالتزام الشريعة التى تنقذها من الفساد والرذيلة والضلال حتى تقوم بدورها فى يقظة المجتمع الإسلامى([2]) .

٣- رأى الإمام سليمان حلمى فى المرأة :

الإمام سليمان حلمى من مجددى الطريقة النقشبندية، وهو الحلقة الثالثة والثلاثون الاخيرة من السلسلة النقشبندية، عاش أواخر العهد العثمانى، وعاصر بداية العهد الجمهورى، وهو مؤسس الطريقة السليمانية فى تركيا.

([1]) المرجع السابق ، اللمعات ، اللمعة الرابعة والعشرون ص٣١٠ – ٣١٣ .

([2]) وفى هذا المجال نورد قول "نميانى ميشيل" وزير خارجية إيطاليا فى ١٩٨٩/١٢/١٩م ، وكان وقتها رئيسًا للمجلس الأوروبى : إن الشباب المسلم فى شمال أفريقيا وخاصة فى الجزائر يتجه بسرعة ملحوظة إلى السلوكيات الإسلامية، وإلى أخلاق الإسلام ، وإلى الحجاب ، وإلى الصلاة ، وهذا يعنى أن أوروبا محاصرة إسلاميًّا من الجنوب ، ولابدّ من إبطال مفعول النهضة الإسلامية فى شمال أفريقيا بتوجيه الشباب هناك إلى وجهات غير دينية ، وتشجيع هذا الشباب على تبنى النمط الغربى فى السلوك والحياة عن طرق عدة أهمها : المسلسلات التليفزيونية . ويقول أحد المتحدثين فى الهيئة العامة لاتحاد الكنائس فى فرانكفورت : المرأة المسلمة تشغل فى الإسلام مكانة هامة ، وعندما سلمت المرأة المسلمة قلبها وعقلها وجسدها للإسلام فى ذلك الوقت تمكن المسلمون من إقامة دولهم الكبرى فى التاريخ ، أما عندما ذهبت المرأة المسلمة إلى الدنيا وإلى نفسها أصبحت الدول الإسلامية خاضعة للغرب خضوع العبيد . المرأة المسلمة شكلت فى الماضى الخطرَ الأكبر ضد الغرب ، وستكون كذلك عندما تعود إلى الإسلام مرة أخرى ، وطريق القضاء على المسلمين لابدَّ أن يمرَّ بالمرأة المسلمة .

ولد الإمام سليمان عام ١٨٨٨م، ونشأ فى جو علم وأدب فجده إدريس بك الذى يرجع نسبه لرسول الله ﷺ ، ووالده عثمان كان شيخًا وعالمًا ينتسب إلى الطريقة النقشبندية ، قام على تنشئة الإمام سليمان النشئة الدينية الصحيحة حيث وجه اهتمامه إلى العلم فعمل الإمام سليمان بمهنة التدريس ونال مرتبة كبير المدرسين فى فروع التفسير والحديث والفقه فكان عالمًا ومرشدًا ومربيًا .

واجه الإمام سليمان حلمى صعوبات جمة فى تعليم وتربية تلاميذه ومريديه التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على تحفيظ القرآن وتعليم السنة النبوية الشريفة فى وقت شديد الحساسية فى تركيا ، وهو بداية الجمهورية والدعوة لتغريب الدولة وفصل الدين عن الدولة ، فكانت نشاطاته مراقبة، وتعرض للسجن والمحاكمة مرات كثيرة إلا أنه استمر فى جهاده من أجل تعليم الإسلام والمحافظة عليه (1) .

قام الإمام سليمان بحركة إسلامية إصلاحية كبرى فى تركيا، من أجل الحفاظ على الإسلام، من خلال مدارس تحفيظ القرآن وتعليم العلوم الإسلامية التى أنشأها فى تركيا، وانتشرت انتشارًا كبيرًا داخل وخارج تركيا . وكانت مهمة هذه المدارس تربية النشىء تربية دينية صحيحة، و تعليم القرآن وتحفيظه، وتعليم العلوم الإسلامية من أمهات الكتب العربية فخلف طلابًا لا حصر لهم ساروا على نهجه ونشروا دعوته فى أنحاء تركيا وخارجها، ولا تزال هذه الدعوة قائمة بنشاطها الإسلامى الصحيح فى تركيا (٢) .

وقد احتلت هذه الدعوة فى تركيا المركز الثانى من بين التيارات الإسلامية القوية الموجودة فى تركيا، طبقا لتقرير المخابرات الأمريكية فى هذا الصدد (٣).

وتعد هذه الدعوة نموذجًا للدعوة الإسلامية الصحيحة نظرًا لاعتمادها على تدريس القرآن وتحفيظه ودراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية وأمهات الكتب الإسلامية .

---

(1) انظر هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، نموذج الإمام سليمان حلمى ، مرجع سابق ، ص١٧٦-١٩٣ .

(2) Şahin Merlut, Genç, Akademi Dergisi, Istanbul, Akim, 1995, s.11 .

(3) تقرير المخابرات الأمريكية عن الحركات الإسلامية فى تركيا ، ترجمة إلى التركية يلماز بولاط ، تقديم فهمى قدرو ، إستانبول ، ١٩٩٠م (باللغة التركية) .

و بالنسبة لدور المرأة فى المجتمع التركى فيرى الإمام سليمان أنه ليس هناك تمييز بين الرجل والمرأة فى طلب العلم، لأنه فريضه على كل مسلم ومسلمة كما ورد فى حديث رسول الله ﷺ . أما مجال العمل؛ فيرى أنه لا بأس أن تقوم به المرأة ما لم يخالف الدين . إلا أنه يرى من الأولى للمرأة أن تهتم بشئون منزلها وأولادها، حيث إن هذه المهمة تستغرق كل وقتها، ما لم تكن مضطرة للعمل، كما أن دفع أقل الأجور للمرأة العاملة يعد أكبر إهانة لها .

وبالنسبة للزى فيرى الإمام سليمان حلمى أن الدين الإسلامى أوجب لكل من المرأة والرجل ستر العورة . وعورة المرأة جميع جسمها عدا الوجه ، وحدود الوجه من منبت الشعر إلى أسفل الذقن، والكفين إلى حدود المعصم، والقدمين حتى الكعبين ، ويتحقق أمر الدين بستر هذه الأماكن من الجسم مع ملاحظة عدم جواز ارتداء الملابس التى تشف أو تحدد معالم ما تحتها ([1]) .

٤- العالم والداعية الإسلامى التركى فتح الله كولن ورأيه فى تستر المرأة :

ولد العلامة محمد فتح الله كولن عام ١٩٣٨م فى قرية صغيرة بالأناضول .

وتتمثل الدعوة عند العالم الاسلامى فتح الله من خلال قوله : " إن أى حركة تقوم على التعصب والخصومة لن تؤدى إلى أى نتيجة إيجابية ؛ لذا فإنه يجب الانفتاح على الجميع مهما كان فكره أو عقيدته" حيث بدأ دعوته بفتح باب الحوار والمسامحة فى المجتمع التركى الذى تحاول قوى عديدة تمزيقه عن طريق الخلافات العنصرية والقومية والمذهبية والفكرية([2]) .

ويعد الإمام الداعية فتح الله كولن نموذج الفكر الإسلامى المعاصر فى تركيا فهو عالم وداعية إسلامى كبير، قام بحركة رائدة فى تركيا عام ١٩٩٠م، وأحدث تحولاً كبيرًا فى نفوس المجتمع المسلم، وتأثيرًا شديدًا من خلال خطبه ومواعظه ومحاضراته ومؤلفاته التى ترجمت إلى الإنجليزية، والبلغارية، والعربية، والتف حوله كثيرون أدوا خدمات دينية وإنسانية ووطنية فى ضوء ارشاداته ونصائحه ، تحت شعار "الحب والصبر والتعاون والعمل الإيجابى البعيد عن التعصب والتشدد وعدم مقابلة الإساءه بالإساءة" ، وكان شعاره" تركيا هى دار الخدمة" ([3]) .

([1]) Ali Ak, Süleymancilik, Istanbul, 1987 .

([2]) محمد فتح الله كولن ، محمد النور الخالد، دار النيل، مؤسسة الرسالة، استانبول، ١٩٩٩م، المقدمة .

([3]) المرجع السابق ، ص١ .

وقد نشأ الشيخ فتح الله فى بيت علم وتصوف وكان والده "رامز أفندى" يحب العلماء ومجالستهم وكان بيته مزارًا لطلاب العلم ودار ضيافة للعلماء والمتصوفة المعروفين فى عصره؛ فورث عن والده حب الرسول ﷺ وأهل بيته وصحابته والتعلق بهم وحفظ القرآن الكريم على يد والدته رفيعة هانم .

تلقى العلوم الإسلامية على أيدى علماء معروفين من أبرزهم العالم الفقيه "عثمان بكتاش" ، ودرس عليه النحو والبلاغة والفقه والعقائد ودرس العلوم الوضعية والفلسفة وتعلم اللغة العربية والفارسية . إلى غير هذا فقد تلقى التربية الروحية داخل تكية "محمد لطفى أفندى"، وخلال دراسته تعرف على رسائل النور وحركة طلاب النور التى ساهمت فى تكوين شخصيته الإسلامية العظيمة .

ومنذ عام ١٩٩٠م بدأ العلامة محمد فتح الله كولن حركته الرائدة فى إنقاذ الايمان من محنته واستنهاض الهمم لمواجهة اولئك الذين يعملون لتدنيس قداسة الإسلام .

ومن خلال خطب وكتابات الشيخ فتح الله كولن عن المرأة وأصالتها فى المجتمع يقول:

"إن المرأة فى المجتمع الإسلامى كان لها دور بارز وتحتل وضعًا خاصًا فى الأسرة، وما كتبه الغربيون عن نسائنا، وعن العائلة التركية العثمانية، انما هو نتاج مخيلات نبعت من حكم مبدأى وأولى عما سمعوه أو رأوه. حيث ارتأى البعض ان هذا الموضوع أرض خصبة لظهور النزاعات والمناقشات، وأصبحت المرأة من أكثر المشكلات بحثاً ونزاعًا فى تركيا فى العصر الحديث" ([1]) .

وبالنسبة للدعوة لمساواة المرأة بالرجل يقول فتح الله : " أنه لا يمكن عمل مساواة بين رجل وامرأة ، أو حتى رجلين أو امرأتين، فلكل إنسان عالمه الخاص وسماته وخصائصه، وترجع هذه المسألة لقوانين الفطرة التى لا تتغير . والمرأة صاحبة طبيعة تختلف من الناحية العضوية والنفسية عن الرجل، ومن حيث دورهما فى الحياة فهما بمثابة الوجهين لعملة واحدة" ([2]) .

ويضيف الشيخ فتح الله أنه يجب توضيح أن الرجل والمرأة متساويان فى مسئولياتهم تجاه أوامر ونواهى الله سبحانه وتعالى، وقد أشار القرآن فى هذا بقوله تعالى فى سورة آل عمران :{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ } ([3]) .

([1]) Bir bortre Denemesi M.Fethullah Gülen ,Ali Unal < Istanbul, 2002,sh,436.
([2]) Bir porter ,a.g.e.
([3]) Bir portere ,a.g.e.

ويستطرد الشيخ قوله : "إن المرأة بمشاعرها وأحاسيسها الفياضة لها أهميتها فى حياة الأمم والمجتمعات والأفراد، والعائلة والمترل، والمرأة كأم، تاج الرأس وتاج البيت وكما ورد "الجنة تحت أقدام الأمهات" .

رأى الشيخ والعالم فتح الله كولن فى موضوع انتقاد حريم الدولة العثمانية:

دارت المناقشات والانتقادات حول موضوع حريم السلطان فى الدولة العثمانية ورموه بأنه ضرب من التخلف والتأخر.

ومن خلال رد الشيخ فتح الله حول هذه المسالة يقول : " إن القصص التى يحكيها الغرب عن حريم الدولة العثمانية، ترجع إلى الحقد المرير الذى يحملوه ضدنا، إننا مرتبطون ومفتونون بالتقاليد المحافظة الإسلامية التركية للدرجة التى تجعلنا لا نرتضى التشهير بنسائنا أمام أنظار الآخرين . فلم يحدث أى نوع من الفواحش فى حريم السلاطين ولا حتى فى حريم الأغنياء ، لأن الحريم عندنا مثال العفة والطهارة، ويعكس الموقع المتميز للمرأة ، كما أن التفريق بين أماكن اجتماع النساء والرجال، وعدم جواز الاختلاط غير المشروع ، إنما هو محاولة لوضع التوازن ، ولم يكن الحريم مكانا مقدسا وذا حرمة فقط، بل كان حائلاً دون فساد العائلة، ومظهرا لروعة التقاليد الإسلامية التركية ".

ويضيف الإمام الشيخ فتح الله قوله عن نساء الدولة العثمانية: "إن الحريم كان ركنا تفوح فيه رائحة الأزهار والورود وعطر الفضيلة والأخلاق . والحريم لم يكن شيئا خاصًّا بالعثمانيين، فلكل واحد منا حريم فى بيته، والذى يريد نقد أجداده فى هذا الخصوص، ويرميهم بحجر، إنما هو يرمى نفسه فى الحقيقة([1]) .

بعض أراء فتح الله كولن عن عفة المرأة وشرفها :

أعطى العالم والمفكر الإسلامى فتح الله كولن للمرأة أهمية كبيرة واحترامًا عظيمًا من خلال كتاباته التى تحدث فيها عن المرأة ومكانتها العظيمة فى المجتمع ومن كتاباته فى هذا الشأن :

* المرأة هى المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية .
* إن الإنسان عندما يرى امرأة مسحوقة تحت مظاهر الزينة لا يملك إلا أن يتساءل "ترى هل تلقى العفة والشرف والفضيلة التى هى زينتها الداخلية لها كل هذا الاهتمام لديها .

([1]) محمد فتح الله كولن ، أسئلة العصر المحيرة ، ترجمة أورخان محمد على ، ٢٠٠٢، إستانبول ، تركيا ، ص٢٠٤ – ٢٠٩ .

* إن الشىء الذى يرفع بالمرأة إلى مستوى أعلى من الملائكة، ويجعلها أثمن من الماس، هو عمق عالمها الداخلى وعفتها ووقارها . والمرأة غير العفيفة عملة زائفة خالية من الوقار، وتلوث كل مكان تحل فيه .
* إن العهود التى أصبحت فيها المرأة متاعًا مبذولاً للشهوة والتسلية، ومادة للإعلان والدعاية، عهود عديدة غير أنها – لحسن الحظ – كانت أيضا بدايات لعهود رجعت فيها المرأة إلى نفسها ووجدت ذاتها .
* زينة المرأة الفاضلة هى شرفها وعفتها .
* المرأة عندنا أساس متين فى شرف الأمة ونجابتها وحصتها فى إنشاء تاريخ أمتنا الجيدة لا تقل عن حصة المجاهدين الذين قاتلوا الأعداء وفتحوا البلدان.
* معظم المطالبين بحرية المرأة وحقوقها لا يفعلون شيئاً سوى دفع المرأة إلى طريق الرغبات الجسدية، وطعن حياتها المعنوية والروحية .
* إن جميع المقترحات التى يقدمها أنصار المرأة الآن لا تؤدى إلا إلى تهوين شأنها، ونزع برقع حيائها، وتشوية طبيعتها؛ مع أن المرأة حلقة مهمة فى سلسلة الوجود. وأهم جانب عندها هو ضرورة احترامها لطبيعتها وفطرتها والبقاء ضمن إطارها (١) .

تلك هى رؤية الشيخ العالم فتح الله كولن نموذج الفكر المعاصر للمرأة التركية المسلمة المعاصرة.

يقول العالم الإسلامى شمس الدين الفاسى "إن المرأة المحجبة إنسانة متوازنة مع نفسها ، لا تناقض بين أفكارها ولا تنازع بين مشاعرها ، تفعل ما يرضى ربها ، تنعم بالسكينة وهدوء الأعصاب ، لا تتصرف إلا فى إطار المباح والحلال، ومن يأمرها بالتخلى عنه، كمن يدعو أحد الملوك إلى التخلى عن عرشه وتاجه وسلطانه (٢) .

---

(١) محمد فتح الله كولن ، الموازين ، ترجمة أورخان محمد على ، دار النيل للطباعة والنشر ، إستانبول ، تركيا ، ص١٨١ –١٨٥ .

(٢) شمس الدين الفاسى ، الوضع المتسامى للمرأة فى الإسلام ، دار المعارف ، ١٩٩١ ، ص٥٤ . .

المبحث الثانى:

قضية الحجاب والغرب :

تصدى الغرب فى الآونة الأخيرة لحجاب المرأة المسلمة المتمثل فى غطاء الرأس عندهم باعتباره مظهرًا وتحديًا إسلاميًّا يجب حظره ، غير عابئين بمبادئ الدين وأساسياته وأخلاقه ، ومهمتنا الآن ليست الدفاع عن حق المرأة المسلمة فى حفاظها على دينها ونفسها، وإنما مهمتنا هى توضيح صورة الإسلام الذى يحافظ على شرف المرأة ومكانتها فى المجتمع وهو أمر تقره الأديان جميعًا . وكما يقول شيخ الإسلام مصطفى صبرى:" لقد استعمر الغرب قلوب أبنائهم المتعلمين، واستعمار القلوب أقوى أنواع الاستعمار، وأشرها خطرًا وأفتكها بكيان الأمم" ([1]).

وقد كانت المرأة فى المجتمع الغربى، فى القرون الوسطى، تعد مخلوقا فى المرتبة الثانية، حتى أنه فى عام ٥٨٦م ، عقد اجتماع فى فرنسا يبحث فى شأن المرأة هل تعد إنسانا أم لا ؟ . وقد قرر المجتمعون، أنها إنسان، لكنها مخلوقة لخدمة الرجل، ولم يصدر قانون يجيز للمرأة الفرنسية أن تفتح حسابًا باسمها دون إذن زوجها إلا فى فبراير ١٩٣٨م .

وفى إنجلترا لم يكن للطالبات الحق فى الاشتراك فى أندية الطلاب أو اتحاد الطلبة فى الجامعات، ولم تسو جامعة "أكسفورد" بين الطالبات والطلاب فى الحقوق، إلا بقرار صدر فى ٢٦ يونيو ١٩٦٤م ([2]) .

وعلى الرغم من ذلك فقد وجه الغرب إدانته للمرأة المسلمة، ونصبوا أنفسهم موقف المدافع عن حقوقها ضد الحجاب، باعتباره مظهرًا إسلاميًّا يمثل التعصب والرجعية يجب محاربته وحظره .

ويمكن القول أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، أصبحت المحجبات هدفا سريا للمعارضة والمواجهة والهجوم، حيث توجه الغرب لمعارضة ومحاربة حجاب المرأة المسلمة، بل عدوه مظهرًا يساعد على تنامى الإرهاب، وردًا على هذه الآراء من جانب المجتمع الأمريكى ، قامت بعض الفتيات الأمريكيات بارتداء غطاء على رؤوسهن، تعبيرًا عن معارضتهم لموقف الحكومة الأمريكية ضد النساء والمحجبات المسلمات، واللاتى يدرسن فى الجامعات الأمريكية ، وهذا التضامن يعنى إيجابية الرأى العام الامريكى للحجاب، باعتباره حقاً من الحقوق الإنسانية التى يحظر انتهاكها ، كما يعد رفضًا لممارسات فى مسألة لم تطرح من قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر.

([1]) مصطفى صبرى ، مرجع سابق، ص٦٨ .

([2]) أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، مرجع سابق ، ص٢٠٨ .

أولاً : حظر حجاب المرأة المسلمة فى فرنسا :

يشكل الإسلام الديانة الثانية فى فرنسا بعد الديانة الكاثوليكية حيث يمثل عدد المسلمين فى فرنسا حوالى خمسة ملايين نسمة بنسبة عُشر سكان فرنسا ويوجد بها ١٥٠٠ مسجد ، وحوالى ٩٠٠ إمام مسجد ، وعشرات من الاتحادات والجمعيات الإسلامية ، إلى جانب "المجلس الفرنسى للمسلمين" المكون من ٧ اتحادات ، ٥ مساجد كبيرة (١) .

وقد بدأت محاولات منع الحجاب فى فرنسا مع بداية عام ١٩٨٩م، حيث قرر مدير معهد أكاديمى بمدينة "كراى" الفرنسية، منع ثلاث طالبات من دخول المعهد إلا بعد نزع حجابهن، وانتقلت القضية إلى الصحف، فى ذلك الوقت أيد وزير التربية والداخلية الفرنسى حق الطالبات المسلمات فى ارتداء الحجاب، وحماية حقهن فى التعليم، وعدم إمكانية فرض رأى بالقوة .

وفى عام ١٩٩٩م، أضرب سبعون مدرسًا فى مدينة بغرب فرنسا للمطالبة بالسماح للطالبات المحجبات بدخول معهد "جان مونيه" فى مدينة "فلير" الذى يتبعونه .

وقد جرت مجادلات ومداولات على مستويات الحكومة فى فرنسا كدولة علمانية حول شرعية القانون الفرنسى الذى يمنع الخلط بين الدين والسياسة فى سن قانون يحظر الحجاب بالنسبة للفتيات المسلمات فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية، باعتباره رمزًا للإسلام حيث قررت الحكومة، تأسيس لجنة برئاسة "جاك شيراك" رئيس فرنسا تقوم بإصدار قرار الحظر باعتباره ضد مبادئ العلمانية التى تنادى بها الدولة .

ثم تفجرت قضية الحجاب فى فرنسا بشكل كبير، أواخر شهر سبتمبر ٢٠٠٣م، حينما قررت إدارة مدرسة فرنسية فى باريس، منع طالبتين من حضور دروس المدرسة بسبب ارتدائهما الحجاب، الأمر الذى أدى إلى فصلهما، وقد قام والد الطالبتين "اليهودى الجنسية" باللجوء إلى القضاء لرفضه الإذعان لهذا الطلب باعتبار أن المجتمع الذى يرضى بالسفور والعرى، عليه أن يقبل الحجاب، وليس هناك ما يمنع الأقلية المسلمة أن تمارس حياتها وفقاً لقواعد الإسلام .

---

(١) www. Sotalirag. Com/ new/ article – 2005 – 02-4- 4813. html

نقلا عن كتاب "كريستوف ديلورا" و "كرستوف دوبوا" ، الحرب الأصولية السرية ضد العلمانية بفرنسا ، دار البان ميشيل الفرنسية ، اكتوبر ٢٠٠٤م .

والمجتمع الفرنسى العلمانى يرى أن المهاجر الذى اختار الإقامة فى فرنسا، لابد له من الالتـزام بقيم هذا المجتمع وتقاليده؛ مما أدى إلى إصدار وزير التعليم الفرنسى قرارًا بإعادة فـرض الـزى المدرسى الموحد على جميع التلاميذ([1]).

وفى هذا الصدد أعلن "جان بيار" رئيس الوزراء الفرنسى رفضه لارتداء الفتيات المسـلمات الحجاب، باعتباره مظهر دينيًا لا مكان له فى المؤسسات التربوية الفرنسية، وأن هذه المؤسسـات ليست مكانًا للدعاية السياسية والدينية([2]).

والتصور الفرنسى فى تنامى الوجود الإسلامى فى فرنسا أنه يشكل خطرا على المبادئ العلمانية التى تتبناها الدولة ؛ حيث يعد – فى رأيهم- تحديا ثقافيا وروحيا يعصف بمبدأ التعايش وهـو أن المسلم الذى يعيش على أرضها لم يعد مهاجرًا فقط ، بل هو مواطن يبحث عن حقوقه الكاملة دون أن يذوب فى المجتمع ، ومن هنا برزت المشكلة بين العلمانية والتحولات الجديدة الـتى فرضـها الوجود الإسلامى ولم تستطع فرنسا استيعابه ([3]) .

ولأجل هذا شكل الرئيس الفرنسى "جاك شيراك"، لجنة العلمانية فى وزارة التربية الفرنسية فى يوليو عام ٢٠٠٣م التى أطلق عليها لجنة "ستازى" برئاسة "برنار ستازى" الوزير الفرنسـى مـن أقطاب الوسط، حيث أقرت توصية بمنع ارتداء كل ما من شأنه أن يعتبر إعلان يدل على الانتماء الدينى، بمعنى منع ارتداء الحجاب فى المدارس ، وتطورت هذه التوصية إلى مشروع قانون يحظـر ارتداء العلامات الظاهرة للأديان، حتى تم إقرار القانون بحظر استخدام الرموز الظاهرة فى المدارس الحكومية فقط واستبعدت الوظائف الحكومية والجامعات نتيجة ردود الأفعال الإسـلامية الـتى واجهتها الحكومة الفرنسية .

وأعلن شيراك فى تونس فى ديسمبر ٢٠٠٣م، أن ارتداء الحجاب مسلك عدوانى يصعب على الفرنسيين قبوله ([4]) .

([1]) الأهرام ، عبده مباشر ، قضية الحجاب والغرب ٢٠٠٣/١١/٢م

([2]) الأهرام ، ٢٠٠٣/٩/٢٣م .

([3]) www. Islamonline net/ Arabic/ arts/ 2004/ 01/ article 06. Shtml .

([4]) الحياة ، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م . انظر

www. Chihap net/ modules. Php? Name = News& file = articl & cid = 308 .

وأصبحت مشكلة الحجاب فى فرنسا قضية اجتماعية ذات أبعاد خطيرة، تؤدى إلى إثارة قضايا ثقافية وحضارية واجتماعية توجه ضد الأقليات المسلمة وخاصة قضية الاندماج فى المجتمع .

ومن الأمور التى أثارت حفيظة المجتمع الفرنسى ضد الإسلام والمسلمين فى فرنسا رفض الطالبات المحجبات اجتياز امتحاناتهن الشفوية لأنهن لا يقبلن الانفراد بالممتحن باعتبار أن هذا الفعل يعد خلوة غير شرعية، كذلك فإن النساء المحجبات لا يسمحن للأطباء بالكشف عليهن للعلاج، كما يمتنعن عن الاشتراك فى الرياضات كالسباحة لرفضهن ارتداء المايوه ؛ لأن جسد المرأة عورة ، وقد اعتبر العلمانيون فى هذه التصرفات عصبية متشددة وعنصرية .

ونتيجة لتفاقم الهجوم المباشر على الحجاب فى فرنسا، قامت إحدى الصحفيات بمجلة "بارى ماتش" الفرنسية بتجربة مثيرة نشرتها بالمجلة فى محاولة للتعرف على ردود فعل المجتمع الفرنسى تجاه حجاب المرأة المسلمة، حيث قامت بارتداء حجاب أسود فضفاض لا يظهر منها سوى عينيها ، وقفاز، لمدة ثلاثة أسابيع، أثمرت التجربة عن رفض المجتمع الفرنسى لهذا الزي، فمنهم من قابلها بسخرية، ومنهم من أعلن أن شعرها أصيب بمرض ما وتحاول إخفاءه، ومنهم من أطلق عليها لقب "الرجل الوطواط" أو"الرجل الشبح"، ومنهم من أسماها "كارولين بن لادن". وقد حاولت هذه الفتاة الانضمام لإحدى الأحزاب، لكنها قوبلت برفض واستياء شديد، ونصحها أحد أعضاء الأحزاب، بعدم الدخول لأن الحجاب مرفوض فى الأعمال التى تتطلب تعاملاً جماهيريًا .

ونستطيع القول أن هذه الصحفية الفرنسية غير المسلمة، أرادت القيام بسبق صحفى، عن طريق هذه التجربة المثيرة، ويبدو أنها بالغت فى إعطاء مظهر متشدد للحجاب، بارتدائها رداء أسود اللون داخل المجتمع الفرنسى، وارتدائها قفازًا ، علمًا بأن الشريعة الإسلامية تسمح بظهور الوجه والكفين، كما أن الإسلام لا يشترط ارتداء لون أسود للحجاب، والشريعة لا تمنع من ارتداء ألوان زاهية، وخاصة اللون الأبيض وسائر الألوان التى تبهج القلوب وتشرح الصدور؛ لذا لقبت بالشبح والوطواط نظرًا لمبالغتها فى ارتدائه، علمًا بأن مفتى الديار المصرية أعلن حرية المرأة المسلمة فى إمكانية ارتدائها ألوان زاهية، وارتداء إيشارب ذي شكل مقبول، على ألا يكون شفافاً فتدخل فى حرمانية الكاسيات العاريات ([1]) .

([1]) سلوى عفيفى ، اخبار اليوم ٢٠٠٣/١١/٢٢ ، نقلا عن مجلة بارى ماتش الفرنسية .

ونذكر هنا فى هذا الشأن قول الإمام الرائد محمد زكى إبراهيم محدثًا المرأة عن عدم التناقض بين حشمتها ومظهرها الأنيق فيقول : "لابد أن تعلم المسلمة أن الحشمة لا تتنافى مع الأناقة أبدًا ، وأن الذوق لا يختلف مع الفضيلة أبدًا؛ فالبسى أفخر الثياب ، وغطى شعرك بأغلى الأشياء ، ولكن فى حدود ما شرع الله تعالى ، بما لا يشف ، ولا يصف ، ولا يلفت النظر (١) .

كما تحدث فى هذا الأمر أيضًا الإمام محمد الغزالى فقال : "ان الإسلام هو الذى صان شخصية المرأة ورد عنها كل عدوان ، أما ملابس النساء فمن الواجب ابتكار أزياء تجمع بين الفضيلة والجمال وتمنع التبرج والفساد (٢) .

وجدير بالذكر فإن بيوت الأزياء فى البلاد العربية أصبحت الآن تبتكر بالفعل أزياء تناسب المحجبات على درجة عالية من الحشمة والوقار ، وتتمشى مع الذوق السليم والألوان المبهجة التى تنشرح لها الصدور ، وبعيدة كل البعد عن كافة انواع التبرج والخلاعة التى تنهى عنها الأديان قاطبة .

هذا وقد تصاعد الجدل حول الوجود الإسلامى فى فرنسا إبان انتخاب مجلس فرنسى للدين الإسلامى، والذى يضم معظم الطوائف الإسلامية والاتحادات فى فرنسا، وقد فاز "اتحاد المنظمات الإسلامية" فى فرنسا بالمركز الثانى، وقام هذا الاتحاد بعقد مؤتمر احتفالاً بهذا الفوز، حضره عدد كبير من مختلف المناطق والمدن والدول الأوربية، وصل عددهم إلى ستين ألفًا لمتابعة ندوات ومحاضرات هذا المؤتمر بهدف التعرف على الإسلام .

وكان شعار هذا المؤتمرهو، "الإسلام من الفهم إلى التطبيق" والهدف منه وضع صورة لتطبيق الإسلام فى فرنسا، فى إطار التطور العالمى اليوم، ومحاولة تكييف الدين مع الظروف الحالية ، والمحيط الذى يعيش فيه .

وخلال هذا المؤتمر، تفجرت قضية الحجاب، حيث أثير فيه أنه لابد على المسلمين الذين يعيشون فى فرنسا، أن تكون الصورة الشمسية التى تظهر على بطاقتهم الشخصية عارية الرأس، وأن هذا القانون يجب أن يسرى على المرأة المسلمة المحجبة، والراهبات المسيحيات، وقد علت

---

(1) محمد زكى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص١٧ .

(2) سهيلة الحسينى ، مرجع سابق ، ص٧٩ .

أصوات الاحتجاج واشتعل الجدل فى وسائل الاعلام حيث كشف عن مخاوف كامنة لدى البعض، من وصول الأصولية الإسلامية إلى داخل الأراضى الفرنسية([1]).

وإذا كانت الحكومة الفرنسية فى سعيها لمنع ارتداء الحجاب تهدف إلى التجاوب والتعاطف مع الولايات المتحدة إثر أحداث سبتمبر، أو منعًا لأى توجه سياسى يدخل فى نطاقه الإرهاب بأشكاله، فما معنى دفاع أمريكا عن الحجاب وتصريحها بأن الحجاب يدخل ضمن حرية المعتقد ؟ ففى هــذا الصدد طالب مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير"، من حكومــة ولايــة "أوكلاهومــا"، بالتدّخل لحماية حق طالبة مسلمة فى العودة إلى مدرستها، وارتداء الحجاب بعد أن عاقبها مسئولو المدرسة بحرمانها من الدراسة، باعتبار أن هذا القرار مخالف للمبادئ الأمريكية ([2]) . كما تعرض أستاذ أمريكى فى جامعة "لانكستر" بولاية كاليفورنيا، لاستجواب إدارة الجامعة بســبب حظــره لطالبة مسلمة من ارتداء غطاء رأسها فى ٢٠٠٤/٢/١٨م بحجة أن هذا الغطاء يحجب الرؤية عن الطلبة الآخرين، حيث قامت الطالبة بتقديم شكوى لإدارة الجامعة، مؤكدة ارتداءه لأغراض دينية، وانتهى الأمر لصالح الطالبة وإقرار حقها فى ارتداء حجابها مما أدى إلى قيــام الأســتاذ الجــامعى "روبرت دانييل" أستاذ علم الكمبيوتر الأمريكى بتقديم استقالته من الجامعة([3]).

هذا وقد تبنى الرئيس الفرنسى "جاك شيراك" إصدار قانون صون العلمانية مؤكــدًا إعلانــه الحرب على الطائفية، "معتبرًا أن ارتداء الحجاب مسلك عدوانى من الصعب علــى الفرنســيين قبوله"([4]) حيث ارتأى تحقيق المساواة بين الجميع بعيدًا عن أصولهم ودينهم، وذلك بتطبيق قــانون يحظر استخدام الرموز الدينية بما فيها الحجاب الإسلامى، باعتبارها علامات ظاهرة مثل الصــليب للمسيحى، والقلنسوة التى توضع على رأس اليهودى، وغطاء الرأس الذى تضعه المسلمة، باعتبار أنه عنوانًا للاقلية المسلمة الموجودة فى فرنسا . وقد وافق البرلمان الفرنسى على القــانون فى ١٠ فبراير ٢٠٠٤م .

([1]) ليلى حافظ ، رسالة باريس ، الاهرام ، ٢٠٠٣/٥/٣ .

([2]) الأهرام ، ٢٠٠٣/١٠/١٢ .

([3]) الحياة ، ٢٠٠٤/٢/٢٩م .

([4]) www. Islamonline. Net / Arabic/ arts/ 2004/ 01/ article 06 shtml .

وقد واجهت الحكومة الفرنسية أصداء كثيرة لهذا القانون من جانب اللجان الإسلامية، والكتل السياسية البرلمانية، وحزب اتحاد الحركة الشعبية، ما بين مؤيد للقانون، ومعارض، ومن جانب آخر فقد واجهت الحكومة الفرنسية العديد من التظاهرات المنددة بهذا القانون، واعتبرته مضادًا للحريات، ومعارضًا لحقوق الانسان، وتدخلاً فى الحريات الشخصية للفرد .

وقد أكد "جون هانفورد"، المسؤول عن الحريات الدينية فى الخارجية الأمريكية، "أن الحجاب يجب ان يكون متاحا طالما لا يعبر عن رغبة بالاستفزاز أو الترهيب"، وردًا على أراء شيراك فى قانون حظر الحجاب الإسلامى وقوله أنه يحرص على صون مبدأ العلمانية وأنه أمر غير قابل للتفاوض" أكد هانفورد: "أننا نأمل أن تكون الحريات الدينية بدورها غير قابلة للتفاوض" وهذا الرد يحسب للولايات المتحدة فى هذا الصدد ([1]) .

والمادة التاسعة من المعاهدة الأوربية لحقوق الإنسان تؤكد على حرية إظهار العقيدة تماشيًا مع الحدود المنصوص عليها فى القانون، واللازمة لحماية مصالح السلامة العامة، وصيانة حقوق وحريات الآخرين .

والمادة ١٨ تتحدث عن حق كل فرد فى الفكر والمعتقد والدين، وهذا الحق يمنح الفرد حرية تغيير دينه أو معتقده ، أو حقه فى الجهر بدينه أو بمعتقده كفرد أو كجماعة سواء كان ذلك فى الفضاء العام أو الخاص، من خلال التعليم والتطبيق وممارسة الطقوس والشعائر([2]).

وقد أعلن "شيراك" أن قانون حظر الرموز الظاهرة، يمنع قطاعًا من الفئات الفرنسية من فرض تقاليدهم الدينية على المجتمع، بدلاً من الاندماج فيه، ويقصد المسلمين البالغ عددهم خمسة ملايين([3]) .

وباتت الأمور ينظر إليها بشكل سياسى ، نتيجة لعدم تفهم ثقافة هؤلاء المسلمين، حيث أصبح حظر الحجاب يمتد الحديث عنه فى المستشفيات، بعدما تبين أن بعض الطبيبات يرتدين الحجاب، كذلك رفض رئيس بلدية إحدى الضواحى فى باريس قبول زواج مدنى لعروس ؛ لأنها رفضت نزع الحجاب، كما تم رفض دخول أولياء أمور المتحجبات إلى المدارس بدعوى علمانية هذه الأماكن([4]).

([1]) محمد قواص ، أصولية علمانية فرنسية فى وجه الأصولية الإسلامية ، الحياة ، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م .
([2]) الحياة ، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م .
([3]) الأهرام ، ٢٠٠٤/٢/٤ .
([4]) خليل العنانى ، البيان ، ثورة أوربا ضد الحجاب أم ضد الهوية الإسلامية ، البيان ، عدد ١٩٧ ، مارس ٢٠٠٤م .

وقد واجهت الحكومة الفرنسية، ردود أفعال عالمية قوية معارضة لهذا القانون، سواء داخل فرنسا أو خارجها، حيث خرج الآف من المتظاهرين ضد هذا القرار فى باريس، وصل عددهم إلى ستة آلاف متظاهر، يرفعون لافتات كتب عليها، "الحجاب اختيارى والعلمانية عار" ([1]) .

ومن أهم الشخصيات الفرنسية التى عارضته، وصوتت ضده ، النائب فى "حزب الاتحاد من أجل الحركة الشعبية" "ألان مادلين" الذى يرى أن هذا القانون موجه ضد الإسلام، ويقود إلى تعزيز موقف الأطراف الأكثر تشددًا بين المسلمين، وان هذا المنع سوف يؤدى إلى المطالبة بإنشاء مدارس إسلامية خاصة لا تتبع الحكومة، وقد يؤدى إلى ظهور فتيات تمارس نشاطات داخل المساجد، ويؤدى إلى ظهور جيتوات طائفية .

ويخشى الأوربى من تفشى ظاهرة الحجاب باعتباره حضورًا إسلاميًا ، يمكن أن يكون مدخلاً لأسلمة البعض منهم، فى حال شرح المسلمة لأسباب ارتدائها له، ففى أحد المدارس فى "السويد"، دعت إحدى المعلمات طالبة محجبة لتقدم شرحًا عن ثقافة الإسلام والمرأة وأسباب محافظتها على ارتداء الحجاب ، وعندما قدمت الطالبة الإجابة ، لاقى شرحها استحسانًا من الحضور، أدى إلى دخول عدد منهم إلى الإسلام .

وترى المفوضة "حنيفة شريفى" العضو فى لجنة "ستازى" والمفوضة لدى وزارة التربية الوطنية الجزائرية الأصل، أنه يوجد فى فرنسا حاليًا تصاعد كبير ومتزايد للأصولية بوجه عام، والأصولية الإسلامية أكثر بروزًا بسبب أنشطتها وأعداد المسلمين التى تقارب الخمسة ملايين، وهى تؤيد فرض الحظر على الحجاب، لأنه أصبح يثير مواقف عنصرية، ويؤدى إلى الطائفية، والعداء للسامية، وترى أن الحل المناسب له هو قانون صون العلمانية([2]) .

وحول هذه القضية، أعلن المرجع الإسلامى الشيعى "آية الله فضل الله"، أننا لا ندعو المسلمين للعنف فى مواجهة هذا القانون، فهناك بدائل شرعية مثل القبعة الساترة، أو الشعر المستعار – وان كانت غير مرخصة فى الحالات العادية – وانه لابد من التحرك فى خط تأكيد الصداقة مع فرنسا، وعدم خلق أى حالة عدوانية ضدها([3]). ويرى أن اشتعال هذه القضية تعد رمزًا لقمع المرأة، ورفضًا للعلمانية واعتناقاً للتطرف .

([1]) الأهرام ٢٠٠٤/٢/١٧م .

([2]) الحياة ، ٢٠٠٤/٢/٢٢م .

([3]) الحياة ، ٢٠٠٤/١/١٤م .

وإثر اندلاع هذه الثورة ضد الحجاب فى فرنسا، أعلن شيخ الأزهر "محمد سيد طنطاوى" عن رأيه تجاه هذه القضية قائلاً : أن الحجاب فرض إلهى على المسلمة مادامت تعيش فى مجتمع مسلم ودولة مسلمة، أما فى حالة وجودها فى دولة غير مسلمة، فإنها تقع تحت حكم المضطر اذا اضطرت لخلع الحجاب" وقد قوبل هذا الرأى بمعارضة من جانب العالم الإسلامى، وأعلن مفتى الديار المصرية الدكتور "على جمعة" أن القرار الفرنسى بمنع ارتداء الحجاب يشكل خروجًا على مبادئ حقوق الانسان، وللمسلمة حقها فى الالتزام بحجابها خارج الدولة المسلمة([1]) .

والحجاب ليس رمزًا دينيًا لدى المسلمين، ولا يستعمل لغرض الدعوة بل هو شريعة وآداب وأخلاق والتزام تعبدى تؤديه المرأة المسلمة لأجل فرض الاحترام والتعفف المطلوب منها، ولو كان الصليب عند المسيحى والقلنسوة عن اليهودى فرضًا ؛ لكنا دافعنا عنهما مثل دفاعنا عن الحجاب، بل هى من العلامات التى تدل على المسيحى واليهودى ليست لها وظيفة الا الإعلان، أما الحجاب فهو يقوم بوظيفة الستر والاحتشام، وهو فرض نص عليه القرآن ، واليهودية والمسيحية تتفق مع الإسلام فى أهمية غطاء الرأس للمرأة تعبيرًا عن تقواها كما ذكرنا سابقاً

وبمناسبة حظر حجاب المرأة يقول الإمام الرائد محمد زكى إبراهيم : "لا يقول عاقل بأن التصون ، والاستعفاف ، والتسامى ، والتحوط ، والتزام العزائم أمور تشهر بالدين ، او تشوه من تعاليمه ، أو تضيق من رحبه فإنما هى من مميزاته ، وحقائقه ، وخصائصه ، وأركان خلوده ، وإعجازه فكيف تستحيل الكمالات إلى مناقص ؟! اللهم الا إذا ارأدوا بالإسلام أن يكون إسلامًا مستحدثاً لا يعرفه الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ ([2]) .

هذا وقد أعرب الشيخ "صالح الحصين" رئيس اللقاء السعودى للحوار الفكرى، أن الحجاب ليس رمزًا دينيًا، وإنما هو التزام دينى للمسلمات ينص عليه القرآن الكريم، بينما المسيحى واليهودى يكونان ملتزمين فى حالة عدم ارتدائهما الصليب للمسيحى والقلنسوة لليهودى، أما المسلمة فلا تعد ملتزمة فى حالة خلع حجابها، وأن الحجاب لا يتنافى مع القانون الفرنسى فى دمج المسلمين بالمجتمع الفرنسى، وأضاف أن المسلمين الذين حكموا أجزاء من أوربا منذ ١٤ قرن، تركوا لغير المسلمين حقوقهم المستقلة فى عباداتهم .

([1]) الأهرام ، ٢٠٠٣/١٢/٣١م .

([2]) الإمام الشيخ محمد زكى إبراهيم ، مرجع سابق ، ص٢٨ .

هذا وقد أرسل الحصين رسالة إلى"شيراك" بمناسبة قراره بمنع الحجاب جاء فيه : إن هذا القرار يثير الدهشة لأن فرنسا تفخر بأنها أول دولة أعلنت وثيقة حقوق الانسان، وأنها رائدة العلمانية التى تعايشت مع مختلف الأديان لأكثر من قرنين، على احترام حرية الضمير والعقيدة والتعبير (١) .

كما أشار الداعية الإسلامى السعودى الشيخ "عائض القرنى" أن قرار الحكومة الفرنسية بمنع الحجاب، خرق صارخ للديمقراطية وحقوق الإنسان، وأن الحجاب واجب دينى، وهذا التصرف الفرنسى غير حكيم يسىء إلى سمعة فرنسا وتاريخها (٢) .

ويرى البعض أن حظر الحجاب، وفرض النموذج الغربى على القيم والمفاهيم والعلاقات الأسرية والأخلاقية عند المسلمين، لن يساعد على الاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها، بل إنه قد يدفع البعض إلى التطرف السياسى، وقد يقود إلى إنشاء مدارس دينية خاصة، وتأسيس جماعات انفصالية بعيدة عن المجتمع .

هذا وقد انتقد وزير الداخلية الفرنسى "نيقولا ساركوزى" فى أغسطس ٢٠٠٣م المثقفين الفرنسيين الذين يخصون الإسلام بالانتقاد خلال حديثه عن التمييز ضد المرأة، باعتبار أن هذا التمييز يمثل مشكلة فى جميع الديانات، وليس فى الإسلام وحده . وأبلغ اللجنة المكلفة ببحث دمج الأقلية المسلمة فى البلاد، مضيفًا أنه ليس من المفيد إصدار قانون متشدد بشأن حظر ارتداء الحجاب فى المدارس أو أماكن العمل الرسمية على النساء والفتيات، ويرى أن هذا العمل من شأنه عزل المسلمين وتشجيعهم على تبنى مواقف أكثر راديكالية (٣) .

والجدير بالذكر أن طائفة السيخ أعلنت بصدد منع الرموز بأنها تلتزم بالدين فى مواجهة القانون ، ولا يمكن التهاون فى الدين من أجل القانون .

هذا وقد أعلن "ساركوزى" خلال مشاركته لاجتماع المجلس الفرنسى للديانة الإسلامية فى ٢٠٠٣/١٠/١٢م حلاً وسطاً لهذه المشكلة وهو تعويض الحجاب بقبعة تغطى الشعر وتعرف باسم "بندانا" وردًا على هذا الاقتراح صرح "التهامى أبريز" رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا

---

(1) جريدة الحياة ٢٠٠٤/١/١٢ .

(2) الحياة ، ٢٠٠٤/١/١٠ .

(3) فوزية محمود سليمان ، ضجة جديدة حول الحجاب تفتح ملف حقوق المسلمين فى فرنسا، البيان ، العدد ١٩٧، فبراير – مارس ٢٠٠٤ .

ونائب رئيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية قوله : "إننا سواء فى الاتحاد أو المجلس كنا دائما مع الحلول الوسط" بينما صرح أن العديد من الأطراف تحاول عرقلة جهود وزير الداخلية ساركوزى([1]) .

وقد نص البيان الختامى للمجلس الفرنسي أن الحجاب يبقى خيارًا شخصيًّا والتمسك بقرار مجلس الدولة الفرنسي الذى أقر سنة ١٩٨٩م وأن الحجاب فى حد ذاته ليس معاديًا للعلمانية إلا إذا كان مظهر ضغط أو تحرش أو تفاخر .

وأعلن "أبريز" أن بحث المشكلة بأنها تصادم بين الحجاب والعلمانية يعد تأويلاً مغلوطاً للعلمانية، والفهم الصحيح للعلمانية هى أنها تحمى المعتقدات الدينية وتسمح بحرية المعتقد .

وفى توضيح للأهرام من سفارة فرنسا بالقاهرة بشأن الجدل القائم حول مسألة العلمانية والجوانب العملية المتصلة بها بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٢٥م جاء فيه:

"إن التدابير التى أعلن عنها الرئيس الفرنسى "جاك شيراك" فى خطابه المتعلق باحترام مبدأ العلمانية فى الجمهورية الفرنسية تهدف بالأخص إلى تمكين مسلمى فرنسا من إيجاد مكانتهم فى المجتمع الفرنسى عبر تجديد سياسة الاندماج التى نتبعها ، وهذا الإجراء ينطبق على العلامات الدينية المجاهر بها بمجملها بالنسبة لكافة الديانات دون استثناء ، ومن غير الصحيح الادعاء أنها لا تنطبق إلا على المؤمنين المسلمين ، وحظر الحجاب ليس مُعَمَّمًا فى القطاع التعليمى ، بل يقتصر على المدارس والمعاهد التكميلية والثانوية الحكومية ويقتصر على التلاميذ الذين لم يتجاوزوا سن الثمانية عشرة ، كما أن المدارس الخاصة الدينية غير معنية بهذا التشريع ، وقد أكد رئيس الجمهورية أن تطبيق هذا القانون سوف يتم بالحوار والتشاور وبتحرك تربوى موجه إلى التلاميذ وعائلاتهم .

وفيما يخص المسلمين جاء فى تقرير السفارة الفرنسية بالقاهرة : إن الرئيس الفرنسى يحرص على حق المسلمين فى توفير أماكن للعبادة تليق بهم ويحظوا بنفس الاحترام الذى يكن للأديان الأخرى ، وفى فرنسا ليس هناك من شيء يمنع مواطنًا ديانته الإسلام من تبوء منصب رئاسة الجمهورية وتقديم ترشيحه له . إلا أنه يجب عدم الخلط بين ممارسة الشعائر والصعوبات المتصلة

([1]) www. Islamonline net / Arabic/ news/ 2003 .

بموضوع الاندماج الاجتماعى ، والعلمانية فى فرنسا تكفل لكل فرد امكانية التعبير عـن إيمانـه وممارسته بطمأنينة وحرية ، وتصل بمفهومها إلى الحيادية تجاه كافة المعتقدات والطوائف المذهبية .

وأضاف التقرير أن المدرسة الحكومية العامة هى مكان لاكتساب العلم والمعرفة ، ويجب المحافظة على الحيادية فيها ، ويجب الدفاع على تأكيد المساواه بين الفتيان والفتيات ، والقانون يراد منـه التأكيد رسميًا على أهمية المحافظة على مجال الحيادية فى المؤسسة العامة .

وأوضح التقرير أنه حدثت فى بعض المدارس نزاعات ذات طابع عنصرى ومعاد للأجانـب أو للسامية ، وهذا أمر غير مسموح به .

ويذكر التقرير أن مبدأ تثبيت العلمانية أقرته فرنسا فى دستور عام ١٩٥٨م وهى ركيزة مـن ركائز الديمقراطية فى الجمهورية الفرنسية ، كما أن فرنسا دولة قانون تضمن للجميع حماية القانون لهم ، والمواطنون الذين يعتبرون حقوقهم مهضومة من جراء تطبيق القانون ، تتوافر لديهم إمكانية اللجوء إلى القضاء ([١]).

ومن خلال التوضيح السابق الذى أرسلته السفارة الفرنسية فى القاهرة بشأن موضوع قـانون حظر الحجاب نستطيع القول أن الحجاب أمر تعبدى فرضه الله عليها ، وهو علاقة خاصة ترتبط بها المسلمة مع ربها ، ويعنى عندها الالتزام بالحشمة والعفاف والاحترام الذى يقـود إلى الأخـلاق القومية والعلاقات السوية بينها وبين المجتمع، وحفظاً للتوازن فلا تفريط ولا تعصب ولا تطرف.

والإسلام دين عالمى يعترف بكافة الأديان ويوقر جميع الأنبياء ، لا يقبل التشدد، ولا يسمح به؛ وهو دين الوسطية والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط .

والأمور التى تطرح فى فرنسا عن أمراء العصابات الإسلامية الذين يختطفون الفتيـات غـير المحجبات لإشباع غرائزهم، ليست من ديننا !! كذلك التشدد الذى يمنع الطالبة من تلقى العلم من الرجال، ورفضها اجتياز امتحان شفوى أمام أستاذ، ورفض العلاج على أيدى أطباء، كل هـذه الأمور المتشددة يرفضها الإسلام، إلا إذا كان فيها نوعا من التحرش أو النوايا السيئة. فالإسـلام دين الأخلاق السليمة، الذى يحفظ للمرأة مظهرها المحتشم لتفرض احترامها على المجتمع، ويمنحها الثقة والتوازن للتعامل السليم السوى مع المجتمع . أما إجبارها على خلع الحجاب فقد يؤدى بهـا إلى التشدد والتقوقع والانغلاق عن المجتمع، ويؤدى أيضًا إلى نتائج عكسية ينتج عنه إعلان "إسلام

([١]) WWW. Sis. Gov. eg/ online / ahtml 2/0251223k. htm.

خاص" بعيدًا عن الدولة ، وهو فى حد ذاته دعوة للانفصال، لا الدمج فى المجتمع، ودعوة للانعزال يجب أن ينتبه إليها دعاة حظر صيانة المرأة بغطاء الرأس .

ونستشهد هنا بقول الفيلسوف الاجتماعى الشهير "جوستاف لوبون" : إن العرب هم الـــذين علموا العالم ، كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ([1]) .

ثانيًا : ردود الأفعال العالمية تجاه الحظر الفرنسى لارتداء الحجاب الاسلامى :

أدى صدى القانون الفرنسى بحظر الحجاب إلى مواجهة عالمية ما بين مؤيد ومعارض.

ففى النمسا أعلنت وزيرة التعليم والبحث العلمى ، تمسكها بالسماح للطالبات المحجبات من مزاولة دراستهم دون قيود، ويعيش فى النمسا نحو ٤٠٠ ألف مسلم نصفهم من أصول تركية ([2]).

بينما دعت وزيرة الداخلية النمساوية "ليزى بوركوب" بمنع المدرسات المسلمات من ارتــداء الحجاب وقد انتقدت جهات حكومية ومعارضة هذه التصريحات ، ودعت الهيئة الدينية الإسلامية الممثلة لمسلمى النمسا ، باتخاذ موقف رسمى ضد هذه التصريحات .

وفى تصريحات الوزيرة لمجلة فالتر الحكومية والتى نشرت فى ٢٠٠٥/٣/٨م جاء فيها أن أرتداء الحجاب يعد تنافيًا مع القيم التى يقوم على أساسها المجتمع النمساوى ، وأضافت أن التسامح قــد بلغ مداه فالإسلام المتطرف يهدد المرأة المسلمة فى النمسا ، كما وجهت الوزيرة اتهامها للمجتمع الإسلامى بأن المرأة المسلمة لا تحظى بأى حقوق داخل المجتمع الإسلامى ، وأنه يجــب مكافحــة الزواج القسرى للمرأة المسلمة ، وأشارت إلى ظاهرة ضرب المرأة المسلمة فى بيتها ، وظاهرة القتل دفاعًا عن الشرف !! ويلاحظ هنا غموض الصورة الإسلامية للمرأة فى هذه المجتمعات . هذا وقد قام مسلمو النمسا بالرد على تصريحات الوزيرة حيث وجه رئيس الهيئة الإسلامية "أنس شقفة" فى خطاب رسمى إلى مسئولى حزب الشعب النمساوى معربًا عن دهشته من هذه التصريحات التى تتهم الإسلام بالعنف مع المرأة ، وطالب حزب الشعب باتخاذ موقف رسمى من هذه التصريحات .

وتضامناً مع حق المرأة المسلمة فى اختيار مظهرها أعلن "ريتشارد شاداور" رئــيس مؤسســة المسيحية والاشتراكية الديمقراطية معارضة المؤسسة لحظر الحجاب فى النمسا مشيراً إلى نص مجمع

([1]) يوسف القرضاوى ، الإسلام والعلمانية ، مرجع سابق ، ص٦٩ .

([2]) الحياة ، ٢٠٠٤/١/١٨ .

الفاتيكان الثانى الذى صدر بضرورة احترام الأديان الأخرى ، كما أعرب رئيس المؤسسة المسيحية ان الكنيسة تنظر إلى المسلمين باحترام كبير .

وكان رد الحكومة النمساوية فى هذا الشأن ، أن وزيرة التعليم النمساوية "إليزابيث جيرا"هى المسئولة عن هذا الموضوع . وقد أكد مصدر مسئول فى مكتب وزيرة التعليم ، أن النمسا لا تفرض حظرًا على ارتداء الحجاب ، وصرح أن حرية المعتقد مكفولة لجميع المقيمين فى النمسا طبقاً لبنود الدستور النمساوى (١) .

وفى بلجيكا ، علقت الصحف البلجيكية على القرار الفرنسى، أنه يتعين على الحكومة البلجيكية أن تفعل نفس الشىء تجاه حظر الرموز الدينية، وخاصة الحجاب بالنسبة للمسلمين البالغ عددهم نحو ٣٠ ألف شخص (٢) فى الوقت الذى لا تمتلك بلجيكا قانونًا فدراليًّا يحكم وضع علامات دينية فى المدارس . وعلى الرغم من ذلك فقد منعت حوالى ٨٠% من المدارس ، الحجاب، بقرار إدارى وليس بقرار سياسى .

وفى بريطانيا ، تقدر الجالية المسلمة فيها بثلاث ملايين مسلم يسمح لهم بارتداء الحجاب ، كما يسمح بارتداء القلنسوة والعمائم بشكل عام، ويترك لكل مدرسة حرية اعتماد نظامها الداخلى الخاص بالزى المدرسى . كذلك فالشرطيات المسلمات فى بريطانيا مسموح لهن ارتداء الحجاب ، ووضع شعار الشرطة فى بريطانيا عليه ، كما يوجد عدد من المسلمات المحجبات فى وزارة الداخلية البريطانية يعملن داخل الوزارة ولا تتدخل المؤسسات البريطانية فى شأنهن (٣) .

وفى هولندا ، يسمح بوضع الحجاب والرموز الدينية الأخرى بشكل عام فى جميع المدارس الرسمية، ويحظر القانون أى تمييز دينى .

كذلك الدانمارك ، لا تخضع لأى تشريع فى هذا الخصوص، وليس هناك أى جدل على هذه الأمور (٤) .

---

(1) www. Prohijab. Net/ Arabic/ hijab – news – Vienna. Htm .

(2) الحياة ٢٠٠٤/١/١١ .

(3) www. Prohijab net/ English/ aljazeera – coverage 2. htm.

(4) البيان ، عدد ١٩٧ ، مارس ٢٠٠٤ ، خليل العنانى ، ثورة اوربا ضد الحجاب ام ضد الهوية الإسلامية .

وفى روسيا : طالبت حكومة روسيا بلصق الصور الفوتوغرافية فى جواز السفر أو بطاقة الهوية للنساء وهن عاريات الرأس ، وقد انتقل هذا الطلب إلى ساحة القضاء فحكمت المحكمة العليا فى روسيا بحرية النساء فى ذلك الأمر، وعلى هذا فقد احترمت الحكومة الروسية والقضاء الروسى حق حرية المرأة المسلمة فى ارتداء الحجاب، بل وسمحت الحكومة الروسية للمرأة، أن تكون عضوة بمجلس الشعب الروسى، وهى محجبة، وتمارس حياتها وعملها بشكل طبيعى .

ويعلق الكاتب التركى "كاظم جولاتش يوز" على الموقف الروسى فى حرية ارتداء المرأة للزى الذى ترغبه بقوله :

"إنه على الرغم من سماح روسيا للمرأة فى حقها فى ارتداء ما تريده فلا تزال مشكلة الحجاب فى تركيا مع الأسف تظهر بشكل مؤسف ومخجل"([1]) .

وفى ألمانيا : يصل عدد المسلمين فيها إلى ٣,٢ مليون مسلم، ثلثهم من أصول تركية، ويقدر عدد المساجد وأماكن الصلاة هناك بـ ٢٢٠٠ مسجد ومصلى يتبع مؤسسات دينية تركية .

ويعود أول مسجد أقيم فى ألمانيا إلى عام ١٧٣٩م فى عهد "فريدريك الأول" إمبراطور بروسيا، وقد سبقه مسجد فى "بوتسدام" عام ١٧٣١م كى يؤدى الجنود الأتراك فيه الصلاة إبان تحالف بروسيا مع الدولة العثمانية ، وأقدم مسجد بنى فى ألمانيا عام ١٩٢٤م هو مسجد "الطريقة الأحمدية" ، وأكبر مسجد يوجد حاليًا فى ألمانيا مسجد الفتح فى مدينة "مانهايم" وقد تأسس عام ١٩٩٥م([2]) .

وقد صرح المستشار الألمانى "شرودر" أنه يعارض ارتداء الموظفات والعاملات فى القطاع الحكومى للحجاب باعتبار أن ألمانيا دولة علمانية ، إلا أنه أعلن أنه لا يمنع الطالبات من ارتداء الحجاب فى المدارس . وعلى الرغم من هذا التصريح إلا أنه هناك بعض التكهنات التى تقول أن الحظر يمكن ان يصل إلى الولايات الألمانية التى تعتبر الحجاب رمزًا لتيار التطرف الإسلامى الذى يمثل خطرًا على النظام الديمقراطى العلمانى الذى يفصل بين الدين والدولة طبقا لتوجهات الحزب الاشتراكى الحاكم فى ألمانيا الذى يؤيد حظر الحجاب ([3]) .

([1]) كاظم جولاتش يوز ، جريدة ينى آسيا ، ٢٠٠٣/١٠/٧م .

([2]) http: www. Islamonline. Net / Arabic / news / 2005 .

([3]) الأهرام ٢٠٠٣/١٢/٣٠ ، مازن حسان ، رسالة فرانكفورت.

وفى نوفمبر ٢٠٠٣م تقدمت مجموعة عمل المرأة التابعة للحزب الاشتراكى باقتراح قانون يحظر ارتداء الحجاب فى المدارس الحكومية فى جميع الولايات الألمانية حيث ادعت أن الحجاب ينطوى على تفرقة بين الرجل والمرأة وقد صوت مجلس الحزب الاشتراكى فى ٢٠٠٥/١/٣١م لصالح المجموعة النسائية بالمنع الشامل لجميع الرموز الدينية فى المدارس والمصالح الحكومية . وقد أثار هذا التصويت قلق المسلمين فى كافة أنحاء ألمانيا ، وكانت ٦٤ هيئة إسلامية فى ألمانيا قد أعلنت قبل ذلك فى بيان مشترك فى أبريل ٢٠٠٤م أن الحجاب الإسلامى فريضة شرعية وليس رمزًا سياسيًا أو دينيًا ([1]) .

هذا وقد ظهر فى ألمانيا اقتراح قانون يمنع ارتداء المسلمات الحجاب، وعلى أثره تم منع معلمة ألمانية محجبه من أصل أفغانى من التدريس ، حيث لجأت إلى القضاء فى ولاية "بادن فيتمبرج" ضد مديرى التعليم الذين قضوا بمنعها من التدريس ، حيث قضت المحكمة بحق المدرسة فى أرتداء الحجاب ، لأن الحظر لم يتضمن الولاية التابعة لها المدرسة وقررت المحكمة حق المعلمة فى ارتداء الحجاب ، وقد قدم المجلس المركزى فى ألمانيا بيانا إيجابيًا فى هذا الشأن، باعتبار أن التدخل فى حجاب المرأة المسلمة يشكل تدخلاً فى حق كل مواطن يرغب فى ممارسة شعائره الدينية، وأنه يعنى تمييز صارخ فى حق المسلمين .

وانتقدت "مارى لويز" مفوضة الحكومة الألمانية لشئون الأجانب، حظر حجاب المعلمات فى المدارس، مصرحة أن هذا الأمر من شأنه عرقلة اندماج الأجانب فى المجتمع الألمانى، كما أنه يتناقض مع تحقيق مبدأ المساواة بين الأديان([2]) .

هذا وقد اتخذت المحكمة العليا الألمانية، قرارًا بإعادة المدرسة لعملها، وعندما تناولت الحكومة الألمانية مسألة حظر الحجاب للمسلمات كان قرارهم: "أنه فى حالة إصدار حظر الحجاب على المسلمات، فإنه يجب أن يشمل القانون حظر ارتداء الفتيات الكاثوليك والبروتستانت لزيهم الدينى، لأنه لا يمكن ازدواج القانون، وفى حالة تطبيقه، فإنه يجب على الجميع الالتزام به، وإلا فلا يمكن تطبيق قانون كهذا . هذا وقد أعلن الرأى العام الألمانى، رفضه حظر الحجاب بدون قانون،

([1]) www. Islamonline. Net / Arabic / news / 2005 .

([2]) الحياة ، ٢٠٠٣/١١/١٣ .

كما أوضح وزير الهجرة الألمانى فى هذا الشأن : "أن التجمعات الدينية فى المدارس الألمانية كثيرة، ولا يمكن حظر الحجاب، فألمانيا بها حرية فى تنفيذ الواجبات الدينية" .

وفى خطوة إيجابية قامت بها ألمانيا تجاه المسلمين الذين يعيشون فى المجتمعات الغربية – وذلك بمناسبة الجدل الذى احتدم حول منع اللدراسات اللواتى يرتدين غطاء للرأس من مزاولة التدريس، وأن هذا الغطاء يرمز لخنوع المرأة المسلمة – فقد أقامت السيدة "كيرستن موللر" وزيرة الدولة مؤتمرًا عن المرأة المسلمة بالتعاون مع معهد العلاقات الثقافية الغربية فى شتوتغارت، ومكتب وزارة الخارجية الألمانية فى برلين تحت عنوان "نماذج ايجابية لنساء مسلمات"([1]) .

وقد عقد هذا المؤتمر فى الفترة من ٢٢ – ٢٤ مايو ٢٠٠٤م .

وكان الهدف من هذا المؤتمر :

- فتح المجال للاستماع إلى النماذج الإيجابية للمرأة المسلمة الملتزمة، والتى تقوم بأداء مسئوليات فى كافة المجالات السياسية والحياتية.
- توضيح صورة النساء المسلمات لأجل التواصل وفتح المجال لفهم صورة الإسلام الصحيحة.
- مدى التزام المجتمعات الغربية بقيم التسامح والحرية، بعد الأحداث التى دارت فى الدول الأوربية بسبب غطاء رأس المرأة المسلمة.
- تحديد نوعية العلاقة التى تربط الغرب بالمسلمين الذين يعيشون داخل مجتمعاقم، وذلك إنطلاقاً من نظرة الألمان إلى المرأة المسلمة المقهورة المحرومة من حقوقها واستقلاليتها، وحقها فى تقرير مصيرها – كما فى أفغانستان .
- توضيح الوجه الآخر للنساء المسلمات اللائى يلعبن أدوارًا فعالة سواء فى ألمانيا أو فى بلادهن.
- إبدال التصور والمفهوم الخاطئ الذى يحمله الألمان عادة عن المرأة المسلمة .
- فتح طريق للحوار لا ينتهى بانتهاء المؤتمر ، بل العمل على استمراره عبر شبكة اتصال مفتوحة .

([1]) مؤتمر برلين عن المرأة المسلمة تحت عنوان : "نماذج إيجابية لنساء مسلمات" موقع على الإنترنت
WWW. Fikr. Com. Conf. Women berlin, htm. 13/8/2004 .

وقد دعت لحضور هذا المؤتمر الكبير، نخبة من السيدات المسلمات من مختلف البلاد العربية والإسلامية، من مصر، والعراق، والبحرين، والسعودية، وإيران، واليمن، والأردن، لبنان، وسوريا، والمغرب، والجزائر، والسودان، وفلسطين، وماليزيا، وأفغانستان، وأندونيسيا، وتركيا.

وتحدثت كل سيدة منهن عن تجربتها الناجحة فى الحياة والعمل، وكيف استطعن تقديم نموذج مشرف للمرأة المسلمة المحافظة العاملة .

وقد ذكرت وزيرة الدولة السيدة "كيرستن موللر" ورئيسة المؤتمر أن المحكمة الفدرالية الدستورية (ديسمبر/٢٠٠٣) أصدرت قرارًا بمنع المدرسات المسلمات من ارتداء الحجاب ، وكان سبب هذا القرار يعود إلى الرغبة فى أن يكون التعامل مع الأديان واحدًا ، وأن لا يكون فى المدارس أى رمز من الرموز الدينية ، ليبقى طلبة المدارس أحرارًا فى التفكير دونما مؤثرات دينية .

وترى السيدة كيرستن أن للمدرسات الحق والحرية فى التدين . ومن هنا برزت الإشكالية. ونظرًا لذلك فتؤكد السيدة كيرستن أن هذا اللقاء مع المسلمات، يعد فرصة للاستماع لبلورة صورة حقيقية وواقعية عن النساء المسلمات . وهذا من شأنه أن يوسع الرؤية ويبدل من الفهم للأمر ، وخاصة الاستماع لعامل "الإيمان" الذى هو مصدر القوة لأولئك النساء المسلمات ، وتضيف أنه من شأن الحوار أن يكسر حاجز الخوف والتعصب عند كلا الجانبين ، وأهمه ذاك التصور الغربى الخاطئ عن العالم الإسلامى والمسلمين، من حيث اعتبارهم كتلة جامدة واتجاهًا أصوليًا ، وبكلمة أخرى أنهم الغرباء الخطرون . وهذه هى الرؤية المتعصبة للمرأة المسلمة التى من شأنها أن تلحق الأذى والظلم بالغالبية المسلمة، ومن هنا فمن الواجب عدم إطلاق أحكام مسبقة ، والعمل على مراعاة الحقائق .

وتؤكد السيدة كيرستن : "نحن ندافع عن حقوق الإنسان فى العالم ونقف فى مواجهة من ينكرها. إن حقوق الإنسان ليست قيمًا غربية ، إنما هى حقوق عالمية نعمل على تحقيقها لكل الناس فى العالم" ([1]) .

وأضافت أن النضال ضد الإرهاب واحد ، لا يخرج عن نطاق الإرهاب المستخدم فى الشيشان وسجون العراق .

([1]) مؤتمر برلين ، المرجع السابق .

وإنه من المثير اليوم أن نرى جهودًا كبيرة تبذلها النساء المسلمات لأجل تفسير الشريعة وإزالة التميز المستخدم ضد المرأة .

وتذكر "أن هؤلاء النسوة يعتبرن قضية حقوق المرأة قضيتهن، التى تمثل جزءًا من ثقافتهن وتعاليمهن الدينية . ومن واجبنا أن نستمع إلى أساليب طرقهن للموضوع بمزيد من التفصيل ، وعلينا أن لا نغفل عن حقيقة وجود الإسلام فى الغرب، حيث يعيش فى ألمانيا ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم، واثنا عشر مليون مسلم فى دول الاتحاد الأوربى ، والتعايش الغربى مع الإسلام لم يكن ليخلو من التوتر ، ولا من الصور النمطية التى يحتفظ بها كل جانب عن الآخر .

فالمجتمعات الإسلامية غالبًا ما تتهم الغرب بالفردية والمادية والسعى وراء الأرباح وخلوه من القيم الحقيقية . وبالمقابل فإن الغرب يتهم العالم الإسلامى بكونه مجتمعًا متخلفًا قائمًا على تراكيب تقليدية جامدة ، عاجزًا عن التقدم والتطور. و مفهوم الأسرة فى العالم الإسلامى، وترابطها لعدة أجيال يحمل أهمية يفتقدها الغرب. وهذا من شأنه أن يعزز فهمنا للدور الذى تلعبه المرأة المسلمة" .

وتقول السيدة "كريستين" أن المجتمع الغربى مجتمع علمانى ينظر إلى الدين على أنه شأن خاص ، لا علاقة له بالدولة . وبالمقابل فإن العديد من المجتمعات الإسلامية ينظرون إلى الدين بفخر ، فهو الذى يحكم حياقم الخاصة والعامة" .

وتؤكد أنه نظرًا لتلك الفروق والاختلافات ، فقد بات الحوار مطلوبًا كى نصل إلى اتفاق قائم على قيم مترابطة ومشتركة . وأكدت السيدة "موللر" من خلال كلمتها البليغة إلى ضرورة ترابط المجتمعات، وفهم كل منها للآخر على أساس احترام ديانته وعقائده ومبادئه التى يسير عليها . وتضيف على هذا قولها:

"علينا أن نتوقف عن بناء الجدار الذى يفصل بعضنا عن البعض ، وأن نسهم فى معرفة بعضنا بعضًا لنضع حدًّا للمفاهيم والتصورات الخاطئة .

وتضيف السيدة كريستين أن علينا فى ألمانيا أن نحرز تقدمًا أكبر فى سياسة الاندماج، وقد كنا نركز لسنوات بل لعقود، على إبعاد هؤلاء المهاجرين (غير المرغوب فيهم) بعيدًا عن بلادنا ، بدلاً من أن نركز على كيفية اندماج المهاجرين – الذين يعيشون معنا – فى مجتمعنا . علينا نحن كبلد قائم أصلاً على تجمع هجرات أبنائه أن يحدد تعريفًا للهجرة فى المصطلح الحديث (١) .

---

(١) مؤتمر برلين ، المرجع السابق .

نحن بحاجة لقانون هجرة جديد نضمن فيه حق اللجوء السياسى ، وعدم تعرض المرأة للانتهاكات أو إرجاعها مثلاً إلى بلاد تصبح حياتها فيها مهددة بسبب جنسها" .

وترى السيدة كيرستن أن الوعى بالحداثة ومحاولات الإصلاح قائمة الآن فى منطقة الشرق الأوسط، وأن كل الدول عليها أن تقوم بمعالجة مشاكلها بنفسها، وعليها أن تتبنى طرق الإصلاح وفقا لأفكارها وإمكانياتها، وترى أن مفهوم الحداثة لا يمكن أن ينبع إلا من الداخل ولا يمكن فرضه من الخارج، وتؤكد أن الاتحاد الأوربى وألمانيا على استعداد للعمل والتعاون مع الدول العربية والإسلامية فى سبيل ايجاد مستقبل أفضل قائم على المساواة والمشاركة ([1]) .

وخلال هذا المؤتمر النموذجى قدمت النساء المسلمات اللاتى تحدثت كل منهن عن تجربتها الإيجابية فى مجتمعها، وأدوارهن المؤثرة سواء داخل الأسرة أو فى عملها الخارجى، واشتراكهن بالعمل التطوعى فى الجمعيات الخيرية، والمشاريع الخيرية التى تعمل فى إغاثة المحرومين، ورعاية الأيتام والأرامل والأطفال المحتاجين والمرضى، وإقامة الحفلات الخيرية، وجمع التبرعات، وقيامهن بترجمة تعاليم الإسلام إلى واقع معاش، إلى جانب اهتمامهن بالثقافة والتعليم والمعرفة .

هذا وقد انبرت إحدى السيدات المحجبات لتتحدث عن غطاء رأسها قائلة : إن غطاء الرأس الذى أرتديه إنما أغطى به شعرى وليس عقلى، وإننا كنساء مسلمات بغطاء رأس أو من دونه، نعلن عن استعدادنا للبحث عن كل ما فيه خير الإنسان والانسانية والعمل لتحقيقه .

هذا وقد اختتم الحوار سفير التحاور مع البلدان الإسلامية السيد "مولاك" بجملة معبرة جاء فيها : "بما أننى الرجل الوحيد بين هذه المجموعة المتميزة من النساء يمكننى القول : لو أن الرجال فى المجتمعات مثل هذه النخبة من النساء لكان لنا شأن آخر" ([2]) .

تلك هى الرؤية الغربية الإيجابية التى احتذتها ألمانيا من خلال هذا المؤتمر تضعنا أمام مسئولية توضيح المفاهيم الإسلامية الخاطئة والمغلوطة التى يتقول بها بعض المتشددين تجاه الإسلام من علمانيين وأصحاب الفكر الليبرالى الغربى .

والآن فلنتحاور مع عقلاء العلمانيين فى تلك القضية، فهؤلاء العلمانيون الذين يرفضون غطاء رأس المرأة المسلمة، إنما ينطلقون من عدم فهمهم الصحيح للإسلام . بل وعدم فهمهم لأسس ومبادئ الأديان جميعها، فالأديان جميعًا تتفق على صون المرأة وحفظها من كل سوء .

([1]) المرجع نفسه .

([2]) تابع مؤتمر برلين ، المرجع السابق.

وغطاء رأس المرأة والحجاب فى الإسلام بما فيه من أنواع التحشم فى الملبس وأداب السلوكيات – سواء فى صوت المرأة أو حركتها أو ايماءاتها ظاهرًا وباطنًا إنما هو أمر مفروض بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة ، وهو ليس من النوافل ، بل هو ما أمر به القرآن ، وهو الخلق الإسلامى الذى يطلبه الله من أبناء جنسه لتنظيم الحياة واستقامتها وأمنها . وفى الوقت نفسه لا يمنعها ولا يعيقها عن المشاركة فى كل الأعمال التى ترقى بها بنفسها ومجتمعها .

فالحجاب قضية اساسية لا اختلاف عليها، وهو جزء من العقيدة الدينية للمسلم . والمسلم يؤمن بأنه لا يجوز له دينيًا ان تخلع امرأته الحجاب ، والفتاة أو المرأة تدرك جيدًا أن خلعه يعرضها لغضب الله ، فكيف يحق لإنسان أن يقوم بتغيير عقيدتها؟ فهو أمر يتعلق بطاعتها لله وبخلقها وتربيتها وعفافها وطهارتها، والخُلق الحسن والعفاف والطهارة والاستعلاء على نداءات الفتنة والإغراء المتوسم فيه فى النساء أمر تطلبه وتحث عليه جميع الأديان .

ومما يجدر ذكره فالحجاب للمرأة المسلمة ليس رمزًا دينيًا ، بل يؤدى وظيفة الستر والاحتشام ، والمسلمة مأمورة بأن تحتشم فتغطى شعرها وعنقها ونحرها وهذا هو معنى الحجاب .

والغرب يسمح للمؤمنين بعقيدة السيخ أن يلبسوا عمامة ، ويأخذوا ترخيصا بقيادة الدراجة البخارية دون أن يرتدوا "الخوذة" المقررة لقيادة الدراجات فى سبيل السماح لهم بارتداء عمامتهم السيخية .

والعلمانيون المتشددون يعملون جهدهم بكل الوسائل لإنكار أى مظهر إسلامى وتشوية صورته أمام العالم الغربى مدعين أن كل من ترتدى نقابًا إنما يعنى ذلك الارهاب متسترًا خلفه ، وهذا الأمر يستدعى جهودًا كبيرة للمسلمين فى شتى أنحاء العالم من أجل عودة الثقة بالمسلمين فى العالم وتصحيح صورته .

والخلاصة فالمرأة التى تلتزم بمبادئ وأخلاقيات دينها ، وتراقب نفسها وسلوكها وتتخذ مظهرًا متزنًا وقورًا فى ملبسها وزينتها وحركتها ، وتتبع مبدأ الوسطية فى الإسلام ؛ فلا تساهل وتبذل، ولا تشدد وتضيق ، سالكة مسلك الجدية فى معاملتها ، وتحرص على العلم والتعلم والعمل ، وتطبق مبادئ دينها مع مجتمعها القائم على المساواه والعدل والتعاون والتراحم ، هى المرأة الناجحة فى عملها ، الجديرة بالثقة فيها والاعتماد عليها فى تطور المجتمع وتقدمه، وهى القادرة على الاندماج والانفتاح على التطورات العالمية ، سواء كانت علمية أو إجتماعية، تلك المرأة هى المقبولة فى مجتمعها التى لا يخشى عليها من تطورات الانفتاح العالمى فتنال فخر مجتمعها بها ورضا الله عنها .

النتائج والتوصيات

تناولت هذه الدراسة موضوع الحجاب الذى يشغل العالم هذه الآونة باعتباره مظهرًا ورمـزًا إسلاميًّا يجب حظره .

وقد أثبتت الدراسة أن تحشم المرأة وتسترها أمام المجتمع وفرض احترامها ووقارها لفرضية تحتمها جميع الأديان وتتفق على أهميتها .

وقضية حجاب المرأة فى الإسلام ، قضية شرعية وفقهية جاءت بنص قرآنى صريح موجه إلى كل المسلمات المؤمنات المحافظات على شرفهن والطائعات لخالقهن، ولسنا فى حاجة إلى إثباتها أو نفيها أو الخوض فيها باعتبارها فرضًا وأمرًا الهيًّا موجه إلى كل مسلمة مؤمنة. وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م أصبح الحجاب مستهدفاً باعتباره وسيلة لنفوذ التيار السياسى الإسلامى، وأصبح الهجوم على الحجاب اتجاهًا وهدفًا مباشرًا للعلمانية باعتباره رمزا للإسلام ، متجاهلين الحقوق الشرعية والإنسانية التى ينادون بها.

وأثبتت الدراسة :

- أن تستر المرأة وعفتها واحتشامها وغطاء رأسها أمر تتفق عليه جميع الأديان– سواء الوضعية أو السماوية – منذ العهود الأولى ، وانتهاء بالإسلام الذى ورد فيه نص صريح ملزم وأمر إلهى مفروض بنصوص القرآن والسنة .
- طبقا لأحكام الشريعة اليهودية فى غطاء رأس المرأة فإن جميع الكتب التشريعية اليهودية والخاصة بالتوراة أو التلمود تأمر المرأة بالتحشم والتستر وتغطية رأسها .
- تلتزم المسيحية بضرورة تستر المرأة حفظا على شرفها وتعبيرا على خضوعها لامر الله.
- أن قرار حظر الحجاب فى تركيا لا يتضمنه نص فى الدستور التركى .
- دور الجيش التركى المناهض للحجاب .
- انقسام المجتمع التركى فى شأن حظر غطاء الرأس للمرأة ، فهناك إسلاميون يتمسكون بشرعية الحجاب ، وعلمانيون معتدلون يؤكدون أحقية ارتدائه باعتباره حقا من حقوق الإنسان، وعلمانيون متطرفون يطالبون بنزعه وإشاعة السفور .
- أن القرار الفرنسى بحظر حجاب المرأة تأكيدًا لمبادئ العلمانية يدخل فى نطاق عدم وضوح الصورة الصحيحة للإسلام كما يقع فى محظور تحريم حقوق الإنسان الطبيعية

•إظهار احترام الشعوب الأوربية مثل ألمانيا وروسيا وغيرها لحق المرأة المسلمة فى ارتداء الحجاب.

•الحجاب ليس رمزًا للإسلام؛ لأنه له وظيفة ستر المرأة، والرمز ليس له وظيفة مثل الصليب للمسيحية والقلنسوة لليهودية فالحجاب فرض إلهى ملزم على كل مسلمة .

وتقترح الدراسة عددًا من الحلول للحد من إثارة هذه القضية وهى:

١- العمل على توضيح مفهوم الحجاب فى الأديان عمومًا والإسلام خاصة لتصحيح المفاهيم المغلوطة ضده .

٢- تفعيل التعاون الدولى بين المؤسسات الإسلامية بهدف توصيل المعلومات الصحيحة .

٣- تنظيم الندوات والمؤتمرات لإبراز نماذج للمرأة المتطورة والناجحة فى كافة مجالات الحياة مع احتفاظها بمظهرها الخارجى المحتشم .

٤- عمل الدراسات والبحوث التى توضح الدور الفاعل للمرأة فى المجتمع وعدم التعارض بين عقيدها وبين اختلاطها بالمجتمع ومظهرها الخارجى .

٥- إبراز القيم الأخلاقية التى تتوافق فى الاديان وخاصة حدود تعاملات المرأة مع المجتمع .

٦- إظهار الدور العالمى القوي للإسلام فى مواجهة القضايا التى تثار ضده .

٧- العمل على مد يد المساعدة للجاليات الإسلامية الموجودة بالخارج عن طريق مدهم بالكتب والدراسات والبحوث التى تساعدهم على إظهار الصورة الإسلامية الصحيحة.

٨- بحث مدى التزام المجتمعات الغربية بقيم التسامح والحرية ونبذ التعصب والتشدد على مستوى الأديان.

٩- عقد ندوات على المستوى الدولى لتحديد نوعية العلاقة التى تربط الغرب بالمسلمين الذين يعيشون داخل مجتمعاهم .

١٠- توضيح الوجه الآخر للنساء المسلمات اللائى يلعبن أدوارًا فعالة سواء فى بلادهن أو خارجها مع الالتزام بما فرضه دينها عليها.

١١- دور وسائل الإعلام فى إبدال التصور والمفهوم الخاطئ الذى يحمله الغرب عن المرأة المسلمة .

١٢- توصيل فكرة فرضية الحجاب فى الإسلام إلى الرأى العام العالمى عن طريق وسائل الإعلام والقنوات الفضائية والإنترنت ووسائل الاتصال المختلفة .

١٣- اقتراح تنظيم مؤتمر عالمى عن "آداب الحجاب فى الأديان" باعتباره نقطة التقاء فى حوار الأديان.

وختام القول نقول للمجتمعات الغربية والعالم أجمع أن الحجاب كنظام سلوكى واجتماعى أساس من أساسيات الأديان جميعًا يهدف إلى الحفاظ على احترام المرأة ، ويؤمن لها وسائل حمايتها وغطاء الرأس ، هو جزءا من سلوكيات وأخلاقيات التحشم والتستر الذى يجب على المرأة التمسك به ، وذلك من منطلق فطرة المراة التى خلقها الله عليها .

والحجاب فى الإسلام إنما هو أمر وفرض إلهى تلتزم به كل مسلمة تقية نقية طاهرة حتى تنال رضى الله عنها فتصبح جديرة بقوله تعالى فى سورة النور {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)} . صدق الله العظيم

المصادر والمراجع

المصادر :

١- القرآن الكريم

٢- كتب السنة

٣- أحمد بن حنبل ، المسند ، مؤسسة قرطبة ، مصر .

٤- أحمد بن شعيب النسائى ، سنن النسائى ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ط٢ ، تحقيق عبدالفتاح أبى غدة .

٥- سليمان بن أحمد الطبرانى ، المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، تحقيق حمدى بن عبدالمجيد السلفى .

٦- عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى ، الترغيب والترهيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٧هـ ، تحقيق إبراهيم شمس الدين .

٧- محمد بن إسماعيل البخارى ، صحيح البخارى ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا .

٨- محمد بن عيسى الترمذى ، سنن الترمذى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين .

٩- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

٣- الكتاب المقدس

* أسفارالعهد القديم .

* أسفار العهد الجديد .

المراجع العربية :

١٠- ابن الجوزى ، غريب الحديث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م .

١٢- ابن تيمية ، الإمام تقى الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ، الفتاوى، الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، د . ت .

١٣- ابن سلام ، غريب الحديث ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٣٩٦هـ .

١٤- أبو الأعلى المودودى، الحجاب ، دار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٩٨٥.

١٥- أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، ج٤ ، ط٩، القاهرة ، ١٩٩٣م .

١٦- أحمد شلبى ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، ج٣ ، ط١٢ ، القاهرة، ١٩٩٧م .

١٧- أحمد فخرى ، اليمن فى ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٨- إسماعيل منصور ، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب ، الحقوق محفوظة للمؤلف ، ١٩٩٠م .

١٩- أكمل الدين إحسان ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة صالح سعداوى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ، ١٩٩٩م .

٢٠- البهى الخولى ، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، دار القلم ، الكويت ، ط٥ ، ١٩٩٤م.

٢١- الخورى جرجس ، شرح رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ، منشورات المعهد ، المعادى ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

٢٢- القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ، ط٢ .

٢٣- اميمة بنت أحمد شاهين الجلاهمة ، الخطيئة الأولى ، بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ١٩٨٧م .

٢٤- تحية كامل حسين ، الأزياء المصرية من الفراعنة حتى عصر محمد على، دار المعارف ، القاهرة .

٢٥- جعفر هادى حسن ، اليهود الحسيديم ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٤م .

٢٦- جون وسيلى ، الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ، تعريب عزت زكى ، مكتبة النيل المسيحية .

٢٧- جين هوب بورن فان لون ، بوذا ، ترجمة امام عبدالفتاح امام ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٣٠٣ ، ٢٠٠١م .

٢٨- حسن ظاظا ، الفكر الدينى اليهودى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م .

٢٩- ديفيد لاندو ، الأصولية اليهودية ، ترجمة مجدى عبدالكريم ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤م

٣٠- رشاد الشامى ، القوى الدينيـــة فى إســـرائيل ، عـــالم المعرفـــة ، الكويـــت ، ١٨٦ ، يونيو ١٩٩٤م .
٣١- رشاد الشامى ، الوصايا العشر فى اليهودية ، دراسة مقارنة ، دار الزهـــراء للنشـــر ، القاهرة ، ١٩٩٣م .
٣٢- رشاد الشامى ، جولة فى الدين والتقاليد ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
٣٣- رشاد الشامى، الرموز الدينية فى اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ١١ ، ٢٠٠٠م .
٣٤- رضا هلال ، السيف والهلال ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
٣٥- روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعى ، دار الفكر للدراسات ، القاهرة ، باريس ، ١٩٨٩ .
٣٦- سعيد النورسى ، اللمعات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، سوزلر للنشـــر، القـــاهرة، ١٩٩٣م .
٣٧- سعيد النورسى ، مرشد أخوات الأخرة ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
٣٨- سناء عبداللطيف ، الجيتو اليهودى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م .
٣٩- سهيلة الحسينى ، المرأة فى منهج الإمام الغزالى ، دار الرشاد ، القاهرة، ١٩٩٨م .
٤٠- شارل لوران ، الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ترجمة يوسف حنا نصر الله ، دراســة وتقديم أحمد حجازى السقا ، مكتبة النافذة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
٤١- شمس الدين الفاسى ، الوضع المتسامى للمرأة فى الإسلام ، دار المعارف، ١٩٩١م.
٤٢- شمعون مويال ، التلمود ، تقديم ليلى أبو المجد ، الـــدار الثقافيـــة للنشـــر ، القـــاهرة، ٢٠٠٤م.
٤٣- عباس العقاد ، المرأة فى القرآن ، المكتبة العصرية ، بيروت .
٤٤- عباس العقاد ، عبقرية محمد ، سلسلة اقرأ ، عدد ٣١٣ .
٤٥- عبدالحليم أبو شقة ، تحرير المرأة فى عصر الرســالة ، ج٣ ، دار القلــم ، الكويــت، ١٩٩٥م .

٤٦- عبدالعزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ٤ أجـزاء ، مكتبـة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٤٧- عبدالعزيز عوض الله ، الحياة الحزبية فى تركيا الحديثة ، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة ، العدد ٢٤ ، ٢٠٠٢م .

٤٨- عبدالعزيز عوض الله ، حزب العدالة والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٤٩- عبدالكريم مشهدانى ، العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيـا، المكتبـة الدولية ، الرياض ، ومكتبة الخافقين ، دمشق ، ١٩٨٣م .

٥٠- عبدالمتعال الجبرى ، المرأة فى التصور الإسلامى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٥، ١٩٨١.

٥١- عبدالوهاب المسيرى ، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، مجلدان ، دار الشـروق ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٥٢- عبدالوهاب المسيرى ، اليد الخفية ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٥٣- عرفان عبدالحميد ، النصرانية ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٠م .

٥٤- عزيز خانكى بك ، ترك واتاتورك ، المطبعة العصرية ، مصر ، بدون تاريخ.

٥٥- على الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار السلام ، لندن ، ١٩٨٧م.

٥٦- فؤاد حبيب ، كنوز المعرفة ، خلاص النفوس للنشر ، يوليو ٢٠٠٢م .

٥٧- فرانز شايدل ، إسرائيل أمة مفتعلة ، ترجمة محمد جلال ، دمشق ، ١٩٦٩م .

٥٨- فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس ، دار القلم ، بيروت.

٥٩- متيس عبدالنور، كنيسة الله، دراسة فى رسالة كورنثوس الأولى صـدر عـن call of Hope, West Germany .

٦٠- محمد الغزالى ، قضايا المرأة بين التقاليد الراكـدة والوافـدة ، دار الشـروق ، ط٦ ، ١٩٩٦م .

٦١- محمد المفتى الجزايرلى ، تقرير عن تركيا وانقلاباها الحديثة بعد الحرب ، مرفوع إلى وزارة الخارجية المصرية ، بدون تاريخ .

٦٢- محمد بحر عبدالمجيد ، اليهودية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، سلسـلة الدراسات الدينية والتاريخية ، عدد ٢٠ ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٦٣- محمد بن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٥هـ .

٦٤- محمد جميل بيهم ، العرب والترك فى الصراع بين الشرق والغرب ، بيروت ، المطبعة الوطنية ، ١٩٥٧م .

٦٥- محمد حرب ، السلطان عبدالحميد الثانى ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٠م .

٦٦- محمد حرب ، العثمانيون فى التاريخ والحضارة ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٩م .

٦٧- محمد خليفة حسن ، تاريخ الديانة اليهودية ، دار قباء للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

٦٨- محمد رشيد رضا ، حقوق النساء فى الإسلام ، المكتب الإسلامى ، تعليق محمد ناصر الدين الألبانى ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦٩- محمد زكى إبراهيم ، معالم المجتمع النسائى فى الإسلام ، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية ، ط٣ ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٧٠- محمد عاطف الأسكليبى ، تستر شرعى ، استانبول ، ١٩٢٦م .

٧١- محمد عبدالله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن الكريم ، تعريب وتحقيق عبدالصبور شاهين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ ، ١٩٨٥ .

٧٢- محمد عبدالمقصود ، المرأة فى جميع الأديان والعصور ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

٧٣- محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٦م .

٧٤- محمد فتح الله كولن ، ، أسئلة العصر المحيرة ، ترجمة أورخان محمد على ، استانبول ، تركيا ، ٢٠٠٢م .

٧٥- محمد فتح الله كولن ، الموازين ، ترجمة أورخان محمد على ، دار النيل للطباعة والنشر ، إستانبول ، تركيا .

٧٦- محمد فتح الله كولن ، محمد النور الخالد ، دار النيل ، مؤسسة الرسالة ، استانبول، ١٩٩٩م .

٧٧- محمد متولى الشعراوى ، وسيد طنطاوى وآخرون ، الغارة على الحجاب ، مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٧٨- محمود شاكر ، التاريخ الإسلامى ، العهد العثمانى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٨٣ - ١٨٥ .

٧٩- محمود عبدالسميع شعلان ، نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام ، ج١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٣م .

٨٠- مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، رؤى مغايرة ، مايو ١٩٩٧م .

٨١- مصطفى الزين ، ذئب الأناضول ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص، ١٩٩١م .

٨٢- مصطفى صبرى ، قولى فى المرأة ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨٢م.

٨٣- مصطفى طوران ، يهود الدونمة ، ترجمة كمال خوجة ، دار الإسلام ، استانبول، ١٩٧٧م .

٨٤- مصطفى محمد، الحركة الإسلامية الحديثة فى تركيا ، ألمانيا الغربية ، ١٩٨٤م.

٨٥- ناشد حنا ، تفسير رسالة بولس الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، مكتبة كنيسة الأخوة، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٨٦- نظمى لوقا ، محمد الرسالة والرسول ، مطابع دار الكتاب العربى ، ، مصر ، ط٢، ١٩٥٩م .

٨٧- نعمة على مرسى ، المرأة المسلمة فى آسيا الوسطى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، دار الأمانة ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

٨٨- هاملتون سميث، الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ، بيت عنيا ، يناير ٢٠٠٢م.

٨٩- هاينتس كرامر ، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد ، تعريب فاضل جنكر ، العبيكان، واشنطن ، ٢٠٠١م .

٩٠- هدى درويش ، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

٩١- هدى درويش ، حقيقة يهود الدونمة فى تركيا ، وثائق جديدة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

٩٢- هدى درويش العلاقات التركية اليهودية ، دار القلم ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

٩٣- وليم أدى ، الكنز الجليل فى تفسير الإنجيل ، المطبعة الأميركانية ، بيروت .

٩٤- وليم باركلى ، تفسير العهد الجديد ، نقله إلى العربية القس باق صدقة ، دار الثقافة المسيحية ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ط٢ .

٩٥- يوسف القرضاوى ، فتاوى معاصرة ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

٩٦- يوسف القرضاوى ، مركز المراة فى الحياة الإسلامية ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦م .

٩٧- يوسف القرضاوى الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١م .

دوريات :

٩٨- المختار الإسلامى ، نوفمبر ١٩٨٧م .

٩٩- جريدة الأهرام ، ٢٠٠٣/١١/١١م ، ٢٠٠٣/١٠/١٢م ، ٢٠٠٤/٢/١٧م ، ١٩٩٧/٧/١٩م ، ٢٠٠٣/٩/٢٣م ، ٢٠٠٣/١٢/٣١م ، ٢٠٠٤/٢/٤م .

١٠٠- جريدة الحياة ، ٢٠٠٤/١/١١ . ، ٢٠٠٤/١/١٢م . ، ٢٠٠٣/١١/١٣م . ، ٢٠٠٤/١/١٤م . ، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م ،. ٢٠٠٣/١٢/٢٠م . ، ٢٠٠٤/٢/٢٢م . ، ٢٠٠٤/٢/٢٩م . ، ٢٠٠٣/١٢/٤م . ٢٠٠٤/١/١٠م ، ٢٠٠٤/١/١١م . ٢٠٠٤/١/١٨م . ١٩٩٩/٩/٢٣م ، ١٩٩٨/١/٨م .

١٠١- جريدة المجتمع الإسلامى ، عدد ١٦١١ ، ٢٠٠٤/٧/٢٤م .

١٠٢- خليل العنانى ، ثورة اوربا ضد الحجاب أم ضد الهوية الإسلامية ، البيان، عدد ١٩٧، مارس ٢٠٠٤م .

١٠٣- سلوى عفيفى ، أخبار اليوم ٢٠٠٣/١١/٢٢م .

١٠٤- صحيفة السياسة الأسبوعية ، كيف زال النقاب من تركيا ، العدد ٥٤ ، ١٩ مارس ١٩٢٧ .

١٠٥- صحيفة المدينة ، ٢٠٠٤/٦/٢٣ ، عدد ١٥٠٦٦ .

١٠٦- عبدالحليم غزالى ، الأهرام ، ٢٠٠٣/١٠/٢٣م .

١٠٧- عبدالحليم غزالى ، رسالة أنقرة ، الأهرام ، ٢٠٠٢/١٢/٥م .

١٠٨- عبده مباشر ، الأهرام ، ٢٠٠٣/١١/١٦م .

١٠٩- عبده مباشر ، الأهرام ، قضية الحجاب والغرب ، ٢٠٠٣/١١/٢م .

١١٠- فوزية محمود سليمان ، ضجة جديدة حول الحجاب تفتح ملف حقوق المسلمين فى فرنسا ، البيان ، العدد ١٩٧ فبراير - مارس ٢٠٠٤م .

١١١- ليلى حافظ ، رسالة باريس ، الأهرام ، ٢٠٠٣/٥/٣م .

١١٢- مازن حسان ، رسالة فرانكفورت ، الأهرام ، ٢٠٠٣/١٢/٣٠م .

١١٣- مجلة الأزهر ، بيان من جبهة علماء الأزهر بشأن حجاب المرأة المسلمة، جزء ٤ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

١١٤- مجلة البيان ، عدد ٣٦ ، ص٦٣ .

١١٥- محمد حرب ، خواطر عائد من استانبول ، جريدة الأحرار ، ١٩٩٦/١١/١٥م ، مقال بعنوان الوعى الإسلامى فى تركيا .

١١٦- محمد قواص ، أصولية علمانية فرنسية فى وجه الأصولية الإسلامية ، الحياة، ٢٠٠٣/١٢/٢٠م .

١١٧- محمود السيد زعيم ، أقطاب الجمهورية يتصدون للتعليم الشرعى والحجاب ، جريدة الحياة ، ١٩٩٨/١/٨م .

١١٨- هدى درويش ، إسلام متوازن يهتم بالجوهر لا بالشكل ، جريدة القاهرة ، العدد ١٤٥ ، ٢٠٠٣/١/٢١م .

١١٩- هدى درويش ، عقيدة القبالاه ودورها فى تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة ، مجلة الدراسات الشرقية ، عدد ٣٣ ، ٢٠٠٤ .

١٢٠- يشعياهو ليغمان ، العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٦٦ ترجمة محمد محمود ابو غدير ، مراجعة وتقديم إبراهيم البحراوى ، القاهرة ن ٢٠٠٢م .

دوريات تركية :

121- Akit, s.2 (7 Mayis, 2000).

122- Nokta, 9-15 Mayis 1999 (S.6).

١٢٣- جريدة زمان التركية ، عدد ١٣٦٦ تاريخ ٢٠٠٢/١١/١٦م .

١٢٤- جريدة ينى آسيا التركية ، ٢٠٠٣/١٠/١٣م .

١٢٥- صحيفة عقد التركية ، ١٩٩٩/١٠/٢٨م .

١٢٠- كاظم جولاتش يوز ، جريدة ينى آسيا ، ٢٠٠٣/١٠/٧م .

دوريات إسرائيلية :

١٢٧- ليلى أبو المجد ، "التمييز ضد المرأة اليهودية فى المحاكم الشرعية فى إسرائيل" ، مختارات إسرائيلية ، عدد ١١٩ ، نوفمبر ٢٠٠٤م .

١٢٨- ميرسويسا، افيشاى بن حاييم، مقال بعنوان: والآن فى بنى باراك، ارصفة للنساء وأخرى للرجال، صحيفة معاريف، ص١٧، ٣١/٥/ ٢٠٠٤م

المعاجم :

١٢٩- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت .

١٣٠- أبو الفتح ابن المطرز ، المغرب فى ترتيب المعرب ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، ١٩٧٩م ، ط١ ، تحقيق محمود فاخورى وعبدالحميد مختار .

١٣١- الجرجانى ، التعريفات ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

١٣٢- الزبيدى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، ١٣٠٦هـ .

١٣٣- الفيروز أبادى ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٩م .

١٣٤- الفيومى ، المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، بيروت .

١٣٥- دائرة المعارف العبرية ، القدس ، تل أبيب .

١٣٦- دائرة المعارف الكتابية ، دار الثقافة ، القاهرة .

١٣٧- رشاد الشامى ، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصرى، ٢٠٠٣م.

١٣٨- عبدالوهاب المسيرى موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٥م. .

١٣٩- معجم اللاهوت الكتابى ، دار المشرق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م .

مرجع عثمانى :

١٤٠- أنكه لهارد ، تركيا وتنظيمات دولت عليه نك تاريخ اصلاحاتى ، استانبول، ١٨٢٦ - ١٨٨٢ .

المراجع الانجليزية :

141- "Merve and Her Scarf Prompt Application for Fazilet Closure," Briefing 1241, May 10, 1999, and "politicians 0, Justices1," Briefing 1242, May 17,1999.

142- Gulnur Aybet, "The CFE Treaty: The Way Forward For Conventional Arms --- Control in Europe,"perceptions, vol. 1 (March – May

1996),"The CFE Flank Dispute: Waiting in The Wings," International Security, vol. 19 (Spring 1995), pp. 118 – 44 .
143- Kimrosse, Lord, Atatürk, The Rebirth of a Nation, London, Weiden Feld and Nicolson, 1964, 420 .
144- Lewis, Geoffrey Lewis, Turkey, Second Tmpression, London, Ernest Benn, 1959, pp. 90-92 .
145- Stanford J., History of the Ottoman Empireand Modern Turkey, Vol.2: The Rise of Modern Turkey, 1808 – 1975 Cambridge, Cambridge Universitg Press, 1977, P.385 .
146- The Zohar, 5. Vols, Translated by Harry Sperling & Maurica Simon, The soncino press, London, Jerusalem, New York, reprinted 1970-. p 28 .
147- U.S News and Uorld Report 16/3/1998 .

المراجع التركية

148- Abdul Kadir Karahan : Esk: Tarih Edebiyati .
149- Ahmed Rafik Altun, H.Onuncu asırda Istanbul yaşamı,Endrun kitaplari,Istanbul,1988.
150- Ali Ak, Süleymancilik, Istanbul, 1987 .
151- Atatürkün söylev ve demecleri 11, Konya 1923.
152- Ayşe Kadiköy, Düşüncelerim, Mayis, 1329, No: 31.
153- Aziz Hajdar, Bizde Kız evladlarının tahsili, nisan 1329, no : 13 .
154- Balik Hane Naziri Ali Bey, Bir dönemde Istanbul, Tercüman 1001, Istanbul , 1978.
155- Bir bortre Denemesi M.Fethullah Gülen ,Ali Unal < Istanbul, 2002,
156- Cafer Tayyar : Dokunmayin Bacima, s. 33 Islamoğlu Yayincilik ve Dağitim . Istanbul, 1986
157- Efet Halim, Modern Türkiyede kadın , Ankara, 1933,
158- Ekrem işin ,Ondokuzuncu asırda Türkiye medeniyetleşme ve günlük yaşam,iletişim yayinlari.
159- F. Şerefeddin, Kadınlar Maarif, no: 62 .
160- Feride izzet Selim, Kadınlarımızda luzumi Tahsil, 11, no: 160, .
161- Feride Magmum, En Büyük Talebimiz, Nisan, 1329, No :4 .
162- Göndüz Okcün, Osmanli sanayi 1913 – 1915 yılları Sanayi Istatistikleri, A- U, Ankara, 1970 .
163- Hasan Cemal: Kimse Kızmasın, KENDIMI YAZDIM, S. 300-, 3. baski, Istanbul, 1999.
164- Hatice, Kızlarımzın Luzumi – Tahsil, Haziram, 1329, No : 88.
165- Ibrahim Hakki , Marifetname .

166- Kadınlar Dünyası, Avrupada Kızlarımızın sadası, Mayis, 1329. NO: 42, .
167- Leyla Saz, Harem yaşamının sırları ,Sadi Burak, Istanbul,1974 .
168- Molar,istanbuldan Mektuplar,Tercüman 1001, Istanbul,1978.
169- Munise Beşikoğlu, babam Riza Tavfik, Tarih Toplum, Eylül, 1988, .
170- Nevbahar Horhor, Tarakkide Şahsiyctilc uğraşmak olmaz, 4 Mayis, 1329, no: 31, .
171- Nezihe Muhlis, Konferans, 6Nisan 1329, no : 3.
172- Nihal Şikofa, Partimizin Mücadelesi , 1993.
173- Osman Nuri Ergin, Türkiye Marrif Tarihi, Osman bey Matbaasi, Istanbul , 1939, c. 3.
174- Osmanlı Istanbulda Evlilik ve Hane Kurma Toplum ve Bilim, 1988, mo 42, .
175- Pars Tuğlacı, Osmanlı döneminde Istanbul kadınları,istanbul,1984.
176- Perihan Arif, Sarigüzel, "Azim ve Sebat" 7 mayis 1329, no 27, .
177- S. lütfü Üsküdar, Muhterem Kadınlar Dunyas, Vasitasiyla, 10 , 1329. no : 115 .
178- S.l. Şamlı, Hayat Nereviyemizde Fikdan Maarif, Nisan: No : 8, .
179- Sabiha Sertel , Kadınlar ve intihap,büyük mecmuesi 14, 1919.
180- Sahin Merlut, Genc, Akademi Dergisi, Istanbul, Akim, 1995, .
181- Sehmuz güzel, Tanzimatten cumhuriyete Toplumsal değişme ve kadın . c. 3 .- Seniha Fuad ?Göztepe, Maarif, Mayis, 1329, No, 28, .
182- Serpil Cakir,Osmanlı kadın hareketi, Metis yayi,Istanbul 1996.
183- Şevket Pamuk, Osmanlı Ekonomisine Dünya Kapitalizm Ankara, 1984.
- Devlet-i Osmanile nin 1313 Senesinde Mahsus Istatistiki Umumisi, icin bak, lutfi Erisei, Türklerde isci Sınıfı Tarihi, Istanbul, 1951, .
184- Şevket Pamuk, Türkiye Iktisat Tarihi, Istanbul, 1988, .
185- Sureyya Tavfik, Haydarpaşa, dinleyiniz, 28 Nisan 1329, No 25, .
186- Tezer Taşkıran, Cumburiyetin 50 yılında Türk Kadın Haklar , Başbakanlık Kültür. M. 1973.
187- Yalman, Ahmed Emin, Türkey in my Time, Norman, University of Oklahma Press, 1956, .
188- Yetmisbeşte erkekler ve kadınlar , Istanbul 1998, .
189- Ziya Gök Alp, Batıya doğru, Türkcülüğün esaslari.
190- Herkes düşünmelidir, 25 , Mayis, 1329, no : 52 .

المراجع العبرية :

١٩١- **בשו"ת בני בנים** جزء (٣)

١٩٢- **בית יוסף על הטור באורח חיים סימן עה، ב.**

١٩٣- **שו"ת חתם סופר، אורח חיים סימן לו.**

١٩٤- **לשון הזוהר פרשת נשא ד"ה 'מן העפר'**

١٩٥- **עפ"י זה הסביר החת"ס את הפסוק בשה"ש**

١٩٦- **הפרישה** و **בשו"ת צמח צדק החדש** .

١٩٧- مركز أبحاث المعهد الدينى ، دراسة بعنوان "تغطية الرأس للنساء هل هـى فريضـة إلزامية" عطيرت كوهينم (إكليل الكهنة) ، بالعبرية

١٩٨- إيلان كوهين ، أحكام غطاء الرأس عند المرأة اليهودية، اليشيفا ، مستعمرة معليـة أدوميم (دراسة باللغة العبرية) .

تقارير:

199- Amerikan Gizli Belgelerinde Türkiyede Islamci Akimlar, Tercüme Yilmaz, Polat, Takdim Fehim Koru, Istanbul, 1990 .

(تقرير المخابرات الأمريكية عن الحركات الإسلامية فى تركيا ، ترجمة إلى التركية يلماز بولاط ، تقديم فهمى قورو ، استانبول ، ١٩٩٠م) .

٢٠٠- حديث قناة الجزيرة فى تاريخ ١٨/٥/١٩٩٩م ، بين الدكتور فيصل القاسم (مقـدم الحلقة) ورسول طوسون كاتب تركى ومرشح حزب الفضيلة التركى وفائق بولوط خبير تركى فى الإسلام السياسى وشئون الشرق الأوسط .

مواقع على الانترنت :

201- www. AAD – Online Org / Arabic Site / Arabiclinks / 30 / 4 / 2004 .
(1) Rabbi Dr, Menachem M. Braver Professor of Biblical Literat at Yeshiva U in his book, The Jewish Woman in Rabbinic literature, http:// WWW. Thewaytotruth. Org / Womaninislam / Judeochristian. Html.

202- Dr. Aisha Hamdan, Aljumuah Magazine, Volume 10 Issue 5 Jumaada – A – Ulaa, 141 gh, WWW. Allaahuakbar. Net / Womens – as – dawah. Htm.

- مؤتمر برلين عن المرأة المسلمة تحت عنوان : "نماذج إيجابية لنساء مسلمات"

203- WWW. Fikr. Com. Conf. **Women berlin, htm.** 13/8/2004 .
204- www. Sotalirag. Com/ new/ **article – 2005 – 02-4-** 4813. html
205- www. Islamonline net/ Arabic/ **arts/ 2004/ 01/** article 06. Shtml .
206- www. Chihap net/ modules. **Php? Name = News&** file = articl & cid = 308 .
207- www. Islamonline net / **Arabic/ news/ 2003** .
208- WWW. Sis. Gov. eg/ **online / ahtml 2/0251223k.** htm.
209- www. Prohijab. Net/ **Arabic/** hijab – **news** – Vienna. Htm .
210- www. Prohijab net/ **English/ aljazeera** – coverage 2. htm.
211- http: www. Islamonline. **Net / Arabic / news /** 2005 .
212- WWW. Fikr. Com. Conf. **Women berlin, htm.** 13/8/2004 .

رقم الإيداع ١٣٠٣٧ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977 - 322 - 165 - 2

مطابع زمزم ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق